نموذج ترخيص

أنا الطالب : منال نايف ابراهيم ابو قمر أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

البناء الفكري في الحديث النبوي "دراسة تأصيلية".

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليميـــة والجامعـــات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميـــع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: منال نايف ابو قمر

التوقيـــــع:

التاريـــــخ: ١١-١-٢٠١٥م

البناء الفكري في الحديث النبوي

دراسة تأصيلية

إعداد

منال نايف أبو قمر

المشرف

الأستاذ الدكتور باسم الجوابرة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الحديث النبوي

كلية الدراسات العُليا

الجامعة الأردنية

كانون الأول، 2014م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة بعنوان **البناء الفكري في الحديث النبوي دراسة تأصيلية** **وأجيزت بتاريخ ٢١/ ١٢ / ٢٠١٤م.**

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور باسم فيصل الجوابرة، مشرفاً. الجامعة الأردنية، قسم الحديث النبوي.	....
الدكتور محمد نبيل طاهر العمري، عضواً. استاذ مشارك في الجامعة الأردنية، قسم العقيدة والفلسفة.	....
الدكتورة نماء محمد البناء، عضواً استاذ مشارك في الجامعة الأردنية قسم الحديث النبوي.	....
الأستاذ الدكتور محمد قاسم العمري، عضواً خارجياً جامعة اليرموك، قسم الحديث النبوي.	....

الإهداء

أهدي هذه الدراسة إلى

تلك **العقول** المنيرة..

التي كسرت قيود فكرها ونذرت ذاتها للتفكر في الوجود.

وإلى تلك **القلوب** الدافئة..

التي نبضت بالخير والمحبة لكل إنسان.

وإلى تلك **النفوس** العظيمة..

التي تعبت في مرادها الأجساد البالية.

وإلى تلك **الأرواح** السامية..

التي لا حدود لرؤيتها سوى جنان الخُلد ورضوان الله تعالى.

إليك أنت..

وأخص الإهداء إلى أرواحٌ تسامت في حياتي لتنبض لي عطاءاً وحبا..

الأولى فارقتنا وأدمت ببعدها مُقل قلوبنا..

د. محمود عبيدات رحمه الله وجعله من أصحاب الفردوس الأعلى.

والثانية شمس وضاءة تنقذ الجهلاء من جهلهم وتُنير العقل بدروب الفكر والمنطق..

أستاذي ومعلمي الأول محمد نبيل العمري.

والثالثة زهرات من النورِ أراها تضيء الخير والجمال في القلوب..

صديقاتي ومهجات فؤادي

سيرين، أمل، الاء، هدى، مجدولين، علياء، رندا، هبه، سمر، منى،

وغاليتي د. مروة.

الشكر والتقدير

قال الله تعالى: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (سورة النمل ــ آية٤٠).

فالشكر إليك يا إلهي؛ يا من لا يطيب الليل إلا بذكرك، ولا يسمو النهار إلا بعبادتك، ولا تتعطر الأوقات إلا بذكرك، ولا تزهو الآخرة إلا بعفوك، ولا تتجمل عيني إلا برؤيتك، ولا تكتمل سعادتي إلا برضاك عني. فالشكر إليك إلهي يا مَنْ مَنَنتَ عليّ بجزيل نِعمك لأتمَّ هذه الدراسة.

ويا مَن علمتني بقولك **{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}** (سورة لقمان ــ آية١٤) أن أشكر من سعيا في هذه الدنيا وبذلا قُصارى جُهدهما لتربيتي وتعليمي، وتوجّا عملي ببركة دعائهما... فالشكر موصولٌ لهما إلى يوم القيامة.

الشكر إليك:

يا من أوقدت في عتمة الجهل شمعة مضيئة..

وفتحت مغاليق أبواب العقول..

وأيقظت في أعماق الظلمات نورا بجميل أخلاقك..

ومنحتني من وقتك وصبرك الكثير..

مشرفي ودكتوري

أ.د باسم الجوابرة

الشكر إليكم:

للعلم والعلماء، لمكاتب الفكر البشرية المتنقلة بين الأحياء، والتي تشعل شموعاً تنير العقول، وتضيء القلوب وتبعث الحياة في الأرواح، هم مشعل النبوة إن مارسوا طقوس العلم بنقاء، ونشروا العلوم بكل صفاء لتعُم الفائدة بلا انتهاء، هم زوارق النجاة لتنقل الأجيال من مستنقعات التيه والضياع إلى جزيرة الفكر الغناء.

لجنة الناقشة الكرام

فـــ شكر غير منقطع النظير لمن أعمرا الرسالة بحضورهما المثمر الخلاب

أ.د محمد قاسم العمري و د. محمد نبيل العمري

وأشكر من كانت للنماء إسماً وعنوان

الدكتورة الفاضلة نماء البنا.

قائمة المحتويات

البناء الفكري في الحديث النبوي

دراسة تأصيلية

إعداد

منال نايف أبو قمر

المشرف

الأستاذ الدكتور باسم الجوابرة

الملخص

جاءت هذه الدراسة لإبراز عناية المنهج النبوي بالفكر الإسلامي وإصلاح شؤون الفرد والمجتمع، والارتقاء بالعقل والفكر لأعلى المستويات. من خلال بيان البناء الفكري الإسلامي واستنباطه من الحديث النبوي.

وقد بين الحديث النبوي أن البناء الفكري يقوم على مجموعة عناصر تجتمع لتحقيق الغايات والأهداف المنشودة، وهذه العناصر هي: الأسس والمقومات، والشروط، والأدوات، والأساليب. وقد طرحت هذه الدراسة العوائق التي تعترض البناء الفكري، وحاولتُ توضيح آلية علاجها والتصدي لها من خلال المنهج النبوي.

وهذه الدراسة هي محاولة لطرح نظرية للبناء الفكري من خلال الحديث النبوي، وهي تقوم على الاجتهاد الفردي، وهذا العمل البنائي يقوم على عمل واجتهاد الأمة، لذا جاءت هذه الدراسة انطلاقة فكرية في العلوم الشرعية.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الفكر في أتم بنائه وأبدع نظامه، فكان منارة العلماء، ومشكاة العابدين، ومصباح المُصلحين، وجعل في خلقه آياتٍ بينات، وحججاً منيرة دالة على ألوهيته، وشاهدة على ربوبيته وكمال عظمته وقداسته، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، الدال الناس على الصراط المستقيم بمنهجه القويم، وعلى آلهِ وصحابته ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

تسعى الأمة الإسلامية كحال كل أمة إلى الخروج من حالة الجمود والتراجع الذي أصابها مما أوجد همّاً يشغل الأذهان وسعياً نحو إيجاد طريق أمثل وصحيح لبناء حضارة إسلامية كسابق عهدها.

وإن الحضارة الإسلامية تقوم على مجموعة من المقومات الأساسية التي تُشكّل بناءً متماسكاً ومتكاملاً قادراً على صنع أمة عريقة وتربية أفرادٍ قادرين على بناء دولة إسلامية قوية ولنا في المؤسس الأول للأمة الإسلامية إنموذج يحتذى فقد اعتنى النبي عليه الصلاة والسلام بتأسيس منهجٍ للبناء الفكري الإسلامي وتنمية عناصره والإرتقاء بجميع مجالاته مستمداً ذلك من الوحي وتوجيهاتِهِ الشرعية ثم بنى الحضارة الإسلامية التي هي نتاج فكر المسلمين بتوجيهٍ شرعي وعلمي فكانت الحضارة القوية المؤثرة في الإنسانية جمعاء.

ومن خلال النّظر والتأمُّل في الحديث النبوي نجد أن النبي عليه الصلاة والسلام وضع منهاجاً متكاملاً لكل جزئيّات البناء الفكري الإسلامي وتفاصيله وبَيّن الثوابت من خلال بناء الأسس والمسارات العامة، ثم ترك المجال مفتوحاً أمام الأفراد والجماعات في كل حين لتطبيق هذا المنهاج وتطويره والسير عليه مع مراعاة اختلاف الزمان والمكان مع تطور العصور ونموها أو دنوها مع الأخذ بعين الإعتبار القدرة على النظر في الفروع والاجتهاد فيها دون تخطي الثوابت والمسارات العامة.

ونجد ذلك واضحا جليا بأنه عَنِيَ إبتداءاً بالفرد واهتم ببناء فكره وعدّهُ النواة الأساسية للبناء الفكري السليم لأنه ببساطة هو مدار فكر في هالة الجماعة، ثم انطلق نحو المجتمع، فالأمة، فالإنسانية؛ حيث تُعدّ الإنسانية جمعاء هي السقف العلوي الذي ينتهي إليه الفكر الإسلامي وبناؤه، لذا لا بدّ للباحث في مجال الفكر من النظر إلى أصوله المتنوعة وأبعاده المتعددة أثناء التأصيل لمنهاج البناء الفكري في الحديث النبوي.

مشكلة الدراسة:

يمكن توضيح إشكالية هذه الدراسة بطرح تساؤل عام: هل يتواجد منهاج مُؤَصَّل للبناء الفكري الإسلامي في الحديث النبوي الشريف؟. ثم يلي هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات التفصيلية:

١. ما هو البناء الفكري الإسلامي وخصائصه في الحديث النبوي؟.
٢. ما هي غايات البناء الفكري الإسلامي وأهدافه؟.
٣. ما هي أهم الأسس التي استند عليها البناء الفكري الإسلامي في الحديث النبوي الشريف؟.
٤. ما هي شروط البناء الفكري الإسلامي وأدواته وأساليبه في الحديث النبوي؟.
٥. ما هي العوائق التي تعترض القائم على البناء الفكري الإسلامي، وما هي آلية علاجها في الحديث النبوي الشريف؟.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة في بيان تميُّز المنهاج النبوي في البناء الفكري على أسس سليمة أتى بها الوحي بشِقَّيْه – القرآن الكريم والسنة النبوية –، ليضع لنا أنموذجاً عملياً واقعياً جديداً يصقل العقول وينميها يوفتح لها أبواب الأفق لتحلق في فضاء الفكر ثم يطورها بعيدا عن تحجيمها وتقييديها كما هم الحال في بعض الأديان الأخرى، ثم نجده ينقلنا نقلة نوعية من حالة اليأس والتقليد الأعمى والجهل والضعف إلى النور والعلم والتقدم والرقي.

إن المنهاج النبوي في البناء الفكري وُجِدَ ليكون منطلقاً في بناء الإنسان فرداً وجماعة، من خلال اتّباع منهاجٍ متكاملٍ أراده الله تعالى للناس من أجل سعادتهم وفلاحهم، وهذا المنهاج لا بد من تأصيله وتوضيحه ليكون أنموذجاً يقوم عليه الفكر المعاصر لدى المسلمين وتكمن أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

- توجيه النظر إلى الحديث النبوي الشريف والعناية به لتفعيله في كافة الميادين الفكرية.
- إعادة صياغة الفكر الإسلامي وبنائه ضمن التصور الرباني والتطبيق العملي الذي رسمه الحديث النبوي الشريف في أفقه السامي.

- التأكيد على كون الحديث النبوي الشريف ببنائه الفكري هو تجسيد عملي للعقيدة الصحيحة والعلم الصائب والمنهج القويم، وأنه منيع عن الانحراف والضعف.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- توضيح معنى البناء الفكري وتحديد خصائصه من خلال الحديث النبوي الشريف.
- تقديم المنهاج النبوي كخطة تطبيقية في البناء الفكري، من خلال الوقوف على غاياته، أهدافه، مصدره ومجالاته، أدواته وأساليبه التي بَيَّنَها الحديث النبوي الشريف وما تفضي إليها من تفاصيل وفروع.
- فهم المصدر الأساسي للبناء الفكري الذي من خلاله ينطلق كل من الفرد والجماعة في جميع المجالات والتخصصات.
- الوقوف على عوائق البناء الفكري التي أدّتْ إلى انحراف بعض روابط الفكر الإسلامي، وبيان آلية العلاج الوقائي والإجرائي من تلك العوائق.

الدراسات السابقة :

شَكّلَ ميدانُ الفكر مساحةً واسعةً للباحثين والدارسين لينطلقوا في فضاءه الرحب. وبعد البحث والاستقصاء فيما تمكنتُ من الاطلاع عليه لم أعثر على دراسة منهجية علمية تتناول موضوع دراستي بشكل مباشر وإن تعددت المُصنّفات والبحوث التي تناولت جانباً منه، أو تعرضت إلى مجالٍ عام فيه، لكنها في المجمل لم ترقَ إلى الدراسات المتخصصة في موضوع الدراسة المطروحة وهو "البناء الفكري في الحديث النبوي الشريف، دراسة تأصيلية".

ولقد صدر خلال العقود الماضية كثير من الدراسات المتعلقة بالفكر من منظور إسلامي. وتفاوتت هذه الدراسات في أهدافها ومنهاجها مما أدى إلى تفاوتٍ في قيمتها العلمية، ومع ذلك ما زالت الحاجة قائمة إلى المزيد من الدراسات الأكثر تخصصاً وتعمقاً فيها، ولا نقتصر فيها على الجوانب الكلية والعامة فحسب؛ بل عليها أن تتناول القضايا الجزيئة والمنهجية لتعالجها بدقة وعمق فتقدم للأمة الإسلامية نتاجاً يمكن من خلاله تغيير الواقع، والنهوض بالحضارة الإسلامية.

بالتأكيد تُعدُّ هذه الدراسات مصادر أساسية يجب الإطلاع عليها في هذه الدراسة، وليست دراساتٍ سابقة للموضوع، لأنها في الغالب لم تتناوله بالطرح المُقَدَّم هنا؛ فهي لم تختص ببيان

دور الهدي النبوي في البناء الفكري، أو تأصيل له، وهذا ما حثني على القيام بهذه الدراسة، ولا يعني ذلك عدم وجود دراسات تناولت جانباً من هذه الجوانب أو أبرزت عنصراً من عناصره من منظور إسلامي، لذا فإن هذه الدراسات يمكن بيانها من خلال التقسيم الآتي:

القسم الأول: صوتيات تناولت موضوع البناء الفكري.

إن هذه الصوتيات كانت عبارة عن لقاءات علمية – ندوات – تم نشرها عبر اليوتيوب، ويمكن بيانها من خلال الآتي:

أولاً: ندوة بعنوان "البناء الفكري: مفهومه، أهميته، متطلباته". مدتها: ١:٥٤:١٩، أقيمت في جامعة بنها– مصر، كلية الآداب، قاعة المؤتمرات والندوات. بتاريخ: ٢٩/ ١٠/ ٢٠١١م، وقد شارك فيها كل من:

أ. د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان. أ. د. فتحي حسين الملكاوي أ. د. السيد عبد المقصود.

قد تناول المحاضرون الكرام فيها مدخلاً في البناء الفكري ووضعوا أُطراً عامة لبيان أهمية البناء الفكري كخطوة رئيسة في المشروع الحضاري، كما بيّنت الندوة حاجة الأمة الإسلامية للبناء الفكري لأن الغرب هم مَن استلموا راية الحضارة في هذا الوقت، وقد أُثيرت مجموعة من التساؤلات حول الموضوع مما أوجب منهم دعوة جادة للحضور بأن يتفكروا بها جيدا والنظر في مجموعة من العناصر التي يجب الارتكاز عليها في بناء الفكر، وهذه العناصر هي:

- معرفة الخلل الذي أصاب العقل المسلم.
- معرفة مراحل تكوين وتربية العقل المسلم.
- القاعدة السياسية ودورها في تشكيل المجتمع وتشكيل العقل.
- ضبط التعامل مع التراث.

ثم بيّنت الندوة أهمية البُعدين التربوي والنفسي في البناء السليم للعقل المسلم، كما أكّدت على وجود ما يُعرف بالتكامل المعرفي وأنه صفة جوهرية في البناء الفكري.

لقد تميزت الندوة بفتح آفاق رؤى السامع وإثارة تفكيره بمجموعة من التساؤلات، كما أنها ربطت أهمية البناء الفكري ببناء الحضارة ورُقي العقل المسلم، لكنها لم تكن متخصصة في بيان دور المنهج النبوي في البناء الفكري، ثم تناولت أفكاراً مجملة دون بيان لها، بل كان بعض

المحاضرين يقتصرون على طرح التساؤلات وتقديم المعلومات بشيء من الإيجاز، لذا جاءت هذه الدراسة التي أقدمها لتفصيل المجمل ووضع منهاج واضح للبناء الفكري في الهدي النبوي الشريف وتشكيل أنموذج منهجي واضح العناصر والأهداف.

ثانياً: محاضرة بعنوان "البناء الفكري: مفهومه، عناصره، مستوياته" مدتها: ٢:٠٥:٣٦.

أقيمت في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن. قدمها: أ. د. فتحي حسين الملكاوي.

تناول فيها مجموعة من القضايا، يمكن أن نجملها في الآتي:

- مقدمة ناقش فيها أهمية الفكر، وازدياد الحاجة لتناول موضع البناء الفكري والبحث عنه في وقتنا الحالي.
- مفهوم البناء الفكري، تطوره ومستويات التفكير.
- علم تاريخ الأفكار، المدارس الفكرية وعلاقتها بالبناء الفكري.
- وضع مجموعة من الخرائط التفصيلية للبناء الفكري – مصادره، طرقه، ومحتوياته –.
- مراكز إنتاج الفكر.
- اختبار مقاييس البناء الفكري.
- البناء الفكري بين الجمود والتجدد.

كانت هذه هي عناصر المحاضرة التي بينها الدكتور في البداية، ثم انطلق في بيانها ومناقشتها، وهذه البنود اشتملت على العناصر العامة والمفصلة للبناء الفكري، لكن الدكتور لم يقدّم شرحاً مفصلا عنها، وترك من خلفه بعض التساؤلات والنقاط دون بيانٍ لها، تاركاً الفهم للسامع من أجل تحفيز العقول على البحث والتفتيش.

قد تميزت الدراسة بالشمول والدقة في طرح عناوين الموضوع، لكنها جاءت عامة في المعلومات – ربما بسبب ضيق الوقت –، كما أنها لم تختص في بيان دور المنهج النبوي في البناء الفكري.

فتميّزت دراستي بأنها تتعلق بتوضيح المنهاج النبوي الشريف وأسسه في البناء الفكري، ثم بيان أبرز المعوقات التي تقف أمام هذا البناء وتؤدي إلى تعطيله أو انحرافه عن المسار الصحيح، وكيف تُعالَج من خلال الهدي النبوي الشريف.

ثالثا: لقاء علمي بعنوان "البناء الفكري" (مدته: ساعة تقريباً).

أقيمت في ديوانية الشيخ سعد الغنام، السعودية. ٢٧، ذو القعدة، ١٤٣٢ هـــــ . وحاضر فيها: د. ناصر بن يحيى الحنيني.

بدأ الدكتور كلامه بمقدمة مختصرة يوضح فيها أن الإنسان يتوجب عليه طلب العلم دائماً، دون ملل او كلل، وأن دراسة القضايا الفكرية أصبحت واجبة في هذا العصر، ثم وضح معنى الفكر، وبيّن قواعد بنائه وحددها بقاعدتين هما:

البناء العلمي الشرعي، والبناء الإيماني.

ثم وضح دور الفكر في عصرنا في مجاليه السياسي والأخلاقي، لذا يُعد من المواضيع الهامة التي يجب توعية الناس بها.

ثم وضح المحاور التي يجب التركيز عليها عند بناء الفكر، وأجملها بأربعة هي:

١. التعرف على التيارات وأصولها.

٢. معرفة الأشخاص وسِيَرهم.

٣. الاعتناء بالكتب.

٤. التعرف على المصطلحات.

كما أنه شجع على قراءة عدد من الكتب المعاصرة التي تساعد في فهم الموضوع، ثم بعد ذلك بدأ الحضور بطرح الأسئلة ومناقشة الموضوع مع المحاضر.

هو لقاء علمي يحتوي على ملحوظات ونقاط مهمة في البناء الفكري في عصرنا، تناول فيه عناصر جيدة للموضوع ولكن هذا اللقاء كان عبارة عن مجموعة أفكار متناثرة تتناسب ومنهاج اللقاءات العلمية، لكنها لا تتوافق مع المنهاج العلمي في الأبحاث.

كما أنها كانت تركز على الأمثلة الخاصة التي حصلت مع المحاضر – نتاج خبرات خاصة –، ولم تقم على بيان المنهاج النبوي في البناء الفكري، كانت قاصرة عن عناصر كثيرة يتضمّنها

موضوع البناء الفكري على غرار ما جاءت به دراستي من شمولية لعناصر البناء الفكري، كما تُبرز المنهاج النبوي الشريف في ذلك إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني: الدراسات المكتوبة التي تناولت موضوع الفكر الإسلامي.

تعددت في هذا العصر الدراسات التي تتحدث عن الفكر الإسلامي، وبالتأكيد تُعدُّ هذه الدراسات مصادر أساسية ومراجع يجب الإطلاع عليها في هذه الدراسة، هي ليست دراساتٍ سابقة للموضوع لأنها لم تختص ببيان المنهاج النبوي الشريف في البناء الفكري أو تأصيلا له، مما حثني على القيام بهذه الدراسة.

وهذا لا يعني عدم وجود دراسات تناولت جانباً من هذه الجوانب أو أبرزت عنصراً من عناصره من منظور إسلامي، هذه الدراسات يمكن بيانها من خلال الآتي:

الدراسة الاولى: "الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي الشريف"، لـــ: د. محمد عيسى الشريفين.

هي بحث علمي محكم نُشر في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد (١)، ١٤٣٠هـــ ـــ ٢٠٠٩م.

لقد تناولت هذه الدراسة تعريف الحصانة الفكرية والهدي النبوي في تنظيم عملية التفكير، وتبادل المعلومات ولقد تناول مواضيع متخصصه في بحثه وبيّن الهدي النبوي الشريف فيها.

من المؤكد أن موضوع الحصانة الفكرية من المواضيع المهمة التي يتناولها المفكرون في عصرنا للحفاظ على الفكر، لذا لا بد من الاستفادة منها في مطالب الدراسة.

الدراسة الثانية: "خصائص الفكر الإسلامي" لـــــــ: أ د. الفرفور، محمد عبد اللطيف.

هي كتاب تم نشر الطبعة الأولى منه في ٢٠٠٢م، دار المكتبي، دمشق.

تناول الباحث فيه مجموعة من نظريات الخصائص الكلية للفكر الإسلامي والميدان التطبيقي لها ودراسات في القواعد المتفرقة عن النظرية في الفروع والأغصان والثمرات، وقيام الدولة وزوالها بين السنن الإلهية وقوانين علم الاجتماع.

هذه الدراسة جاءت متعمقة وشاملة لموضوع الخصائص وبوجه الخصوص فيما يتعلق بخاصية التوسط وهي ليست دراسة متعمقة في البناء الفكري، إنما يعتبر موضوعها عنصرا هاما من عناصر دراسة البناء الفكري.

تباعا لما تم تناوله آنفا يستدعي ذلك القارئ لرسالتي تساؤلا هاما مفاده:

ما هي مميزات الدراسة الحالية عما سبق ذكره آنفا؟.

إن ما يميّز دراستي عن الدراسات السابقة سأجمله في النقاط التالية:

١. تخصُّصية هذه الدراسة في توضيح البناء الفكري في الحديث النبوي الشريف مع العلم أنه لا يوجد أي دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع من ناحية شرعية حديثية متخصصة.

٢. اقتصار بعض الدراسات على إبراز جانب واحد لهذا الموضوع، لذا جاءت دراستي شاملة ومتكاملة له إن شاء الله تعالى.

٣. التأصيل لقضايا البناء الفكري والإستدلال لها من الحديث النبوي الشريف وهذه ميزة؛ لأن مَن تناول موضوع البناء الفكري لم يقدم لنا تأصيلا دقيقاً وشاملاً له، بل من قدم شيئاً في هذا المجال لم يستند على المصادر الشرعية وخصوصا السنة النبوية الشريفة في الاستدلال على طرحه.

مـنـهـاج الـبـحـث:

تقوم هذه الدراسة على مجموعة من المناهج تتناسب بمضمونها وهدفها، ويمكن إجمال هذه المناهج على النحو الآتي:

أولاً: المنهاج الاستقرائي:

تم جمع الأحاديث من كتب الحديث الستة لتوضيح الهدي النبوي في بناء الفكر، حيث بدأتُ بالصحيحين، ثم السنن الأربعة، ثم رجعت إلى كتب الحديث والسيرة الأخرى عند الحاجة ووفق منهاج الجمع والتخريج المعتمد في الدراسة.

ثانياً: المنهج التحليلي والاستنباطي:

تم تحليل النصوص النبوية لاستنباط عناصر البناء الفكري منها وتقسيمها وفق الهيكلية المناسبة لها، ثم استشهدت بالأحاديث التي تندرج تحت كل قسم من الدراسة ومسائلها بتصنيفها، ثمّ اختيار المناسب منها، وذلك بناءً على أمرين:

أ. اختيار الصحيح الذي سيكون له النصيب الأوفر في الدراسة لا سيمّا كونها دراسة تأصيلية، ثم الحسن، ثم الضعيف ضعفاً يسيراً –عند الحاجة وعدم وجود الحديث الصحيح والحسن –، والاستشهاد بها على مسائل الدراسة.

ب. تخيُّر الأحاديث وفق قوة دلالتها على الموضوع المطروح ووضوحها، ثم ما كان يحمل دلالة تحتاج للتأويل والتوضيح.

إجراءات الدراسة:

اتبعت منهجية واضحة في جمع الحديث وتخريجه، ودراسته والحكم عليه، تتلخص بالنقاط الآتية:

* جمع الأحاديث النبوية الشريفة لكل مسألة من مسائل الدراسة، واختيار المناسب منها لموضوع المسألة المراد بحثها ودراستها.

* الرجوع إلى كتب الشروح الحديثية لتجلية المقصود من الأحاديث وبيانها، وتوجيهات السنة النبوية فيها عند الحاجة.

* بيان الغريب من الالفاظ الواردة في أحاديث الدراسة وشرحها عند الحاجة.

* اعتمدت في الحكم على الحديث على أحكام الأئمة وعلماء الحديث المتقدمين ثم المتأخرين ثم المعاصرين. فإن لم أجد حكما حكمت عليه بناء على قواعد الحكم عند المحدثين.

محددات الدراسة: تقوم هذه الدراسة على بيان البناء الفكري الإسلامي في الحديث النبوي الشريف، – قيد الإسلامي هنا لتخصيص الدراسة وعدم فهمها على الإطلاق –، فهي تتعلق بدراسة البناء الفكري الإسلامي دون غيره من الأبنية.

خـــطـــة الـــدراســـة:

تم تقسيم الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول رئيسة على النحو الآتي:

- **التمهيد:** "البناء الفكري في الحديث النبوي": تعريفه، وأهميته، وخصائصه.

- **الفصل الأول:** غايات البناء الفكري الإسلامي وأهدافه في الحديث النبوي، وقسمته إلى:

تمهيد: "الغايات والأهداف": تعريفهما، والعلاقة بينهما، وخصائصهما.

المبحث الأول: تحديد غايات البناء الفكري الإسلامي في الحديث النبوي الشريف.

المطلب الرابع: الواقعية والعملية.

- **الفصل الثالث:** أسس البناء الفكري وأدواته وأساليبه في الحديث النبوي.

المبحث الأول: أسس البناء الفكري في الحديث النبوي.

الأساس الأول: "الإيمان" روح البناء الفكري السليم.

الأساس الثاني: "العلم" عمود البناء الفكري السليم.

الأساس الثالث: "العدل، والشورى، والمحاسبة": ضوابط أمان البناء الفكري.

الأساس الرابع: "التنمية والديمومة" محرك البناء الفكري.

المبحث الثاني: أساليب البناء الفكري وأدواته في الحديث النبوي.

المطلب الأول: أساليب البناء الفكري.

المطلب الثاني: أدوات البناء الفكري.

- **الفصل الرابع:** عوائق البناء الفكري وآلية علاجها في ضوء الحديث النبوي وخصائص المنهج النبوي في البناء الفكري.

المبحث الأول: عوائق البناء الفكري وأسباب انحرافه.

المبحث الثاني: آلية علاج عوائق البناء الفكري وأسباب انحرافه في ضوء الحديث النبوي.

تنبيه:

هذه الدراسة هي طرح جديد لنظرية تقوم على الاجتهاد الفردي، وقد جعلت محاور الرسالة استنتاجية وليست تقريرية، من خلال الدلالات النبوية التي تخدم النظرية وعناصر البناء، لذا كان تقسيمها منهجياً تتدرج تحته كل العناوين على النحو الذي بيناه في الخطة.

وإن تحليل النظرية واستنباطها هو عبارة عن ذوق وفهم خاص فكل بناء هو قيمة ونظام كامل، لذا قد يُختلف في جزئيات منها، وقد يُوجد نظريات أخرى حول هذا الموضوع يحاول أصحابها الاجتهاد كما اجتهدت، وقد يأتي من يجمع من خلال بحثه وفهمه نظرية أشمل وأقوى مما اجتهد به.

كما أن هذا النوع من الدراسات في نظري يقوم على جهد أمة لا جهد فرد وإن استأثرت بالانطلاقة الفردية إلا أنني لا ألغي دور الدول والأمة بأكملها بدراسة الموضوع وإعادة صياغته، لذا سأحاول جاهدة أن تكون لي دراسة مستقلة خارج نطاق الدراسات الأكاديمية تساعد في وضع لبنة في هذا الموضوع بمساندة المختصين وأصحاب المعرفة إن شاء الله تعالى.

وعليه فإني اسأل الله جل في عُلاه أن يكون نصيبي مما سطرت وكتبت السداد والتوفيق **{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}**[١].

فإن الإنسان إذا اجتهد فأصاب له أجران وهذا أملنا بالله الرحيم اللطيف.. وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد وهذا فيض كرمه تعالى علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[١] آية ٨٨ من سورة هود عليه السلام.

التمهيد

"البناء الفِكْري": تعريفه، وأهميته.

يقتضي الوضع المنطقي السليم في ترتيب أعمال العقل عند الدخول بموضوعٍ ما أن نبدأ بتعريف مصطلحاته وتحديد عناصره وأركانه الكُلية قبل الخوض في تحليل تفاصيله وتفسيره، تحديد أهميته وخصائصِه.

أولا: تعريف "البناء الفِكْري".

يتكون مصطلح "البناء الفِكْري" من شقين الأول هو البناء، والثاني هو الفِكْر، ولتعريف هذا المصطلح المركب نبدأ بتوضيح مفهومي "البناء" و "الفِكْر"، ومن ثم نُعرفه كمركب "البناء الفِكْري".

أ. معنى البناء:

من خلال الاطلاع على معاجم اللغة تجد أن البناء من الفعل الثلاثي "بني" وجمعه أبنية، وجمع الجمع أبنيات[١]. وقال ابن فارس: "الباء والنون والياء أصل واحد وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض"[٢]. ويقصد به لزوم المكان وعدم تغيره[٣].

معنى "الفِكْر":

* **التعريف اللغوي للفكر:**

وردت مادة "ف ك ر" في المعاجم والقواميس العربية بمعانٍ كثيرة. أُجملُها بما يلي:

- تردد القلب واعتباره[٤]. وإعمال الخاطر[٥] أو النظر في الشيء[١].

---

١ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط.** (مادة بني). وابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، **لسان العرب.** دار صادر، بيروت، ط١، (مادة بني).

٢ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة.** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفِكْر، ١٩٧٩م، (مادة بني).

٣ قال ابن جني: البناء "هو لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة، لا لشئٍ أحدث ذلك من العوامل. وكأنهم إنما سمَّوه بناء لأنه لمّا لزم ضربا واحداً فلم يتغير بتغير تّغير الإعراب. سُمي بناء مِن حيث كانِ البناء لازما موضعه لا يزول من مكانِ إلي غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيَمة والمِظلة والفُسطاط والسُرادق ونحو ذلك". أنظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص.** تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (ج١، ص٣٧-٣٨). والفيروزآبادي، **القاموس المحيط،** (مادة بني). وابن منظور، **لسان العرب.** (مادة بني).

٤ قال ابن فارس الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يُقال: تفكر إذا ردد قلبهُ معتبراً. **معجم مقاييس اللغة،** (مادة فكر).

٥ قال ابن منظور: الفِكْر إعمال الخاطر في الشيء، **لسان العرب،** (مادة فكر).

– التفكر هو التأمل، والاسم الفِكْر والفِكْرة[٢].

وبعد مطالعة بعض معاجم اللغة العربية يتبين أن معنى الفِكْر ينحصر في "الإعمال" و"النظر"، و"تردد القلب"، و"فرك المعاني".

* **التعريف الاصطلاحي للفكر:** عُرّف الفِكْر في الكتب تعريفاتٍ كثيرة لشيوعه وكثرة استعماله، ويمكن تقسيم التعريفات على النحو الآتي:

القسم الأول: مَنْ قصَرَ معنى الفِكْر على حركة العقل وعملياته.

– عرّف **الغزالي** الفِكْر بأنه: إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة[٣].

– وقال **الأصفهاني** الفِكْرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يقال إلا فيما يمكن أن تحصل له صورة في القلب[٤].

– وقال **الجرجاني:** ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى المجهول[٥].

– وقال **صليبا:** الفِكْر إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها. ويطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية. وهو مرادف للنظر العقلي (Réflexion) والتأمل (Méditation)[٦]، ومقابل للحدس (Intuition)[٧].

– وقال **العلواني:** اسم لعمليّة تردد القوى العاقلة المفكّرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبّر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام، أو النسب بين الأشياء[٨].[١]

---

١ قال الفيروزآبادي: إعمال النظر في الشيء، **القاموس المحيط**، (مادة فكر).

٢ الجوهري، إسماعيل بن حماد، **تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م، (مادة فكر).

٣ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**. دار المعرفة، بيروت، (ج٤، ص٤٢٥).

٤ الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ج٢، ص٢٠٢).

٥ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**. تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ص١٤٢.

٦ هذان المصطلحان باللغة الفرنسية، ويُرادفهما باللغة الإنجليزية: Relexion، Meditation.

٧ صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**. الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٢م، (ج٢، ص ١٥٦).

٨ الموقع الرسمي لفضيلة الدكتور طه جابر العلواني:
http://www.alwani.net/%D٩٪٨٥٪D٩٪٨٣٪D٨٪AA%D٨٪A٨٪D٨٪A٩_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٨٪AA/%D٩٪٨٥٪D٩٪٨١٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٧٪D٩٪٨A%D٩٪٨٥_%D٩٪٨٢٪D٨٪B١٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪A٩/item/٣٢٦-٢٠١٣-٠٧-٠٩-١١-٣٠-٥٣.html.

القسم الثاني: من قصرَ معنى الفِكْر على نتاجِ العقل وإبداعاته.

- قال **صليبيا:** "المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري ..."[٢].

وعند النظر في التعريفات السابقة يمكن التوقف عند ملاحظتين هما:

١. أن الفِكْر في المصطلح يحمل معنيين ولا يخرج عنهما إلى غيرهما، هما:

أ. حركة العقل وعملياته في أمر ما معلوم للوصول إلى المجهول.

ب. أو يُقصد به مجموعة النتائج التي يُتوصل إليها من خلال حركة العقل، كما يظهر من تعريف صليبيا الثاني.

٢. يمكن التفريق بين المعنيين إذا نظرنا إلى النسبة أو الإضافة:

أ. فـــ "الفِكْر" إذا جاء مجرداً دون إضافة فهو يُطلق على المعنى الأول: الفعل (إعمال العقل).

ب. أما إذا جاء منسوباً أو مضافاً، فإنه يراد به المعنى الثاني: النتائج[٣].

ثانياً: مفهوم "البناء الفِكْري".

---

١ وعُرّف أيضاً بأنه: عملية استخدام العقل في إنتاج المبادئ والمفاهيم عن شيء معين، وإصدار الأحكام واتخاذ المواقف تجاهه. وهو عملية ذهنية استدلالية تستدعي قدرات معرفية عالية للربط بين القضايا والأحداث الواقعية في مجتمع معين، والمفاهيم المكونة عنها. ويتطلب الفِكْر كفاءة لغوية لصياغته، والتعبير عنه، وتناقله بين أفراد مجتمع معين، أو الجنس البشري عامة. نور الدين شريف أويس، مقالة بعنوان" العلاقة بين اللغة والفِكْر من منظور القدامى والمحدثين"، http://www.globalarabnetwork.com/culture-ge/culture-studies/٨٨٠١-٢٠١٢-١٠-٢٥-٢٢١٠٠٦.

وعُرّف أيضا بأنه: الإنطلاق من النظرية ومحاولة تطبيقها على الواقع، والاستفادة من الواقع وتداعياته والعودة إلى النظرية بالتكميل والتصحيح. أحمد سالم، يوتيوب بعنوان "لبنات في البناء الفِكْري". http://www.youtube.com/watch?v=vKpSY٣٠٨lQ٨.

وعرفه سويدان بقوله: "إعمال العقل في أمرٍ ما للوصول لرأي جديدٍ فيه"، أنظر: طارق سويدان، يوتيوب برنامج علمتني الحياة٢، حلقة بعنوان "الفِكْر" رابطه: http://www.youtube.com/watch?v=NrS-uSQOs٩٨.

٢ صليبيا، **المعجم الفلسفي**. (ج٢، ص١٥٦).

وقال: وجملة القول إن الفِكْر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها. فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس.

٣ أنظر: الزنيدي. عبد الرحمن بن زيد، **حقيقة الفِكْر الإسلامي**،دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ٢٠٠٢م، (ص١٠). حيث بيّن استعمالات كلمة "الفِكْر" والفرق بينهما عند النسبة.

أما تعريف مفهوم "البناء الفِكْري" كمصطلح مركب فلم يُعرِّفه أحد من المتخصصين في كتابٍ مستقل، بل وجدت بعض المحأولات لتعريف هذا المصطلح من خلال المقالات أو المحاضرات التي تم نشرها عبر الإنترنت، يمكن إجمالها من خلال الآتي:

أولاً: "عملية تحصيل وتراكم المعرفة لفرز أخلاق وحكمة وخبرة ومهارة في التعامل مع الممكنات"[١].

عند النظر في هذا التعريف تجد أنه تم قصره على عملية التحصيل والتراكم أي الجمع، ولم يذكر الكاتب المقومات البنائية التي قامت عليها عملية التحصيل والتراكم، والمبادئ الضابطة لها.

ثانياً: "الجسم المتكامل المكون من أفكار مرتبة ترتيباً خاصاً بهدف التعامل مع قضية ما بشكل معين"[٢].

ويُلاحظ على هذا التعريف أنه لم يُوضح مُدخلات الفِكْر، وجاء عاماً بذكر المخرجات، ولم يُبين العمليات التي تدخل في البناء الفِكْري، كما أنه استعمل كلمة "الجسم"[٣] مع المعنويات وهي الأفكار هنا، علماً أن الجسم لا يستعمل إلا مع الماديات[٤]، كما أن هذا التعريف عام ينطبق على البناء وغيره.

ثالثاً: "إدراك محيط من خلال الدوامة المتكونة من تحصيل وتراكم المعرفة وبرمجتها وتنظيمها بالاستنتاج "التفقه" إلى سلوك وخبرة من خلال التعامل مع المحيط"[٥].

وهذا التعريف يُظهر أن البناء هو عملية جمع، تنظيم، استنتاج وجعل المخرجات عبارة عن السلوك والخبرة، وهناك مخرجات فكرية أخرى، كما أنه لم يضع معايير لقبول الأفكار أو رفضها.

---

١ أبو غالي، عبد الله. مقالة بعنوان: **بناء الفِكْر ــــ بناء الحضارة.** http://feker.net/ar/٢٠١٢/٠٤/٢٨/١١٢٠٢/.

٢ العزاب، غادة. مقالة بعنوان: **منهجيتي في البناء الفِكْري.** http://mofakkera.blogspot.com/٢٠١٢/١٠/blog-post.html.

٣ الجسم هو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة وقيل الجسم هو المركب المؤلف من الجوهر. الجرجاني، **التعريفات**، (ج١، ص١٠٣).

٤ الجسم اسم عام يقع على الجرم والشخص والجسد وما بسبيل ذلك... . أنظر: العسكري، **الفروق اللغوية**، (ج١، ص٣٠٧).

٥ عبد الله، هند. مقالة بعنوان: "**رحلتي ما بين التجميع إلى البناء**". http://feker.net/ar/٢٠١٢/٠٥/١٣/١١٢٣٨/.

رابعاً: البناء الفِكْري الشخصي: القاعدة التي ترتكز عليها تصرفات الإنسان وتعاملاته وأقواله وخطرات نفسه[1].

ويُلاحظ على هذا التعريف أنه جاء مُخصصاً لتوضيح البناء الفِكْري للشخصية، وقُصر على كونه قاعدة ينطلق منها الفرد في جميع تصرفاته، ولم يوضح فيه كيفية البناء أو العمليات التي يجب أن يمر بها.

ويمكن تحديد مفردات البناء الفِكْري وعناصره من خلال إلقاء نظرة تحليلية على التعريفات السابقة بما يلي:

أ. **البناء:** هو تشييد تصوري لشيء غير موجود.

ب. **المدخلات** أي المقدمات التي يُعمل التفكير فيها.

جـ. توافر **أدوات** وعمليات تفكيرية للتعامل مع المعطيات.

د. وجود **مخرجات ونتائج** حقيقية لهذا البناء، تتمثل بـــ (الأخلاق، الحكمة، الخبرة، المهارة، كيفية التعامل مع القضايا، السلوك).

هـ. الإنسان "فرد أو جماعة"، الذي يقوم بإعمال الفكر.

لم توضح التعريفات السابقة كل مفردات مصطلح "البناء الفِكْري" وأركانه، لذا جاءت قاصرة عن بيان حقيقة المصطلح، وبعد دراسة التعريفات السابقة والاستفادة منها يمكن تعريف البناء الفِكْري الإسلامي بأنه:

منظومة متكاملة تقوم على تفعيل العمليات العقلية للمسلم في مصادر المعرفة للوصول إلى ما هو جديد، بواسطة الأدوات المناسبة، وفق أسس وشروطٍ محددة.

– فأما قولي: "**منظومة متكاملة**" فقيد يُخرَجُ به العمل العشوائي وغير المرتب، فهذا لا يُعد بناءً إذ ليس فيه تنظيم وتسلسل صحيح. والمتكامل يُخرِج من مضمونه العمل الناقص الذي لم يكتمل.

---

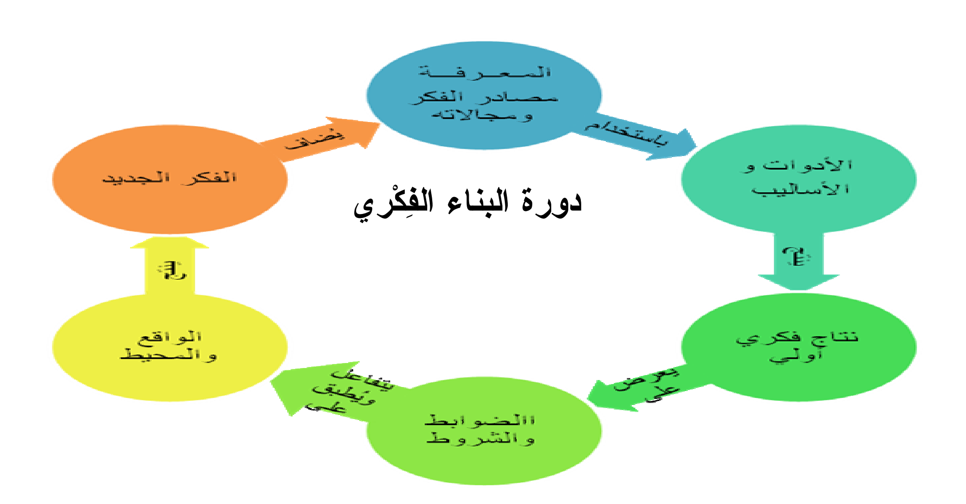
١ الطباع، سلطان. **مقالة بعنوان:** "**تحرير البناء الفِكْري للشخصية**". http://www.alukah.net/culture/٠/٥٤٤٥/.
وعبد الله، هند. مقالة بعنوان: "**رحلتي ما بين التجميع إلى البناء**". http://feker.net/ar/٢٠١٢/٠٥/١٣/١١٢٣٨/.

- وقولي: "**تقوم على تفعيل العمليات العقلية للمسلم في المعرفة المتراكمة**" فيُخرَجَ به الخواطر والأفكار الطارئة، وضابط المسلم ليُخرج غيره، فلا يدخل فيه البناء الفكري الذي يقوم به غير المسلم.

- وقولي: "**للوصول إلى ما هو جديد**" ففيه تحديد للغاية والأهداف، فيُخرج به الأفكار التي لا هدف منها ولا نتيجة لها، أو الأفكار المقلدة.

- وقولي: "**بواسطة الأدوات المتنوعة**" فيُخرج به التأملات والخواطر العابرة، ويُشترط بذلك أن يكون المفكر مُلماً بالأدوات التي تساعده على التفكر للوصول إلى ما هو جديد.

- وقولي: " **وفق أسس وشروطٍ محددة**" هي الرابط بين أطراف التعريف، وتعني الموافقة والالتزام من الصنعة للمنهج، فيخرج به كل ما لا يتوافق مع المنهاج أو يخالف الضوابط.



الشكل السابق أنموذج يوضح دورة البناء الفِكْري، ويمكن شرح هذا الأنموذج بما يلي:

١. توافر مصادر المعرفة المتنوعة.

٢. القدرة على إعمال عمليات التفكير، ووجود أدوات متعددة لهذه الغاية منها: العمليات العقلية، والحواس، وغيرها.

٣. وضع نتاج التفكير الأولي، وهو عبارة عن "فرضية متخصصة في موضوع ما".

٤. عرض النتاج على مجموعة من الضوابط والمعايير التي تتناسب مع المجال التي وضعت له، والتي توافق المعايير العامة للفكر.

٥. إذا وافقت هذه الفرضية هذه المعايير والضوابط يتم وضع النظرية، وإذا لم يتم قبولها وفق المعايير، فإنه يتم تكريرها على النهج السابق للوقوف على الخلل وأسبابه فيها ليتم تصحيحه وتعديله.

٦. النتاج الفِكْري الأولي الذي تم قبوله يُطبق على الواقع بكل أبعاده: الزمان، والمكان، والأشخاص، وتكون العلاقة تبادلية بينه وبين الواقع من حيث تفاعله، فإن تم قبوله يُصبح فكراً جديداً يضاف إلى المعرفة، وإن لم يتم قبوله يتم إعادة تصحيحه وتنقيحه ويُعد من النظريات المجردة والنظرية.

خصائص دورة البناء الفِكْري:

١. دورة تكميلية ومستمرة "دورانية".

٢. دورة تبادلية بين النظرية والواقع.

٣. تعدد مجالات المعرفة وعدم تقييدها، وكذلك الأدوات بما يتناسب ومستجدات كل عصر.

٤. وجود مقاييس تضبط عملية الفِكْر، من خلال عرضها على المعايير والواقع.

ثانيا: أهمية البناء الفِكْري

بعد جمع التعريفات الاصطلاحية للبناء الفِكْري، والوقوف على عناصره، ومن خلال الاطلاع على مؤلفات العاملين بالفِكْر دراسة وتطبيقاً ننتهي إلى الفائدة المتوخاة من دراسته، والمنفعة المقصودة من تطبيقه في حياتنا العملية، من خلال الآتي:

أولاً: تقوم الثقافات والحضارات على مجموعة متكاملة من المعارف، وهي نتاج التفكير الإنساني المتراكم، ويُحكم عليه بالصحة أو الخطأ، فتكون نتائجه إما صحيحة فتُقبل، أو فاسدة فتُرد، ولأجل أن ننظم سير التفكير، ونصل لنتائج صحيحة في الغالب، أصبحنا نتلمس الحاجة لبناء فكري يهيئ لنا المسار الصحيح والمنهج القويم متى سرنا وفقهُ.

تكمن الحاجة في الانطلاق من القرآن الكريم والسنة النبوية لبيان لبنات البناء الفكري، والموازاة بينها وبين الواقع الذي يقوم به مع تحديد غاياته، فيصبح تفكيرنا علمياً ومنهجياً وذا نتائج صحيحة.

ثانياً: هذا البناء بجميع عناصره وبخاصة قواعده وضوابطه يُسهل علينا نقد الأفكار وتحديد مواطن العلة أو الخلل فيها، للوقوف على أسبابها فيسهل علينا تصحيح الأفكار وإعادة صياغتها لتصبح مقبولة.

ثالثاً: البناء الفِكْري يشمل كل العلوم بتنوعها، لكنه يُقعِّد لكل علمٍ ما يتناسب مع جوهره من ضوابط وخصوصيات، لذا يكون صالحاً لكل العقول وإن اختلفت تخصصاتها.

رابعاً: البناء الفِكْري يقوم بوظيفة تنظيم الفكر الإنساني ضمن أُطرٍ ومسارات واضحة، فيُنظم المدخلات المعرفية ويُرتبها، ويُعمِل العقل فيها للوصول إلى ما هو جديد، وهذا ما أمر الله تعالى به وأوجبه على الإنسان، والجديد الذي يصل إليه يكون قولاً أو فعلاً، وهذا ما يُحاسب عليه عند الله تعالى، فالله لا يُحاسبنا على أفكارنا ما لم نترجمها لأقوالٍ وسلوكات لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ اللَّهَ تجاوز لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أو حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أو تَكَلَّمْ**"[١].

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، رقم ٦١٩٩ واللفظ له. **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر، رقم ١٨٥، ١٨٦. من رواية أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

وهنا تظهر علاقة الأفكار بالمخرجات، فالفِكْرة هي أساس العمل القلبي أو العملي بشقيه: القول أو لفعل، وهي السبب الذي ينبثق منه كل ما يصدر عن الإنسان، فالعلاقة بينها سببية، فلا يُتصور حدوث فعلٍ دون أن يسبقه فكر.

قال الغزالي: "وأما ثمرة الفِكْر فهي العلوم والأحوال والأعمال، ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير، يقينا إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالعمل تابع الحال، والحال تابع العلم، والعلم تابع الفِكْر. فالفِكْر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك فضيلة التفكر، وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفِكْر ذكر وزيادة.." [١]. فالسلوك بشقيه القولي والفعلي يرتكز على الفِكْر انبعاثاً وتوجهاً انظر الأنموذج المجاور[٢]، ولا تبدأ مؤاخذة الشارع إلا إذا تُرجم الفكر لسلوكٍ قولي أو فعلي، كما تبين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق.



ولأن الأفكار هي مصدر كل ما يقوم به الإنسان[٣]، جاءت عناية الشارع ببناء المنهج السليم لتنظيم حركة الفِكْر ومسيرته وفق ضوابط وأسس معلومة، وهذا هو "البناء الفِكْري".

---

١ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**. دار المعرفة، بيروت، (ج٤، ص ٤٢٦).
٢ أنموذج يوضح أهمية الفِكْر وأثره على الحال والسلوك كما بينه الغزالي.
٣ قال إبراهيم الفقي: "فالفِكْر هو جذور كل سلوكياتنا، وأيضا نتائجنا، وهو السبب في حالتنا النفسية والعضوية، وصورتنا الذاتية، وتقديرنا الذاتي، وأيضا في الثقة في النفس أو عدمها". أنظر: **قوة الفِكْر**، دار الراية، ط١، ٢٠٠٩م، ص٨.

ثالثاً: خصائص[١] البناء الفِكْري الإسلامي في الحديث النبوي

تميز منهاج النبي عليه الصلاة والسلام في البناء الفِكْري بمزايا تفرد بها عما سواها من الأبنية الفكرية الأخرى لما احتواه من خصائص شاملة وخاصة في قوة طرحه له، وحقيقة مضمونه، وانبثاقه عن الإسلام وتفرعه منه، ويمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: خصيصة "الشمولية".

يتميز البناء الفِكْري في المنهاج النبوي بالتكامل والشمول ويتمثل الشمول فيه بصورٍ عدة تظهر من خلال ما يلي:

- **شمولية البناء الفِكْري للغايات والأهداف:**

بيّن المنهاج النبوي غاياتِ البناء الفِكْري فجعلها شاملة المستويين الدنيوي والآخروي، ثم جعل المستوى الدنيوي شاملاً غاية العبادة التي تنبثق عنها الغاية الثانية وهي الإعمار، فتناولت بذلك كل جوانب الحياة الإنسانية ولبّتْ جميع احتياجاتهِ، لذا كانت الغايات في المنهاج النبوي كُلية في رؤيتها الكونية، ومنظورها الإنساني، وشاملة للدارين.

من الغايات تنبثق الأهداف التي تختص بتفاصيل الإنسان فرداً وجماعة، لذا تميزت أهداف البناء الفِكْري بأنها جزئية متعلقة بمجالٍ محددٍ في المستويات الثلاث: الفردي، والجماعي، والإنساني. فالهدف جزئي يكتمل مع غيره من الأهداف لتشكل بمجموعها منظومة متكاملة تحقق الغايات، لذا نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن السلوك المُغالي بتمييز هدفٍ عن هدف، والتشدد بالنهي، فقد روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، "أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ"، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَمَا كَانَ**

---

١ الخصائص مفرد خصيصة، وهي مشتقة من مادة "خصص" التي تدل على التفرد، والخاص هو ما يخص الشيء وحده ولا ينفك عنه، ويتفرد به، ولا يشاركه فيه غيره. أنظر:
http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٨٪A٨٪D٩٪٨A&word=%D٨٪AE%D٨٪B٥٪D٨٪A٧٪D٨٪A٦٪D٨٪B٥

صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَام؟ قالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[١].

على شمولية الأهداف جاء البناء الفِكْري شاملاً لكل المجالات العلمية والعملية، ولم ينحصر في مجالٍ دون الآخر، وجُعل منطلقها من المصدر الأساسي للفكر وهو الوحي الإلهي، كما أن الشمولية تضمنت المناهج العلمية والعقلية، لذا كانت المناهج في الفِكْر وبنائه النبوي شاملة لكل ميادين العلم ومجالاته.

- **شمولية البناء الفِكْري للفئات النوعية والعمرية كافة.**

فالمنهج النبوي خاطب نوعي الإنسان المرأة والرجل، ولم يفرق بينهما في بنائهما الفِكْري، بل ساوى بينهما من حيث تطبيق الأسس وعدم مخالفة الضوابط..الخ. لذا كان الخطاب موجهاً لهما دون تمييز وتفضيل. فقد ثبت في المنهج النبوي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخصص للنساء يوماً لتعليمهنّ والإجابة عن أسئلتهنّ، **فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ:** "**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ** "[٢]. كما أنه كان يخصهنّ بالموعظة، فقد روى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: "**خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فِطْرٍ أو أَضْحَى فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ** "[٣]. كما أنه كان يوضح لهنّ الأفكار ويسمعُ منهنّ كما ورد في رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "**أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فِي أَضْحَى أو فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ. مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟**

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم (١٨٤٨). وكتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم (٤٨٢٥). وكتاب الأدب، باب حق الضيف، رقم (٥٦٩٦). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر..، رقم (١٩٧٠ و١٩٨٠). **متفق عليه**.

٢ البخاري، كتاب العلم، باب هل يُجعل للنساء يوم على حدة..، رقم (١٠٠). **صحيح**.

٣ **البخاري**، الصحيح،كتاب الجمعة، باب خروج الصبيان إلى المصلى، رقم (٩٢٧). وكتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة، رقم (١٣٤٦). وباب العرض في الزكاة، رقم (١٣٦٣). وكتاب النكاح، باب والذين لم يبلغوا الحلم منكم..، رقم (٤٨٧٤). **صحيح**.

قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"[١].

كما أنه وجّه البناء الفِكْري للأعمار المختلفة، فكان يبني الفِكْر للأطفال والكبار بما يناسب كل فئة من أساليب تتصف بالرفق والرحمة، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة رضوان الله عليها : "**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**"[٢]. وكان عليه الصلاة والسلام يختلط بجميع الفئات العمرية ولا يقتصر على الكبار ليوجه أفكارهم نحو الصواب ويشاركهم فيها، فقد روى أنس رضي الله عنه "**إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**"[٣]. وكان يتحين الفرص لتعليم الأطفال وتثبيت الأفكار السامية والمعاني الصحيحة في عقولهم، فقد ورد عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "**كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**"[٤].

يتضح جليا أن المنهج النبوي في بنائه الفِكْري كان شاملاً لكل أفراد المجتمع، مراعياً خصائص كل فئة ونوع.

ثانياً: خصيصتا "الأصالة والمرونة"

وضع المنهج النبوي أسساً ثابتة للبناء الفِكْري وهي مستمدة من الوحي الألهي، فهي من وضع الشارع جل في عُلاه، وهذا ما يُكسبها الشرعية والأصالة، ومن خلالها تُمنح كل أركان البناء الفِكْري صفة الشرعية أو عدمها، فالغايات والأهداف يجب أن تتصف بالشرعية لتكون مقبولة عند الله تعالى، وكذلك الحال في الشروطِ والأدوات والمجالاتِ.

---

١ **سبق تخريجه.**

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب، رقم (٦٤٤٣). (مختصراً). **ومسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٤٧٠٣). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه.**

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم (٥٦٩١). وباب الكنية للصبي وقبل أن يولد ...، رقم (٥٧٦٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الأداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم (٤٠١٠). **متفق عليه.**

٤ سبق تخريجه.

بينما جاء التطبيق العملي فيه مرونة نابعة من مرونة الأساليب التي استخدمها المنهج النبوي، ولتُناسب الواقع والعصر الذي تُطبق به.

وهذه الخصيصة تُتيحُ ظهورِ خصائصَ أخرى للبناء الفِكْري، هي:

- **خاصية "اللزومَ":**

فأصالة المقومات وشرعيتها وثبوتها من الشارع الكريم يجعلها مُلزمة بكل ما فيها للأفراد والمجتمعات، وهذا ما يجعلهم مسؤولين ومحاسبين على هذا البناء وتاديتهِ كُل حسب قدرته واستطاعته.

- خاصية "**التميز**":

يمتاز المنهج النبوي في بنائه الفِكْري بقوته وتميزه عن الأبنية الأخرى، لأن الذي وضعه للإنسان هو الخالق جلّ في علاه، ومصدره الوحي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية، لذا تراه يمتاز بعدم التضارب أو الاختلاف في ذاته، بينما الأبنية الأخرى الموضوعة من قِبل البشر توصف بالقصور والتضارب لأنها مبنية على العقل البشري المتصف بمحدودية العلم والإدراك.

- خاصية "**قابلية التنفيذ**":

المنهج النبوي في الفِكْر وبنائه ثابت ذو قواعد راسخة لا تتبدل بتبدل الأحوال، لأنه من وضع الله تعالى، كما أنه صالح للتطبيق في كل الأحوال والأزمان، ويشترط تفاعل ثمارهِ الإيجابية مع الواقع بأبعادهِ المتمثلة في الزمان، والمكان، والإنسان، وعدم الاقتصار على التنظير ووضع الفلسفات المجردة، فقد ورد من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لها: "**لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ، ثُمَّ لَبَنَيْتُهُ عَلَى أساس إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ وَجَعَلَتْ لَهُ خَلْفًا**"[١].

- خاصية "**التدرج في بنائه**":

وضح المنهج النبوي أن الفِكْر لا يمكن بناؤه إلا من خلال التدرج في عناصره للوصول إلى البناء المتكامل والتام، ومن ثم السير في تحقيق أهدافهِ وفق مسار واضح، وهذه الأهداف لا

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم (١٤٨٨). كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن..، رقم (١٢٤). وكتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم (١٤٨٧). وكتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، رقم (٦٧٢٩). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، رقم (٢٣٨٢). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

يمكن الوصول إليها دفعة واحدة، أومن خلال عمل واحد، بل تحتاج للتدرج الزمني والمكاني لتُكون بمجموعها الغايات المُتطلع لتحقيقها، وهذا التدرج يجعل البناء الفِكْري متصفاً بالقدرة على التأثير والتغيير، فهو يهدف إلى إنشاء الفرد والأمة ذات القيم والمبادئ المنبثقة عن المناهج السلمية والواضحة، ومن خلاله يُبنى الفرد المُصلح والأمة المؤثرة على من حولها، لذا كان الحث النبوي الدائم على المحافظة على القيم الإيمانية والعلمية والأخلاقية معاً.

- **تكامل التركيب:**

إن تركيب البناء الفِكْري في الحديث النبوي جاء متكاملاً لكل مكوناته، فلا يكتفي بجزءٍ عن باقي الاجزاء، بل العلاقة بين المكونات تكميلية تبادلية، فلا يمكن تجسيد الغايات إلا بعد تحقيق الأهداف ولا يمكن الوقوف على الأهداف ومعرفتها إلا في ضوء الغايات وشرعيتها.

وكذلك حالُ مصدر البناء الفِكْري لا يمكن فهمه واستغلاله إلا من خلال أدوات البناء وأساليبه، وهذه الأخرى لا يمكن معرفتها ومنحها الشرعية والقبول إلا من خلال المصدر.

- خاصية "**الحرية المنضبطة**":

فالحرية الفِكْرية شرط نابع من الأساس الإيماني المتأصل في البناء الفِكْري، وهذا ما يُملي على المفكر فردا وجماعة الالتزام بالشروط والأسس المرسومة، ويفتح أمامه الرؤية للتفكر والبناء دون قيودٍ ذاتية أو خارجية. كما أن هذه الحرية تسمح بتعدد النتائج حتى مع توحد المقدمات المبنية عليها، لذا أقر النبي عليه الصلاة والسلام اجتهاد الصحابة يوم قريظة، فقد ورد عَن ابْنِ عُمَرَ، **قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنْ الْأَحْزَابِ:"لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"**[1].

[1] **البخاري**، الصحيح، كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، رقم (٨٩٩). وكتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم..، رقم (٣٨٣٥). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من لزمه فدخل عليه أمرا آخر، رقم (٣٣٢٣).

الفصل الأول:

غايات البناء الفِكْري وأهدافه في الحديث النبوي

- **التمهيد**: "الغايات والأهداف": تعريفهما، والعلاقة بينهما، وخصائصهما في الحديث النبوي.
- **المبحث الأول:** تحديد غايات البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

المطلب الأول: الغاية الأساسية.

المطلب الثاني: الغاية التكميلية.

المطلب الثالث: الغاية العظمى.

- **المبحث الثاني:** تحديد أهداف البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

المطلب الأول: أهداف المستوى الفردي.

المطلب الثاني: أهداف المستوى الجماعي.

المطلب الثالث: أهداف المستوى الإنساني.

التمهـــيـــد: "الغايات والأهداف": تعريفهما، والعلاقة بينهما.

ينطلق البناء الفِكْري في الحديث النبوي من منهجٍ واضحٍ في تركيبه، ويُهدف من خلاله إلى تحقيق المقاصد الإلهية ضمن أُطرٍ ثابتة. وقد تمثل هذا من خلال الأنموذج التطبيقي الذي بناهُ النبي صلى الله عليه وسلم، حيث عَمِلَ من خلاله على تطبيق المنهج في الواقع ليكون صالحاً ومُصلحاً لعصره، ونبراساً يُقتدى بمضمونه في العصور اللاحقة. والمتتبع للأحاديث النبوية يجد أن "المنهج النبوي في البناء الفِكْري"[١] يعتمد على وجود غاياتٍ وأهدافٍ يسعى لتحقيقها، كما أنه يقوم على مجموعة من العناصر هي:

الشروط، والأسس والأدوات والمصادر، والأساليب، وسنتناولها من خلال فصول هذه الرسالة، ونبدأ في هذا الفصل التفصيل في المحور الأول وهو "الغايات والأهداف".

أولاً: تعريف الغايات والأهداف:

---

١ يمكن تعريف "المنهج النبوي في البناء الفِكْري" من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح المنهج على النحو الآتي:

أولاً: مصطلح المنهج في اللغة يدور حول معاني: الطريق والسبيل الواضح، أو الخطة المحددة للوصول إلى غاية معينة. أنظر: صليبا، **المعجم الفلسفي**، (ص١٩٥). ومحمد زيان عمر، **البحث العلمي: مناهجه وتقنياته**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، (ص٤٨).

ثانياً: اصطلاحا: استناداً للمعاني اللغوية هناك تعريفات اصطلاحية متنوعة تختزل بداخلها المعنى اللغوي بشقيه، أو تقتصر على أحد معانيه، ويمكن إجمال المعاني اللغوية في التعريفات الآتية "**فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.أنظر:**

http://sakhana.com/index.php?option=com_content&view=article&catid=٣٨&id=٨٨.

أ. "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" أنظر: بدوي، عبد الرحمن. **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات ــ الكويت، ط٣، ١٩٧٧م، (ص٥).

ب. مجموعة العمليات العقلية الاستدلالية تُستخدم في حل مشكلات العلم، وبناء العلم نفسه في مرحلة ما من مراحل تطوره. أنظر: الحارثي، إبراهيم بن أحمد، تدريس العلوم بأسلوب حل المشكلات النظرية والتطبيق. نقلاً عن: بشائر مولود توفيق، بحث بعنوان "**أثر أنموذج ثيلين في اكتساب المفاهيم التاريخية لطالبات الصف**"، مجلة البحوث التربوية النفسية، العدد٣٢، (ص٢١٨).

ومن هذه التعريفات نجد أن المنهج لا يتكون إلا إذا كان هناك طريق واضح مرسوم في الذهن، ليحقق الأهداف التي وُجد من أجلها. وبناءً على المعاني اللغوية والاصطلاحية للمنهج، يمكن لنا أن نُعرف المنهج النبوي بأنه: **الطريق المُنظَّم الواضح، الذي اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق غايات رسالة الإسلام.**

وعند إضافة المنهج النبوي لمركب "البناء الفِكْري" يُصبح المقصود منه: **الطريق الذي يُنظم العمل الفِكْري ويوجهه منذ البداية حتى يصير بناءً قائماً على أصول وقواعد، يُشكل بمجموع عناصره نسقاً متكاملاً، ويحقق الغايات والأهداف التي وضعها الشارع.**

– **تعريف "الغايات"**[١].

١. **لغة:** من مادة "غ ي ا"، الغاية مدى الشيء، والغاية أقصى الشيء[٢].

والغاية: الراية[٣]، وغايتك أن تفعل كذا: أي نهاية طاقتك، أو فعلك[٤].

٢. **اصطلاحاً:** يمكن إجمال المعاني الاصطلاحية لمفهوم الغاية بما يأتي:

– "ما لأجله وجود الشيء"[٥].

– وعُرف عند أهل البرمجة الزمنية بأنه: "معانٍ، غير مُتزامنة، مُتجاوزة، مُتعالية، مُهيمنة، وهي التي تحدد اتّجاه الحياة". وأوجزت بـــ: "وجهة الحياة ومعناها".[٦]

– **تعريف الأهداف:**

١. **لغة:** من مادة (هـــ د ف) وهو المشرفُ من الأرض، وإليه يُلجأ. والهدف: كل شيء عظيم مرتفع[٧]. والأهداف: الدّنو. وأهدف القوم: أي قرّبوا[٨].

٢. **اصطلاحاً:** يمكن إجمال المعاني الاصطلاحية للهدف بما يلي:

– نقطة يتوجه إليها في عملية ما، استراتيجية كانت أم تكتيكية[٩].

– وعُرّفت عند أهل البرمجة الزمنية بقولهم: "محطاتٌ زمنيةٌ مستقبلية، يُسطرها الإنسان لمختلف جوانب حياته، ولمدة معينة"[١٠].

– وعُرّفت عند أهل التربية بأنها: "الوسائل والأدوات الفعّالة لتحقيق الغايات"[١].

---

١ يُطلق البعض مصطلحات أخرى وهي بمعناها تتسأوى مع "الغاية". منها: المقاصد، الأهداف طويلة المدى... . ويؤكد هذا ما بيّنه نصر عارف محمد بقوله: حين يُقرر أن كثيراً من هذه النظريات يخلط بين الغاية والوسيلة، أو بين ما يمكن أن يُسمى أهدافٌ قصيرةُ الأمد أو أهدافٌ طويلة الأمد، أو بين الأهداف والغايات الرئيسة، والأخرى المساعدة. أنظر "**نظريات التنمية السياسية المعاصرة**"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار القارئ العربي، ١٩٨١م، (ص ٢٦١ـــ ٢٦٢).

٢ ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غ ي ا).

٣ ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غ ي ا). والفيومي، أحمد بن محمد المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية، بيروت، (ص ٦٣٥).

٤ الفيومي، **المصباح المنير**، ص٦٣٥.

٥ الجرجاني، **التعريفات**، (ج١، ص٢٠٧).

٦ باباعمي، محمد بن موسى. **أصول البرمجة الزمنية في الفِكْر الإسلامي "دراسة مقارنة بالفِكْر الغربي"**، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م، (ص١٤٧).

٧ ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هـــ د ف). والفيومي، **المصباح المنير**، (ص٦٣٥).

٨ ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هـــ د ف).

٩ .Lucius: CD Bibiliorom: Objectif نقلا عن: باباعمي، **أصول البرمجة الزمنية**، (ص ١٤٤).

١٠ باباعمي، **أصول البرمجة الزمنية**، (ص١٤٧).

ومن خلال العرض السابق لمعاني "الغايات" و"الأهداف" نقف قليلاً لبيان المقصود منها في البناء الفِكْري. حيث يمكننا القول بأن:

أ. **الغايات** هي: المقاصد النهائية التي يسعى البناء الفكري لتحقيقها. من خلال تحقيق مجموعة متتالية ومتكاملة من الأهداف.

ب. **والأهداف** هي: المقاصد المرحلية المتدرجة التي يُسار عليها للوصول إلى الغايات.

ثانياً: العلاقة بين الغايات والأهداف في البناء الفِكْري.

الأهداف هي الأجزاء الموصلة للغاية، وكل هدفٍ يُمثِّل محطةً من المسار المؤدي إلى الغاية، كما أن كل هدف يُمثِّل القاعدة والأصل الذي ينطلق منه الهدف التالي[٢]. فالغاية مجموعة أهداف عملية ومتتالية ومتراكمة.

ولتوضيح العلاقة بينهما يمكن التمثيل عليها بأنموذج توضيحي، ومن خلاله نحدد العلاقة بين الغاية والأهداف بالنقاط الآتية:

***علاقة تبادلية:** فالغايات توجه الأهداف وتمنحها الشرعية اللازمة، بينما تعمل الأهداف على تجسيد الغايات وتحقيقها[٣].

***علاقة تكاملية:** فالغايات تُشكل بمجموعها وحدة متكاملة، والوصول إلى أعظمها يستدعي تحقيق الباقي، رغم ما قد يظهر عليها من تخصص وانفراد، فإنه لا تصح فعالية أي منها دون الآخر. كما أن كل غاية تتكامل في عناصرها الداخلية، من خلال تكامل مجموعة الأهداف المؤدية لها والمحققة لمضمونها.

---

١ الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**، (ص ٢٥).

٢ لمزيد من التفصيل والتوضيح أنظر: الفقي، إبراهيم. **أسرار الشخصية الناجحة**، اكتشف قوة الذهن والزمن. دار سما للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، (ص ٧٥).

٣ الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**. (ص٢٨). قال: الأهداف التربوية توضح الأهداف التعليمية وتمنحها الشرعية، بينما تعمل الأهداف التعليمية على تجسيد الغايات التي تتضمنها الأهداف التربوية في ممارسات عملية... .

***علاقة تسلسلية:** أي أن الأهداف تتسلسل وفق منهجٍ محدد ورؤية واضحة، وهذا التسلسل أمر إلزامي للوصول إلى الغاية. والتسلسل يحتاج إلى الوضوح والترتيب، ليكون كلُ هدفٍ قاعدةً صلبةً تؤدي إلى الهدف التالي.

المبحث الأول: تحديد غايات البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

إن حركة العقل البشري تحتاجُ دائماً لمنهجٍ يضبطها، ويُنير دربها للازدهار وإعادة النظر في البناء الفِكْري وتشكيله أمرٌ يجب دراسته وتطويره، وبما أن تحديد "الغايات" هو أحد مقاصد البناء الفِكْري، لذا لا بُد من تحديدها والوقوف عليها.

إن المُطلع على نصوص الحديث النبوي يجد فيها تحديداً للغايات التي هُيئ البناء الفِكْري من أجل تحقيقها، فالمنهج النبوي التطبيقي وَضَع الطريق إليها ونظمها، ويمكن حصر هذه الغايات في مستويين، حيث تَظهر أهمية كل مستوى من خلال علاقته بالمستوى الآخر والقائمة على التكامل، لذا لا يمكن الفصل بينهما أو الاقتصار على أحدهما دون الأخر وهذان المستويان هما:

- **المستوى الأخروي**
- **والمستوى الدنيوي.**

ويمكن تفصيل بيانهما بالأنموذج التوضيحي، وبما يأتي:

- **المستوى الأول: المستوى الأخروي.**

وهذا المستوى يشتمل على الغاية العظمى من البناء الفِكْري وهي: "رضوان الله تعالى".

- **المستوى الثاني: المستوى الدنيوي.**

وهذا المستوى يشتمل على غايتين هما:

- الغاية الأساسية: "عبادة الله تعالى وتوحيده".
- و الغاية التكميلية المنبثقة عن الغاية الأساسية: "الإعمار الأرضي".

المطلب الأول: الغاية الأساسية: "عبادة الله تعالى وتوحيده".

بيّن الله تعالى في القرآن الكريم الغاية من خلق الإنسان والجانّ وهي عبادته. قال جلّ في عُلاه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ **إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[١]. وهذه العبادة يُقصد بها "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة..."[٢]، وهي الأساس الذي يسعى المنهج النبوي في بنائه الفِكْري للوصول إليها من خلال بيان أهميتها، وتوسيع إطارها في أذهان الأفراد، لتكون أساساً ينطلق منه الفرد لبناء المجتمع وإعمار الأرض.

إن هذه العبادة ترتكز على توحيد الله تعالى ومعرفته حق المعرفة، قال الله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ، إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ}[٣]. وقـــال الله عز وجل مؤكدا على أن توحيد الله تعالى وعبادته هي غاية مشتركة بين جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[٤].

وهذا التوحيد هو ما سعى الحديث النبوي إلى تثبيته في نفس المسلم وتأكيده من خلال العقل والإيمان وقبل إلزامه بالفرائض من العبادات، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**"[٥].

ومن ثم ربطه بتحقيق الغاية العظمى من دخول الجنة، فعَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا**

---

١ آية ٥٦ من سورة الذاريات.

٢ وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العبودية، ثم فصل في بيان ما يدخل تحت هذا الاسم الجامع بقوله: "... فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة". أنظر: الفوزان، صالح بن فوزان، **شرح رسالة العبودية**. اعتنى به وأعده للنشر: فهد بن إبراهيم الفعيم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ، (ص١١- ١٤).

٣ آية ٣٦ من سورة الرعد.

٤ آية ٥٢ من سورة الأنبياء.

٥ **البخاري**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدة من الأغنياء وترد...، رقم (١٤٠٧).وكتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم (٤٠٢٥). صحيح.

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ "[1]. وعن عتبان رضي الله عنه: "**..فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**"[2].

إن توحيد الخالق يبدأ بالفكر الصحيح حتى يصل إلى الاعتقاد الجازم واليقيني، وعبادة الخالق ترتكز على ركنٍ أساسي ليستقيم أمرُها وتُقبل عند الله تعالى، وهذا الركن هو "التكليف"، فالعبادة واجبة على المكلفين وتسقط عن غير المكلفين، وإن مناط التكليف هو "العقل"، فمتى وُجد العقل وجبت العبادة، والعقل هو أداة التفكر التي لا يُستغنى عنها في البناء الفِكْري، وهذا ما يوضح لنا ربط الكثير من النصوص القرآنية بين العبادة والتفكر، وكذلك الحال في المنهج النبوي الذي ربط بينهما وجعلهما متلازمين ليكتمل البناء بهما. قال ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ}، ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ**"[3]. فهذا الحديث يُظهر علاقة الفكر بالعبادة، فالعبادة هي المُبتغى الأساسي من وجود الإنسان وخلقه، وهي لا تكون دون توحيد الله تعالى والإيمان الجازم به القائمين على معرفته من خلال الفكر والتدبر السليمين، ومن ثم تطبيق أوامره ونواهيهِ والالتزام بتعليماته.

لذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يقسم ليلته بين تفكر في الكون من خلال النظر في النجوم، وبين العبادة، كما أن الرضى بتوحيد الله يوصل للذة الإيمان وقمته، فقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: "**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**"[4].

---

[1] **البخاري**، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، رقم (٣٢٠٤). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير..، رقم (٤٤). **متفق عليه**.

[2] **البخاري**، الصحيح، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب المساجد في البيوت، (٤١٠). كتاب الأطعمة، باب الخزيرة، رقم (٥٠٠٧). **صحيح**.

[3] **البخاري**، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب}، رقم (٤٥٦٩). وكتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء، رقم (٦٢١٥). وكتاب التوحيد، باب ما جاء في تحليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق، رقم (٧٤٥٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم (٤٨)، وفي روايته تكرار النظر. **متفق عليه**.

[4] **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا..، رقم (٥٢). من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. صحيح.

كان النبي عليه الصلاة والسلام ينهى عن الإشراك ويحث على التوحيد وحفاظه من كل ما يمسهُ فكرياً، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ"[١].

إن النبي عليه الصلاة والسلام يُبين أن الله تعالى لا يرضى الإشراك به بأي صورة من صور الشرك، كما أنه ينهى عن كثرة السؤال التي لا فائدة منها والتي تفتح باب الشيطان. فقد ورد عن أَبُي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى، يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ** "[٢].

لذا نهى عليه الصلاة والسلام عن الأعمال التي يظهر فيها الشرك، كلبس التمائم، فقد روى عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ** "[٣]. **وَقَالَ عليه الصلاة والسلام:"مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ"**[٤].

كما ونهى عن اتخاذ الأشجار وما يشابهها للتبرك أو التعبد لها، فقد ورد عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، **أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خُيْبَرَ، مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"**[٥] .

كما ونهى عن تعظيم الأشخاص وترفيعهم لمنزلة الإلوهية وغيرها، ونهى عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد حتى لا يقعوا في الشرك، فقد ورد عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:"إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّه، أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، **قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**

---

[١] **مسلم**، الصحيح، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل..، رقم (٣٢٤٢).

[٢] **البخاري**، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٠٥٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله..، رقم (١٩٥). متفق عليه.

[٣] **أبو داود**، السنن، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، رقم (٣٣٨٧) . **وابن ماجه** ، السنن، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، رقم (٣٥٢٩). صححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك، ج٤، ص٢٤١.

[٤] **أحمد**، المسند، (ج٤، ص١٥٦)، صححه الحاكم في المستدرك، (ج٤، ص٢٤٤).

[٥] **الترمذي**، السنن، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم..، رقم (٢١٠٦). وقال: حديث حسن صحيح.

خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ "[١].

كما أن المنهج النبوي جعل العبادةَ حقاً لله جل في عُلاه، وواجبةً على العباد، ليمنح هذه الغاية الشرعية والوجوب معاً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ»**"[٢].[٣]

ووضح المنهج النبوي أن العبادة شاملة لكل السلوكيات الصادرة عن الفرد، ولم يقصره على العبادات الخاصة كالصلاة والصيام والحج.. الخ، ومن النصوص النبوية الدّالة على هذا: " **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أو يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أو إِنْسَانٌ أو بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ** "[٤]. وحديث "**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**"[٥].

وبهذا المفهوم الشامل ترى الفرد يتحرى بكل قولٍ وعملٍ إخلاص النية له تعالى ليحقق العبادة المحضة فيما يصدر عنه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ**

---

[١] **مسلم**، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (٨٣٢). صحيح.

[٢] **البخاري**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦). وفيه زيادة: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا». و كتاب الأدب، باب من أجاب بلبيك وسعديك، رقم (٦٢٦٧). وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم (٧٣٧٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاكٍّ فيه دخل الجنة وحُرم على النار، رقم (٤٨ــ ٥١). وفي رواية رقم (٤٩) زيادة: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. **متفق عليه**.

[٣] قال النووي رحمه الله: "فحق الله تعالى على العباد معناه ما يستحقه عليهم متحتما عليهم، وحق العباد على الله تعالى معناه أنه متحقق لا محالة ". النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هــ، (ج١، ص٢٣١).

[٤] **البخاري**، الصحيح، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٢٣٢٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٢). من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه**.

[٥] **البخاري**، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحِسبة، ولكل امرئ ما نوى، رقم (٥٦). وكتاب الجنائز، باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد ابن خولة، رقم (١٢٩٥). وكتاب المغازي، باب حجة الوداع، رقم (٤٤٠٩). وكتاب المرضى، بَابُ قَوْلِ المَرِيضِ: " إِنِّي وَجِعٌ، أَو وَا رَأْسَاهْ، أَو اشْتَدَّ بِي الوَجَعُ، رقم (٥٦٦٨). وكتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، رقم (٦٣٧٣). وكتاب الفرائض، باب ميراث البنات، رقم (٦٧٣٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم (٥). من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. **متفق عليه**.

امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[١].

وإن التفكر من الأفعال التي تسبق أي سلوك، لذا يجب أن يكون خالصاً لله تعالى، لأنه عبادة محضة، ويجب أن يسير وفق المنهج النبوي لتحقيق ما يسعى له.

ومن المعلوم أن العبادة تحتاج إلى فكرٍ منصف يُوضح المجاهيل إن وجدت، ويفتح الآفاق أمام العقل والقلب للتدبر، وأمام الجوارح لحُسن الأداء، والعبادةُ إذا ارتبطت بالتفكر الدائم والدؤوب والسليم ينتج عنها معرفة الله تعالى، وإدراك قدرته وعظمته وإبداعه في الخلق. ومن ثم تترجم العبادة بالسلوك القويم لإدراك الغايات الأخرى وتحقيقها، فلا يستطيع الفرد تحقيق الغايات الأخرى إلا إذا أتمّ هذه الغاية وأتقن فهم العبادة وتطبيقها في كل مجالات حياته.

كما أنه لا يستطيع الوصول إلى الغاية العظمى إلا بتحقيق هذه الغاية تصديقاً لحديث أبي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: مَا لَهُ، مَا لَهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَبٌ مَا لَهُ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**"[٢]، وهذه الغاية ترتكز على مقومات يجب توافرها، ليكتمل تأسيسها على وجهٍ صحيح، ولتُبنى عليها الغايات الأخرى، ومتى تعطلت أو حدث خللٌ في أحدها، وقع الانحراف والخلل في البناء بكل مستوياته، ويمكن إجمال هذه المقومات بما يلي:

أولاً: التكليف: بيّنت سابقاً أن العبادة لا تصح ولا تُطلب إلا من المكلفين، فأما غير المكلفين فإنهم غيرُ مطالبين بالعمل أو العبادة، وهذا ما نصّ المنهج النبوي عليه صراحةً، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

" **رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبَرَ**"[٣].

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (١).
وكتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، رقم (٦٦٨٩). وكتاب الحيل، باب في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها، رقم (٦٩٥٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، رقم (١٥٥). رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه. متفق عليه.

٢ **البخاري**، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣١٤). وكتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، رقم (٥٥٥١). رواية أبي ايوب. **صحيح**.

٣ **أبو داود**، السنن، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدّاً، رقم (٣٨٢٤). **والنسائي**، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، رقم (٣٣٩٦). **وابن ماجه**، السنن، كتاب الطلاق، باب طلاق

وقال عليه الصلاة والسلام تعقيباً على من يقوم الليل لا يدري ما يتلو في صلاته ومؤكداً على ضرورة الوعي: "**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ**"[١]، وفي روايةٍ قال عليه الصلاة والسلام: "**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**"[٢]، فالتكليف هنا يتطلب العقل والبلوغ والوعي التام.

ثانياً: الإخلاص: بيّن القرآن الكريم قيمة الإخلاص كركنٍ لقبول العبادة عند الله تعالى في آياتٍ كثيرة تثبيتاً لهذه القيمة في النفوس، قال الله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}[٣]. وقال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا **إِلَّا لِيَعْبُدُوا** اللَّهَ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[٤]. فالأمر بالعبادة يتحقق بإخلاص النية لله تعالى، ووجود إخلاص قلبي دون عمل وتعبُد لا يصح، فمتى اختل أحدهما لم نجد للآخر القبول عند الله تعالى.

والنية أمرٌ قلبي لا يعلمه إلا الله تعالى، لذا كان هو القادر على محاسبتنا عليها، لأنه يعلم خبايا القلوب وتوجهاتها، قال جل في عُلاه: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ **يَعْلَمْهُ اللَّهُ** وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[٥]، وأكدّ المنهج النبوي هذا الأمر، لذا جعل مدار قبول العمل بكل أنواعه من الفرد المُكلف هو "الإخلاص بالنية" لله تعالى فقط، أي يجب لقبول العمل وتحريك العبادة في الفرد والمجتمع أن يخلص النية لله تعالى ولا يشرك بأي عمل أو قولٍ معه أحداً أو شيئاً، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحين الفرص لتثبيت الإخلاص وتجديده في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم. **فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي،**

المعتوه والصغير والنائم، رقم (٢٠٤١ــ ٢٠٤٢). من حديث عائشة رضي الله عنها. **قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.** أنظر: المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، (ج٢، ص٦٧).

١ **مسلم**، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أو اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أو الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أو يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح.**

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم ومن لم ير...، رقم (٢٠٧). **ومسلم**، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أو اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أو الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أو يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، رقم (٢٢٢). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه.**

٣ آية ٢ من سورة الزمر.

٤ آية ٥٧ من سورة البينة.

٥ آية ٢٩ من سورة آل عمران.

قالَ:"أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ"[١]، فالحديث يوضح أهمية إخلاص النية، ودوره في تزكية العمل وقبوله عند الله تعالى.

ومن أجل أن يُحققَ البناء الفِكْري غاية العبادةِ، لا بد أن يلازمه الإخلاص في كل لبناته ليكون خالصاً لله تعالى. فقد بيّن النبي عليه الصلاة والسلام شرطَ الإخلاص وتصحيح النية لتكون خالصة لله تعالى بقوله: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[٢].

كما ربط المنهج النبوي مشاعر الفرد جميعها كالحُبِّ والكراهيةِ بالله تعالى ،وربط الأفعال كذلك، وجعل هذا من كمال الإيمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**"[٣].

ونَبّه المنهجُ النبوي إلى ترفع الله تعالى عن قبولِ كلّ عملٍ يُشركُ بهِ غيرُهُ، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**"[٤]. وحديث "**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**"[٥].

وجعل المنهجُ النبوي خاتمةَ الإخلاصِ تحقيقَ الغاياتِ العظمى في رضوان الله تعالى ودخول الجنة، لقولِ الرسول صلى الله عليه وسلم: "**ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً، إلا فتحت له**

---

١ **الحاكم**، المستدرك، رقم (٧٩١٢). البيهقي، **شعب الإيمان**، رقم (٦٣٥٧). قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، رقم (١).
وكتاب الأيمان والنذور، باب النية في الإيمان، رقم (٦٦٨٩). وكتاب الحيل، باب في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها، رقم (٦٩٥٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، رقم (١٥٥). من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ **أبو داود**، السنن، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونُقصانه، رقم (٤٦٨٣). من حديث أبي أمامة. و**الترمذي**، السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، باب، رقم (٢٥٢١). من رواية معاذ بن انس الجهني رضي الله عنه وفيه زيادة : (وأنكح لله). **قال الترمذي: هذا حديث حسن**.

٤ **مسلم**، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٤٦). من رواية أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٥ **البخاري**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم (٢٨١٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا فهو في سبيل الله، رقم (١٤٩). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. **متفق عليه**.

أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر"[1]. **وانطلاقاً من هذا الأساس يبدأ الفرد بالغاية التكميلية في الدنيا وهي إعمار الأرض:**

١ **الترمذي**، السنن، أبواب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، رقم (٣٥٩٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: **حديث حسن غريب من هذا الوجه.**

المطلب الثاني: الغاية التكميلية "الإعمار الأرضي".

لاكتمال منظومة الغايات في المنهج النبوي على المستوى الدنيوي، وانطلاقاً من مرتكزات الغاية الأساسية وأركانها "عبادة الله تعالى" والتي قامت على بناء التوحيد والإيمان الحقيقي في الفرد والمجتمع، والوصول إلى عظمة الله تعالى وقدرته العظيمة في الكون، ومسؤولية الفرد عن أعماله، واشتراط النفعية فيها لتكون سبباً في تحسين المعيشة، يصل البناء الفِكْري إلى مرحلة "الإعمار الأرضي" التي وُجد الإنسان من أجلها، ومنحه الله تعالى مسؤولية القيام بها بتكليفه بها دون المخلوقات. قال الله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا **وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ** إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }[1]. وقال جل في عُلاه: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[2]. وقال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ **وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}[3].

والإعمار وظيفة الإنسان في الأرض ومن أجلها منح الله تعالى المسلم مقومات البناء الفِكْري من خلال المنهج التطبيقي النبوي الذي يُعدُّ أنموذجاً لإعمار الأرض في كل مجالاته ومستوياته. فجاء تحريم الاعتداء على الكائنات الحية عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، لَا يُقْطَعُ عِضَاهُهَا، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا**"[4]، لذا كانت من وصايا النبي عليه الصلاة والسلام أفراد جيشه وقادتهم بأن لا يخربوا أو يدمروا أي شيء يمكن أن يؤدي لتدهور إعمار الأرض، فقد ورد عن بريدة رضي الله عنه قَالَ:"**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ..**"[5].

---

١ آية ٧٢ من سورة الأحزاب.
٢ آية ٣٠ من سورة البقرة.
٣ آية ٦١ من سورة هود عليه السلام.
٤ **مسلم**، الصحيح، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى عليه وسلم، رقم (٢٤٣٣).
٥ **مسلم**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تامير الإمام الأمراء على البعوث، رقم (٣٢٦٧).

والبناء الفِكْري هو الأساس الذي وضّح مفهوم الإعمار الأرضي، من خلال تجلية وظيفة الإنسان وحدودها في الأرض، ليُمكنه من تحقيق مستوياتٍ استخلافيةٍ راقيةٍ وفق إمكانات عصره، وأخرجه من الإطار النظري للتطبيق العملي النافع من خلال بيان أبعاده العملية وآثاره الإنسانية المصلحة لكل شيء، منطلقاً من الأساس التعبدي الذي يمنحه الشرعية، ويجعل منه منظومة متميزة بخصائصه عن غيره.

لقد توضحت هذه المنظومة من خلال المنهج النبوي الذي اشتمل على مجموعة أوامرَ تحض على جلب المنفعة والخير في كل مجالات الحياة، وجعلها سبباً للتقرب من الله تعالى، ونيل رضاه وثوابه.

ويمكن أن نوضح ذلك بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على الزراعة وإعمار الكون زراعياً[١]. فقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بزراعة الأرض وجعلها خضراء نضرة "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أو يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أو إِنْسَانٌ أو بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**"[٢]. وفي رواية "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ**"[٣]، فالأمر هنا يشمل العناية بالمخلوقات، فمن خلال مجموعهم يُعمر الكون، ولا يمكن أن يتم ذلك لو كان الفرد أنانياً، لأن الأنانية تمنع امتداد الخير والمنفعة للجميع.

ويُلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط بين هذا العمل – الزراعة – وبين الأجر والثواب، فجعل كل مَنْ يأكل أو يستفيد من هذا الغرس أو هذه الشجرة، بإذنٍ من صاحبها أو دون علمه، سواء أكان إنساناً أم حيواناً سبباً في حصول الأجر والثواب. واستمر النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على الزراعة حتى لو لم يملك الفرد وقتاً، فلا يجوز التقصير بذلك مهما كانت الأسباب، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**"[٤]. وحتى لو لم يملك أرضاً صالحة للزراعة فإنه منحه حق إحياء الأرض وجعله سبباً لتملكها، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

١ علماً أن تناولها سيكون ضمن الأهداف لذا سأقتصر على مثالٍ واحد حتى لا يكون هناك تكرار.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب المزارعة، فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٢٣٢٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، الرقم (١٢). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ **مسلم**، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، الرقم (٧). من حديث جابر رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ **أحمد**، المسند، رقم (١٢٦٥٨و١٢٧٣٦). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال شعيب الأرناؤوط: **إسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة**، (ج١، ص٨).

قَالَ: "**مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ، قَالَ عُرْوَةُ: قَضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلاَفَتِهِ**"[١].[٢]

كما أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن تلويث عناصر الأرض التي يشترك الناس فيها، فقد ورد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: " **لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ**"[٣].

وحتى يتم تحقيق الإعمار الأرضي لا بد من إعمال العمليات العقلية وتطويرها، فلا إعمار للكون دون ذلك، وهذا يتطلب وجود بناء فكري متكامل وشامل للإعمار بكل مستوياته، لأن الإعمار الأرضي ليس فعلاً يُؤتى بخطوة، بل هو عملٌ منهجي منظم لأجيالٍ متتابعةٍ، وفق منهجٍ واضح.

وبعد تحقيق غايتي المستوى الدنيوي، يصلُ الفرد إلى الغاية العظمى في المستوى الأخروي، وهي:رضوان الله تعالى.

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، رقم (٢٢٣٥). **صحيح.**

٢ ولأهمية هذا الأمر حث النبي صلى الله عليه وسلم على مجموعة من التشريعات منها: المزارعة، والمساقاة.. وهذه التشريعات تناولتها كتب الفقه من حيث الأحكام بشيء من التفصيل وتناولها من درس البيئة وأهمية الأشجار، والتنمية الزراعية بتفصيل يخدم الموضوع كل من جانبه وعلمه.

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الراكد، رقم (٢٣٤). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، رقم (٤٢٩). متفق عليه.

المطلب الثالث: الغاية العظمى "الغاية الأخروية" رضوان الله تعالى ونيل جنته.

بيّن الله تعالى أن الغاية العظمى التي يرجوها المسلم، ويسعون لتحقيقها هي نيل رضوانه تعالى ودخول الجنة، وهما أمران متلازمان، فلا يدخل الجنة إلا بعد رضى الله. ولأهمية هذه الغاية فقد وردت آياتٌ قرآنيةٌ كثيرةٌ تدعو إلى العمل للفوز بالجنة ونيل رضوانه جل في عُلاه، وقد جمع الله تعالى بين الأمرين وجعل رضوانه هو الفوز الأعظم الذي يناله أهل الجنة. قال الله تعالى: {وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ **جَنّاتٍ تَجْرِي** مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ **وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ** ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[١]. وهذه الغاية أيضاً هي ما دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم في منهجه النبوي، فالحديث القدسي التالي يُجلي الغاية بوضوح. **قال رسول الله صل الله عليه وسلم "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"**[٢].

وهذه الغاية هي العظمى عند كل مسلم، وأهل العلم والفِكْر يجب أن يكونوا الأكثر فهماً وتعمقاً لكيفية تحقيقها، وتوفير السُبل بكل أنواعها للوصول إليها، وكيفية التصدي للانحراف عنها.

لذا وضعنا هذه الغاية هي العظمى في البناء الفِكْري، فالمنهج النبوي في البناء الفِكْري هو العمود الفقري الذي يجب أن يوجد في الأمة، ليصل الأفراد إلى تحقيق هذه الغاية، ودونه يقع الفرد بالانحراف والضلال، والتيه والضياع.

إن الأحاديث النبوية في معظمها تشجعُ العمل والفعل المؤديين إلى هذه الغاية، وهذه الأفعال هي الأهداف التي يُسعى لتحقيقها في البناء الفِكْري. فكما هو معلوم أن كل عمل أو قول يصدر عن الفرد يكون فكرةً في ذهنه قبل أن يُترجم إلى سلوك، لذا جاء المنهج النبوي مهذباً السلوك وبانياً للفكر من خلال تحقيق المعطيات الفِكْرية، وتصويبها وإعمال النظر فيها، ومن ثمّ

---

١ آية ٧٢ من سورة التوبة

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (٦٥٤٩). وكتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، (٧٥١٨). **ومسلم**، الصحيح، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضى على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، رقم (٩). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. **متفق عليه**.

مراعاة مدى تفاعلها مع البيئة من عدمه، ومن ثم الخروج بمعرفة جديدة تكون في الغالب أمراً سلوكياً: قولاً أو فعلاً.

وإن من الأعمال التي تكون سببا في تحصيل الجنة ونيل رضى الله تعالى:

أ. التقوى وحُسن الأخلاق: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : " **تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ** " ، **وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ، فَقَالَ : " الْفَمُ وَالْفَرْجُ** "[1].

ب. العلم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: "...**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**"[2].

جـ. الأعمال الإيجابية: فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قالَ النبي عليه الصلاة والسلام:"**أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**"[3].

كما أن نيل رضوان الله تعالى ودخول جنته له أثار مُقدِمة في الحياة الدنيا منها حب الله تعالى للفرد المسلم لاتصافه والتزامه بما أمر به ، وابتعاده عما نهى عنه ، فعن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ : فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ : الشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ**"[4].

---

[1] **الترمذي**، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حُسن الخلق، رقم (١٩٢٣). قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

[2] **مسلم**، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم (٤٨٧٣).

[3] **الترمذي**، السنن، كتاب صف ة يوم القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة اواني الحوض، رقم (٢٤٢٢). وقال: حديث صحيح.

[4] **الترمذي**، السنن، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في كلام الحور العين، رقم (٢٥٠٩). وقال: حديث صحيح.

ومحبة الفرد المسلم لله تعالى تؤدي لمحبة لقائه والسعي من خلال الأعمال الحسنة لذلك وعدم الخوف من الموت، فقد ورد عنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**"[١].

المبحث الثاني: تحديد أهداف البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

يسعى المنهج النبوي لتحقيق الغايات التي يتطلع البناء الفكري للوصول إليها، وحتى نتمكن من تحقيقها لا بُد من رسم طريقٍ واضح المعالم من خلال تحديد الأهداف، فتحديد الأهداف أمرٌ لازمٌ وحتميٌ، وإلا سار البناء بغير إرشاد ولا ضبط، فهو مُنظِم لمسيرة البناء من الخطوة الأولى إلى أن تُحقق الغايات.

ولأن الأهداف تسير معا في البناء الفِكْري وإن تفاوت درجاتها، نرى أن المنهج النبوي وزّعها على مستوياتٍ ثلاثة تتناسب مع حال الإنسان، وتتدرج به في مسارٍ متسلسل لتحقيق الغايات.

وهذه المستويات تمنحنا مساحات أوسع وأعمق لفهم أبعاد البناء الفِكْري في الحديث النبوي وإدراك حقيقته وجوهره من خلال فهم الكليات والمقاصد التي تقوم عليها، دون التعمق في الجزئيات والتفصيلات[٢]. فالبناء الفِكْري يهتم ببيان الكليات المتعلقة بالأهداف وتحديدها، لأنها تُعدّ جوهر الموضوع وأساسه، فهي تشتمل على كل الفروع المتجددة.

ويمكن بيان مستويات أهداف المنهج النبوي في البناء الفِكْري من خلال التقسيم والأنموذج الآتي:

أولا: المستوى الفردي.

ثانياً: المستوى الجماعي.

ثالثا: المستوى الإنساني.



---

[١] **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم (٦٠٥٤).
[٢] لأن الدراسة التجزيئية للأهداف توقعنا في التكرار، كما أنها طويلة وكثيرة ومتجددة ومتشعبة لا تُستوعب في دراسة واحدة.

فهذه المستويات الثلاثة تبدأ نواتُها بتحقيق الأهداف التي تحقق فرداً مؤهلاً لأن يكون خليفة الله في الأرض، ومن ثم إيجاد الأمة الصالحة لإعمار الأرض، ومن ثم الإرتقاء بالبشرية جمعاء. ويُلاحظ من الأنموذج السابق أن الأهداف تتصف بالتكامل فيما بينها، وبالمرحلية فلا يمكن الإرتقاء لأي مستوى دون أن ننهي المستوى السابق له، وهي بمجموعها تحقق الغايات الكبرى.

ويمكن البدء بتوضيح هذه المستويات فيما يلي:

المطلب الأول: أهداف المستوى الفردي.

يهدف المنهج النبوي في بنائه الفِكْري للفرد ليكون صالحاً مُصلحاً متوازناً قادراً على تحمل عبء الخلافة، لذا ترى الأحاديث النبوية راعت في تحقيق هذا المستوى عدة كليات شملت الفرد بكل أبعاد حياته ومجالاتها، كما أنها جاءت متفقة مع طبيعة الفرد مهما تعددت ظروفه أو اختلفت.

فالرؤية النبوية لهذا المستوى وباقي المستويات تقوم على محور "**جلب المنفعة، ودرء المفسدة**". وهذه الرؤية هي المحور الأساسي الذي بُنيت عليه "المقاصد الشرعية"[١]، التي استنبطت من النصوص الشرعية لتبني حياة الفرد في شتى مجالاته، وتمنحه الحياة الطيبة.

فأهداف البناء الفِكْري في المنهج النبوي جاءت متفقة مع طبيعة الفرد وصفاته البشرية، وراعت مصلحته من خلال الأوامر التي تجلب له المنفعة، ومن خلال النواهي التي تبعد عنه الشر.

كما يقوم هذا المستوى على مجموعة أهدافٍ كُليةٍ، تُعدُّ منطلقاتٍ يجب ألاّ يخرج المفكرون عنها عند بنائهم هذا المستوى وتحقيق أهدافه. فهذه الكُليات هي التي ينصب عليها جهدهم لبيانها وتوفير كل ما يمكن أن يساعد على فهمها وتطبيقها، وقد وضحها المنهج النبوي لتشتمل في حقيقتها وجوهرها على منظومة متكاملة تُعدُّ مواداً أولية ومواضيع رئيسية لإعمال الفِكْر فيها. وهي من الثوابت التي لا تتغير بتغير الأوقات أو الأماكن أو الأشخاص، وإن تفاوت

---

١ عرف ابن عاشور "مقاصد الشريعة" بأنها: الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتى أو تحمل على السعي إليها امتثالاً". أنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**. الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (ص١٤٦).

وعرفها علال الفارسي بقوله: المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها. أنظر: **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**. مطبعة السلام، الرباط، ١٩٧٩م، (ص٣).

فهمها وتطبيقها لتفاوت قدرات المفكرين وأحوال الأفراد وصفاتهم. ويمكن إجمالها وتوضيحها من خلال المحورين الآتيين:

<u>المحور الأول:</u> بيان هوية الإنسان[١] وحقيقتِه:

يهدف البناء الفِكْري إلى بيان هوية الإنسان وحقيقته، وتبرز أهمية هذا الهدف الكُلي بأن الإنسان هو المحور الفعّال والمسؤول في هذه الدنيا، وهو المخاطب والمطالب بتحقيق الغايات، فهو المدار الرئيس الذي يقوم عليه وبه البناء الفِكْري. فتحديدُ الهويةِ للإنسان الفردِ يجعلهُ أكثر تفاعلاً مع أدوارهِ في الحياة، ويرتقي به نحو الأفضل، ويُبعده عن الشك في نفسهِ أو قدراتهِ، ليرسم مستقبله بوضوحٍ وثقة. كما أنها تمنحه سبباً للسعي والجهد لينطلق في الحياة واضعاً نُصب عينيه أن هذه اللحظات التي يحياها على الأرض مؤقتةٌ وستنتهي لتبدأ حياة الخلود في الآخرة، وأنه مُحاسبٌ على ما يقوم به مهما صغر أو كَبُر.

وهذا هو الهدف التي تناولته الدراسات التنظيرية في شتى العلوم، ويدور حوله الفِكْر الإنساني، وهذا هو سببُ عنايةِ المنهجِ النبوي بتوجيه الفِكْر له، ووضّحَ السُبل لبيان ماهيته وحقيقته ليكون من المُسلمات التي تُقعِّدُ للبناء الفِكْري الصحيح.

وانطلاقاً من هذا الهدف الكُلي تنبثق مجموعةٌ من الأهداف التصورية والعملية، يسعى المنهج النبوي في البناء الفِكْري إلى تحقيقها والإجابة عن مضامينها، ويمكن إجمالُها من خلال الآتي:

١. التأصيل المعرفي لأصل الخلق والنشأة ونهايته.

٢. تحقيق البناء الذاتي للفرد وتكريمه ورفع شأنه من خلال منح الفرد الحقوق الإنسانية.

٣. احترام الذات الإنسانية دون تمييز أو تقصير.

٤. تحديد وظيفة الإنسان على الأرض وتقييدها بأنها تكليفٌ من الخالق.

وقد اشتمل المنهج النبوي على هذه المضامين، فقد بيّن **التأصيلَ لأصل خَلق الإنسان ونشأته ومصيره**، من خلال قول النبي عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ**

---

[١] هوية الإنسان: حَقِيقَتُهُ المُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الجَوْهَرِيَّةُ. وهي حقيقةُ الشيءِ أو الشخص التي تميزه عن غيره. وهي إحساس الفرد بنفسه وفرديّته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكيَّاته وأفكاره في مختلف المواقف. أنظر http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٨٪A٨٪D٩٪٨A&word=%D٩٪٨٧٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٩ .

كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ"[١]. فهذا الحديث يُظهر أن الله تعالى يعلم جميع أحوال الإنسان بدءاً من قبل نشأة الخلق حتى خاتمته، وفيه تأصيل معرفي لأصل الخلق وكيفيته التفصيلية، وهذا الأمر يُورث الطمأنينة في النفس، فلا يسعى الفرد للتفكر إلا بما يمنحه مزيداً من الإيمان، كما أنه يؤدي إلى الاستقرار النفسي والعقلي، فلا ينظر إلى تلك النظريات التي وُضعت في أصل النشأة والخلق التي تقلل من شأن الإنسان، وتتركه في حيرة وتيهٍ وتشكك في أصله كنظرية داروين وغيرها[٢].

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم ٣٣٣٢. وكتاب القدر، باب في القدر، رقم ٦٥٩٤. وكتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ}، رقم ٧٤٥٤. **ومسلم**، الصحيح، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقأوته وسعادته، رقم ٢٦٤٣. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ – ومن هذه النظريات النظرية التي تدّعي أن الحياة وُجِدَت وتطورت مصادفة على وجه الأرض. أنظر: http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=٤٨٠&issue=٤٥٦

– ومن النظريات التي اهتمت بتفسير نشأة الخلق، نظرية "التخلُّق اللاحيوي"، وتدعي هذه الفرضية أن المادة الحية نشأت في أول الأمر نتيجة تفاعل مواد غير حية في ظروف خاصة، وسادت هذه النظرية في أوروبا في القرن الرابع قبل الميلاد. أنظر:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪A٣٪D٨٪B٥٪D٩٪٨٤_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪A٩.

– ومنها أيضاً نظرية التطور والنشوء والارتقاء وهي النظرية التي أطلقها داروين، وتنص على "إنّ أصل كل المخلوقات من مواد عضوية تطورت حتى كونت خلية واحدة فخليتين وصولا إلى السمكة فالتمساح ثم القرود وانتهاءً بالإنسان ويدّعي "داروين" أن هذا كله حصل بفعل أن المخلوقات الأكثر تأقلمًا مع البيئة هي التي عاشت على حساب المخلوقات الأضعف منها وهي النظرية المسماة الاختيار الطبيعي (Natural Selection)". أنظر:

http://laelhad.wordpress.com/٢٠١٢/٠٨/٠٧/%D٨٪A٥٪D٨٪B٩٪D٨٪AF%D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٩٪٨٦٪D٨٪B٨٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٨٪AF%D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٩٪٨٦-%D٨٪A٨٪D٨٪AE%D٨٪B١٪D٨٪AA%D٩٪٨٧٪D٨٪A٧-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٣٪D٩٪٨A%D٩٪٨٥٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪A١-%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦/

– وتعد النظريات الآتية هي أبرز النظريات في تفسير أصل نشأة الحياة:

١."نظرية التطور الكيميائي: تكّون جسم الكائن الحّي من مواد كيميائية معقدة التركيب، مثل البروتينات، والحموض (DNA–RNA) النووية.

افترض العالمان الروسي أوبارين، والانجليزي هالدين (أن المواد العضوية التي تكّون أجسام الكائنات الحيّة نشأت من مواد أولية بسيطة غير عضوية كانت موجودة في جّو الأرض البدائي).

٢.نظرية التطور العضوي: تعد هذه النظرية امتداد لنظرية التطور الكيميائي. إن المواد العضوية المعقدة تتجمع مع بعضها لتكّون ما يُسمى بالحساء البدائي، الذي يتكون من: جسيم كروي– جسيم بروتين– جسيم دهني– جزيء ماء.

وهذا الهدف يُحدد معايير واضحةً للفكر، فلا يصح للمفكر أن يخرج عمّا وضحه المنهج النبوي في أصل النشأة والخلق، أو يتعداه في فهمهِ وفِكره، ويجب الانطلاق من خلال هذه المعايير لتحقيق الأهداف الفرعية، ليُقرَّ الإنسان بهذا الهدف – وهو أصلُ نشأته – ويؤمنَ به دون شك، ويورثَهُ طمأنينةً وسكينةً في تقدير خلقه ونفسه.

كما أن المنهج النبوي اعتنى **بالبناء الداخلي للفرد**، ليمنحه الاستقرار والسكينة من خلال عنايته بأهداف تحقيق الذات وبناء النفس له، فأعلى من شأنه حيث بيّن المنهج النبوي أن واهب الكرامة هو "**الله تعالى**" قال جلّ في عُلاه: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[١]. وهذه الهبة تمنح الثبات والرسوخ لهذه الصفة فلا يجوز أن يسلبها أي أحد من الأفراد، ولا يصح للفرد أن يتنازل عنها، لأنه إن فعل سيعيش بالذل والهوان.

وسعياً لتحقيق ذات الفرد وبنائها على أرض الواقع جاء المنهج النبوي منذ بدايته لترسيخ الحقوق الإنسانية والحفاظ عليها، فمنح الفرد الحرية التي تسير وفق ضابط عدم الضرر أو الإضرار[٢]. ومنحه حرية الفِكْر والاعتقاد ابتداء، وحرية الاختيار والعمل والتصرفات، وربط هذه الحرية بالمسؤولية والمحاسبة من الله تعالى.

كما أن المنهج النبوي أمر **باحترام الذات** لأي فردٍ دون نظرٍ أو اعتبارٍ لأي أمرٍ مادي: كالعمر أو اللون أو العِرق أو الدين أو الجسم... الخ، وحرّم كل ما يؤدي إلى استعباد الإنسان واستذلاله وهتك كرامته، لذا نهى النبي الكريم عن التعيّير بأي أمرٍ يَمَسُّ كرامة الإنسان ويجرح

وعند توفر الظروف المناسبة من درجة الحرارة، والحموضة، يتحوّل الحساء البدائي إلى عنقوديات (والتي تختلف في التركيب عن الحساء البدائي بوجود غلاف مائي وجزيء سكر).

٣.نظرية تطور الخلايا: (تحوّل العنقوديات إلى خلية أولية): يُعتقد أن العنقوديات تتطور إلى خلية أولية في ظروف خاصة، حيث تتكون الخلية الأولية من تركيب يشبه الغلاف، وحمض نووي RNA ومواد عضوية مختلفة. إن الخلية الأولية مصطلح مجازي غير موجود على أرض الواقع، ويشير إلى تجمع من المواد العضوية المعقدة، ترتبت بطريقة ما كما تخيل ذلك التطوريون، ينقصها أهم صفة وهي الحياة، والتي جوهرها التنظيم، والإتقان، وأداء العمليات الحيوية". أنظر:

http://www.minhaji.net/lessoncontent/٢٧٢٦/%D٨٪AB%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪A٧-%D٩٪٨٦٪D٨٪B٨٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪AA-%D٩٪٨٦٪D٨٪B٤٪D٩٪٨٨٪D٨٪A١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪A٩.html

١ آية ٧٠ من سورة الإسراء.

٢ قال النبي عليه الصلاة والسلام: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"، **ابن ماجه**، السنن، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، رقم (٢٣٣٣ و٢٣٣٤). و**أحمد** في مسنده، (ج١، ص٣١٣، وج٥، ص٣٥٢). من حديث عبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم. **قال شعيب الأرناؤوط: حسن.**

ذاته ويقلل من شأنه، فقال لأبي ذرٍ رضي الله عنه عندما فعل ذلك:"... **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ...**"[١]. كما أنه نهى عن الضحك على دقة قدمي ابن مسعود رضي الله عنه، فعزز نفسه ورفع من قيمته بقوله عليه الصلاة والسلام: "**ما تضحكون! لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد**"[٢].

ومن خلال المبادئ السابقة حقق المنهج النبوي الأمن والأمان الداخلي للفرد. وقد تحققت هذه القيم عند الصحابة وغيرهم من المؤمنين، لذا ترى عباراتهم وسلوكاتهم تدور حول هذه المفاهيم. فمن ذلك تأديب عمر وهو خليفة المسلمين لواليهِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما :"**مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!**"[٣].

ووضح المنهج النبوي أن هناك معياراً ثابتاً للمفاضلة بين الناس، وهذا المعيار لا يقوم على الأمور المادية كما هو في غالب الثقافات والحضارات الأخرى، كما أن البشر مهما ازداد تقدمهم المادي والعقلي لا يستطيعون القياس به، **فهو معيار لله تعالى** وهو أصدق المعايير وأدقها ليكون الحساب جوهرياً وعادلاً بعيداً عن الأمور الثانوية، وهذا المعيار هو "التقوى" فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "**قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ. قَالَ: أَتْقَاهُمْ** .."[٤].

واعتنى المنهج النبوي **بتوجيه البناء الفكْري لوظيفة الإنسان ودوره في الحياة**، فهو لم يُخلق عبثاً، أو دون جدوى كما زعم بعض المنظّرين، ولكن الله تعالى خلقه لتأدية وظيفة معينة تتحقق بالغايات الدنيوية، فالإنسان مخلوق وُجد من أجل خلافة الله تعالى في الأرض، وهذه الخلافة تقوم على عبادة الله تعالى أولاً، وإعمار الأرض ثانياً، لذا هو مطالب بالقيام بواجباته متى بلغ التكليف.

وهذه الوظيفة –خلافة الله في الأرض – هي هبة من الله تعالى للإنسان، لذا ترتب عليها أن يُسخر الله تعالى للإنسان كل ما يحتاجه لأداء هذه الوظيفة قال الله تعالى: **{أَلَمْ تَرَوْا أَنّ اللّهَ**

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، رقم ٣٠. وكتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، رقم ٦٠٥٠. **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ، رقم ١٦٦١. من حديث أبي ذر رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ أخرجه **أحمد** من رواية علي رضي الله عنه، ج١/ ص١١٤. رقم ٩٢٠. ورواية زر بن حبيش، ج١/ ص٤٢٠. رقم ٣٩٩١. **قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.**

٣ ابن أعين، عبد ارحمن بن عبد الله القرشي، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، دار الفِكْر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٨٣.

٤ **البخاري** في صحيحه، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، رقم ٣٣٥٣ و٣٣٧٤ و٣٣٨٣ و٣٤٩٠. **ومسلم** في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، رقم ٢٣٧٨. **متفق عليه**.

سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الْأَرْضِ}[١] وقال:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ **وَسَخَّرَ لَكُمُ** الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ **وَسَخَّرَ لَكُمُ** الْأَنْهَارَ. **وَسَخَّرَ لَكُمُ** الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[٢].

كما أن تحديد وظيفة الفرد من الله تعالى وهو الخالق والمُشرع لنا، تُلزم الفرد باتباع منهج الله تعالى المُنزل عن طريق الوحي، وعدم الخروج عن الحدود التي رسمها له.

فالبناء الفِكْري ينطلق من هذا المحور ليكون أكثر تفاعلاً مع الواقع ضمن حدود المنهج الرباني، ولا يقتصر في المعرفة أو العلم على المصادر التجريدية والحسية، بل يملك مصدراً رئيساً للمعرفة والبناء الفِكْري هو "الوحي الإلهي".

ومن نِعم الله تعالى علينا لإكمال هذه الوظيفة، أن أكمل الدين وجعله تاماً لا نقص فيه، قال الله تعالى: {...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ..}[٣].

والمنهج النبوي في البناء الفِكْري واضحُ المعالمِ والأسسِ لا يشوبه كدرٌ أو سوءُ فهمٍ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم"...**وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**"[٤]. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن للناس كل ما يحتاجونه من أمورهم ليكتمل عندهم البناء الفِكْري. انظر لقول سلمان رضي الله عنه: "**قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ، فَقَالَ: أَجَلْ إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ، أَو يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ، وَقَالَ: لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ**"[٥]. وهذا المنهج هو أمر رباني متبع من قِبل كل الأنبياء والرسل عليهم السلام، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّهُ لَمْ**

---

١ آية ٢٠ من سورة لقمان.

٢ الآيتان ٣٢ و٣٣ من سورة إبراهيم عليه السلام.
كما أن هذا الاستخلاف يمنح الإنسان دوره الأول، الذي يستطيع من خلاله أن يُغير ويُبدل في أشكال المادة والأمور المُسخرة له، وهو الذي يقود اتجاهها وليس العكس، فالإنسان هو الذي ينفذ قدرة الله في الأرض من خلال ما سخر الله له من طاقات ونواميس لينهض بمهمة الخلافة، وهذا لا يعني إغفال أثر القوى المادية أو الاقتصادية على الإنسان، وفي الحدود التي لا تخل بأولوية الإنسان في التغيير، فالأحوال المادية بجملتها لكي تنشئ أي تغيير لا بد أن تمر من خلال وسيط إنساني. أنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، م١، ص٦٠ – ٦١.

٣ جزء من آية ٣ من سورة المائدة.

٤ **ابن ماجه**، السنن، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٥. من حديث أبي ذر رضي الله عنه. **قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد وإسناده حسن. المسند، ج٢/ ١١٧. وقال الألباني: حسن.**

٥ **مسلم**، الصحيح، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم ٢٦٢. **صحيح**.

يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ"[1].

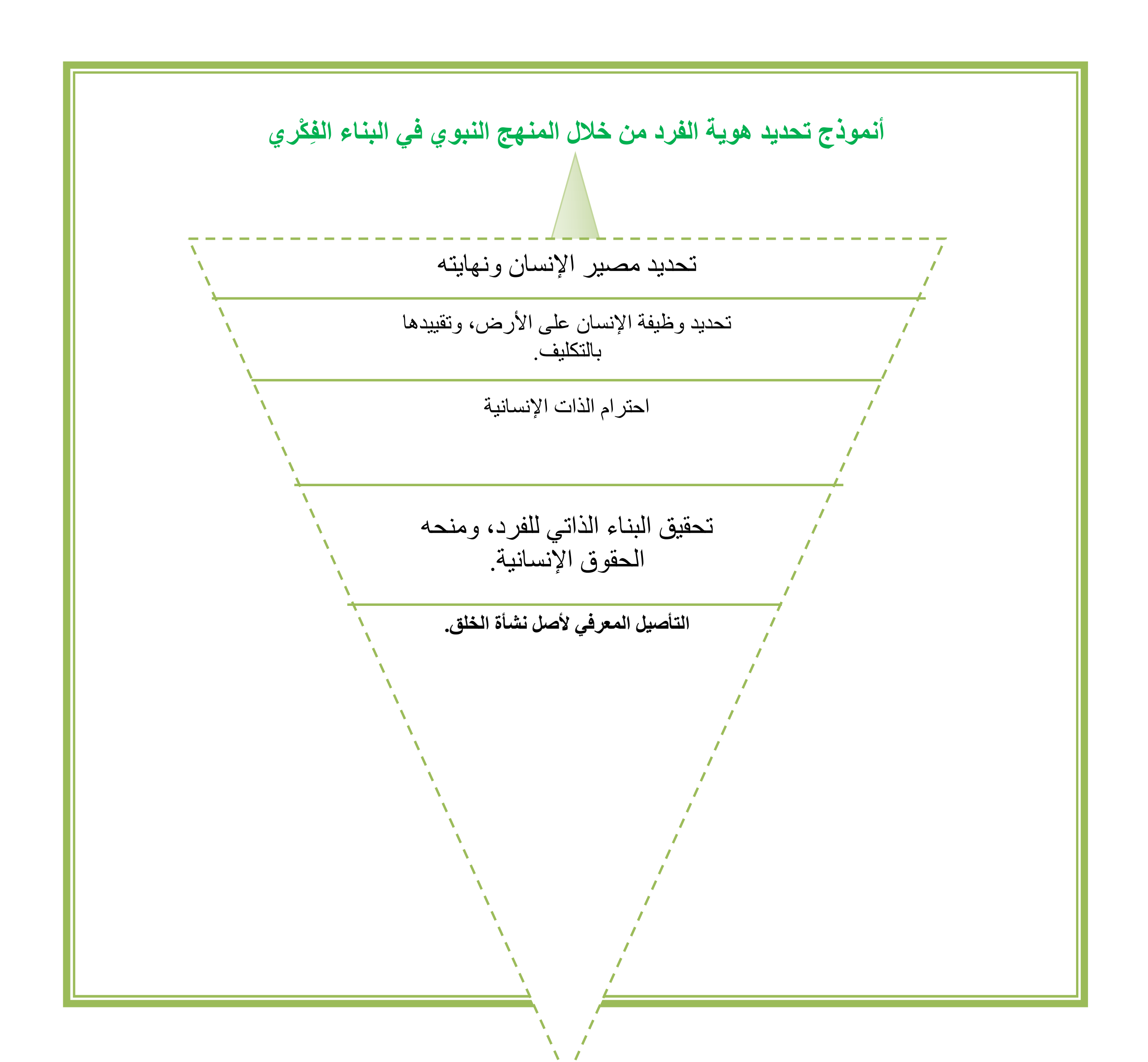
لذا جُعل هذا المنهجُ ضابطاً ليُقوم الفِكْر وما ينبثق عنه من أقوال وسلوك ضمن الإطار المنهجي الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم، لذا تراهُ يشدد الوعيد لمن يخالف هذا المنهج[2]، فتغيير القول والعمل لا يكون إلا بعد حصول الفِكْر المنحرف والخاطئ الذي لا يكون ظاهراً للناس، فقد ورد في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام "**نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**"[3]. لذا يُعد الالتزام الذاتي بالضوابط من أبرز سمات المنهج النبوي في البناء الفِكْري كما سيتضح في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

١ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، رقم ١٨٤٤. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. **صحيح**.

٢ **مسلم**، الصحيح، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم ١٧١٨. من حديث عائشة رضي الله عنها. **صحيح**.

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يُخاف منها، رقم ٦٤٩٣. وكتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، رقم ٦٦٠٧. من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه. **صحيح**.


أنموذج تحديد هوية الفرد من خلال المنهج النبوي في البناء الفِكْري
تحديد مصير الإنسان ونهايته
تحديد وظيفة الإنسان على الأرض، وتقييدها بالتكليف.
احترام الذات الإنسانية
تحقيق البناء الذاتي للفرد، ومنحه الحقوق الإنسانية.
التأصيل المعرفي لأصل نشأة الخلق.

المحور الثاني: بناء الفرد من خلال تلبية احتياجاته.

لقد أسس الشارع الكريم قواعد للحفاظ على الفرد من خلال حفظ الضروريات التي تقوم عليها حياته فيما يتعلق بــ: العقل، والروح، والجسد، والنفس، والمال. فهذه الجوانب هي قوام حياته الرئيسة وأركان شخصيته وذاته، والإخلال بأحدها يعني وجود خلل عنده، واختلال في شخصيته.

دعا المنهج النبوي في البناء الفِكْري إلى حفظ الضرورات الخمس للفرد، وأمر بالتفكر والتدبر ليُعمل في خدمة هذه المجالات بإدراك ما ينفع الفرد وما يضره، فيجلب المنفعة له بعد فهمه لأوامر الشارع وتطبيقها في كل وقت ومكان، ويُبعد المفسدة عنه من خلال إدراك معاني فحوى خطاب الشارع في النواهي واجتنابها. كما أن فهم المفكر العميق لهذا الأمر وإدراكه لتداعياته يدفعه إلى التأكيد على أهمية توفير هذه الحاجات الأساسية حتى تستقيم حياة الأفراد[١]، وحتى يستطيع الإرتقاء بالفرد ليُحقق وظيفته في الأرض، وجاءت عناية المنهج النبوي في البناء الفِكْري بهذه الجوانب من خلال الآتي:

أولاً: اعتنى المنهج النبوي بالبناء العقدي والعقلي للفرد بصورة متوازية، فانطلق لبناء العقيدة الصحيحة التي توجه العقل وترسم له مساره المستقيم، وتمنعه من الانحراف أو التجاوز[٢]. وحَفِظَ المنهجُ النبوي العقلَ، لأنه المؤدي إلى معرفة الله تعالى وتوحيده، والاهتداء إلى الإيمان[٣]. وهو الذي يمنح الفرد المسؤولية والتكليف.

فالبدء بالبناء الإيماني والعقدي هو الأساس الذي انطلق منه المنهج النبوي في البناء الفِكْري، وهذا ما قرره الصحابي جندب بن عبد الله رضي الله عنه بقوله: **"كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم ونحن فتيان حزأورة[٤]. فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن . فازددنا به إيمانا"**[٥].

---

١ بكار، تكوين المفكر، ص ١٢٦.

٢ أنظر: شابرا، محمد عمر. **الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة**، ص٦١. نقل عبارته هنا بين اقواس نقلها نصياً.

٣ إسماعيل رضوان و عليان الحولي، العقل في السنة النبوية "دراسة تحليلية تربوية". (مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٣، العدد الثاني، ٢٠٠٥م.). ص٢٧٠.

٤ حَزَاورةَ: جَمْعُ حَزْوَرَ، ويقال أيضاً: حَزوَّر إذا قارب أنْ يَبْلُغ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـــ، (ج٣، ص٧٥٨).

٥ **ابن ماجه**، السنن، باب في الإيمان، رقم ٦١. **قال الهيثمي في الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح رجاله ثقات. وصححه الألباني.**

فالتوحيد والإيمان لا يكون إلا بعد التفكر الحثيث والدؤوب، فبعد أن تستقيم أفكار الفرد يستقيم قوله وعمله، ولا يمكن أن يستقيم الأخيران إلا باستقامة الفِكْر، وباستقامته يَنال الغاية العظمى في الآخرة، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[١].

واعتنى المنهج النبوي بتنمية الملكات الفِكْرية وتطويرها عن طريق حثه على إعمال العقل بالتفكير والتثبت من كل ما يقرره عن طريق البرهان والتدليل عليه بعيداً عن المضللات والمقررات الفِكْرية الخاطئة، وهذا ما قررهُ النبي صلى الله عليه وسلم عند خسوف الشمس بقوله: "**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا**"[٢].

وتظهر عناية المنهج النبوي بتنمية القدرات العقلية والفِكْرية من خلال الأساليب التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم من طرح الأسئلة، وفتح المجال أمامهم للاجتهاد وتصحيح مسارهم، وتصحيح الانحرافات الفِكْرية الخاطئة وتصويبها... الخ[٣].

وتتميز العناية النبوية للفكر من خلال محافظتها على العقل وصونه من كل ما يؤدي إلى اختلاله أو انحرافه عن التفكير الصحيح. فترى أن المنهج النبوي بدأ بإزالة العوائق التي تُقيّد العقل، أو تَحُدُّ مسارَه، أوتحرفهُ، وتنقية الفِكْر من الأساطير والخرافات، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الطيرة "**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ..**"[٤]، ونهاه عن إتيان الكهان حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "**سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا مِنَ الجِنِّيِّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**"[٥].

---

١ آية ٣٠ من سورة فصلت.

٢ **البخاري** في صحيحه، أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، رقم ١٠٤٢. وكتاب بدء الوحي، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم ٣٢٠١. **ومسلم** في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة الجامعة، رقم ٩١٤. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ سنتنأول هذه القضية والأحاديث الواردة فيها خلال المبحث التالي ان شاء الله. لذا لم أفصل هنا.

٤ **البخاري**، كتاب الطب، باب الجذام، رقم ٥٧٠٧. و باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن، رقم ٥٧١٧. وباب لا هامة، رقم ٥٧٥٧، و٥٧٧٠. **ومسلم** في صحيحه، كتاب السلام، باب لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ، وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ، رقم ٢٢٢٠ – ٢٢٢٣. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٥ **البخاري**، الصحيح، كتاب الطب، باب الكهانة، رقم ٥٧٦٢. **صحيح**.

ونهاهُ عن تناول كل ما يؤدي إلى اختلال تفكيره كشرب الخمر. فعن **ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ مِنْ: العِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالعَسَلِ وَالحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَالخَمْرُ مَا خَامَرَ العَقْلَ"**[١]. وبرزت عناية المنهج النبوي بإلزام الفرد بطلب العلم والتعلم، ففتح أمامه مصادر المعرفة والعلم، وحذر من كتمانه، أو افترائه، أو تزييفه، أو الاقتصار على الظني منه، أو الحياد عن الموضوعية واتباع الهوى فيه، كما ألزمه به وحاسبه عليه، لذا قرنه بالعمل وحاسبه عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: **"لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"**[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: "... **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"**[٣].

ثانياً: اعتنى المنهج النبوي بتلبية احتياجات الفرد الوجدانية والجسدية بتوازنٍ تام، لأن هذه الجوانب لها تأثيرٌ واضحٌ على الفِكْر وتَوَجُّهِهِ ومساره، فالفِكْر الإنساني يتأثر سلباً أو إيجاباً بتوافر احتياجاته الجسدية، كالغذاء، والمسكن، والنكاح، والمال.. الخ، وبتوافر احتياجاته الوجدانية والعاطفية، لذا توجهت عناية المنهج النبوي لهذه الجوانب وشملتها بالفهم والاستيعاب وعدم الإهمال أو التقصير في توفيرها. أو الإفراط، وأمره بالأخذ بأسباب القوة والخير، ليكون فعّالاً في المجتمع وليس عالةً عليه. فقد ورد عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، " أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ**

وأخرج مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم ٥٣٧. **عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ».**

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: {إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}، رقم ٤٦١٩. **ومسلم**، الصحيح، كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر، رقم ٣٠٣٢. **متفق عليه.**

٢ **الترمذي**، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، رقم ٢٤١٧. من حديث أبي برزة رضي الله عنه. وقال الترمذي: **هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلأوة القرآن، رقم (٤٨٧٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح.**

كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ"، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ ، قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام ؟ قَالَ : نِصْفَ الدَّهْرِ ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ، يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ : يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "[١].

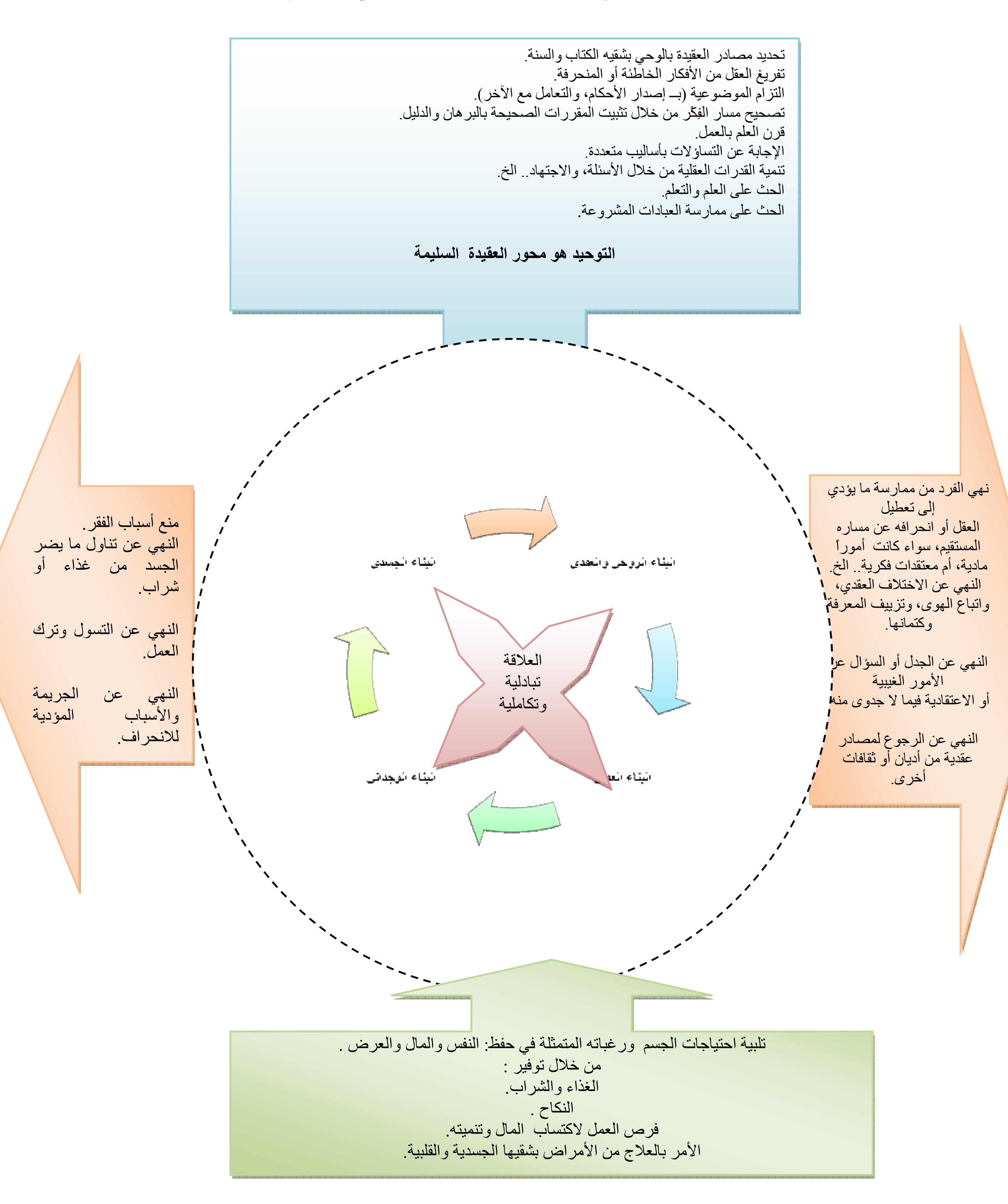
ومع توجُّه عناية المنهج النبوي في البناء الفِكْري إلى تلبية الاحتياجات المادية المتعلقة بالفرد، إلا أنه راعى في البناء الفِكْري ألا يكون هذا هو المطلب الأساسي له، أو الغاية التي يسعى إليها، لئلا تسبب له خللاً عقدياً فيجعلها همّهُ الأكبر أو إلهه، أو تسبب له عدم الاستقرار النفسي، وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم: "**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**"[٢]. فالمنهج النبوي في البناء الفِكْري اعتنى بالمستوى الفردي لإيجاد خليفة الله في الأرض، المتصف بكونه: إنسانا حرا موحدا متوازنا فعّالا ايجابيا.

---

[١] **البخاري**، الصحيح، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم (١٨٤٨). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر، رقم (١٩٧٠). متفق عليه.

[٢] **البخاري**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم ٢٨٨٦. وكتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، رقم ٦٤٣٥. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

أنموذج تلبية احتياجات الفرد في المنهج النبوي



المطلب الثاني: أهداف المستوى الجماعي

اعتنى المنهج النبوي في البناء الفِكْري بالجماعة المسلمة وتطويرها والارتقاء بها، لتكون صالحة لإعمار الأرض، فسعى إلى تحقيق مصلحة الجماعة، وتنمية كل المجالات المتعلقة بها سواء كانت: اقتصادية، أو اجتماعية، أو عسكرية، أو سياسية.. الخ. والبناء الفِكْري يهدف إلى تحقيق احتياجات الأمة والجماعة المسلمة من خلال النظر في شؤونهم ومراعاة مصالحهم. كما أن للبيئة أثراً واضحاً في تنمية الفِكْر وتطويره، وتأهيل المفكرين، فهي تؤثر على أخلاق الأفرد وعلاقاته بكل مستوياتها، وعلى توجيه مسار الفِكْر وتطلعاته لديهم. وقد حقق البناء الفِكْري هذا المستوى من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف التي تقوم عليها:

١. بناء التنظيمات الجماعية والمؤسسات العامة والخاصة وتنميتها بما يتناسب مع تطور المجتمع وبما يخدم الأمة الإسلامية، ومن صور هذه التنظيمات على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بناء المسجد، ليكون مكان عبادة وقاعدة لتنظيم الدولة في كل شؤونها، وهذا ما سعى النبي عليه الصلاة والسلام إلى تطبيقه عند دخوله المدينة المنورة وبدء بنائه للدولة الإسلامية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، كنواةٍ أولى لبناء الدولة، ومن ثمّ بدأ بتشييد مقرٍّ يجتمع فيه المسلمون ويتدأولون شؤونهم وأمورهم فيه وهو "المسجد".

اعتنى الرسول عليه الصلاة وراعى بناء المسجد لبناء دولته في المدينة المنورة، فقد ورد عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:"**لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ ، يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ : فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ ، قَالَ : فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ ، قَالَ : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفَهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ ، قَالَ : فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا ، فَقَالَ : " يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا "، فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، قَالَ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ ، وَبِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ ، قَالَ : فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، قَالَ : وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ حِجَارَةً ، قَالَ : جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ**

وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ ، يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَانْصُرْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ"[١].

كما نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى إبراز أهمية هذه التنظيمات، فأثنى على حلف كانت تقوم به قريش في الجاهلية وهو حلف الفضول، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله:"**شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ**"[٢].

٢. تنظيم الأمة من جميع جوانبها (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والعلمية).

إعتنى المنهج النبوي ببناء الدولة والمجتمع من جميع جوانبها، لما لها من تأثير في تقدم الفِكْر أو تأخره، ولأن هذه الجوانب تفتح أمام المفكرين أبواباً متجددة لإعمال الفِكْر وتطبيقه، لأن المجتمعات ذوات طبيعة متغيرة، ولا بد للفكر من أن يتفاعل معها –المجتمعات– ومع المتغيرات.

فالحالة الاقتصادية مثلاً تترك تأثيراً على نفسية الفرد وأفكاره، ويتفاوت هذا التأثير بتفاوت درجة الفقر أو الغنى، فالفقير يسعى دائماً وراء لقمة العيش، ولا يستطيع التفكر لانشغاله غالب وقته بالسعي لتوفير متطلبات الحياة، والغني مشغول بتحصيل المال وإنفاقهِ، كما أنهما الفقر والغنى يؤديان إلى انحرافات فكرية سلوكية، لذا تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم منهما، قال النبي عليه الصلاة والسلام: أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** "[٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ**

---

[١] **البخاري**، الصحيح، كتاب المناقب، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٦٦٤). **صحيح.**

[٢] **أحمد**، المسند، ج١/ ص١٩٠. رقم ١٦٥٥. وج١، ص١٩٣. رقم ١٦٧٦. قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمْ يُصِبْ الْإِسْلَامُ حِلْفًا إِلَّا زَادَهُ شِدَّةً، وَلَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ"، وَقَدْ أَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُرَيْشٍ، وَالْأَنْصَارِ". **قال شعيب: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالرحمن بن إسحاق ، وقول الزهري هذا مرسل وقد ورد معناه في أحاديث صحيحة موصولة. وصححه الألباني في السلسة الصحيحة.**

[٣] **البخاري**، الصحيح، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من فتنة الغنى، رقم (٥٩٢٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وباب التعوذ من فتنة الفقر، رقم (٥٩٢٧). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها..، رقم (٤٨٨٣). **متفق عليه.**

الْمَغْرَمِ، فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ "[١]. وبين المنهج النبوي كيفية التعامل مع الفقر والغنى، فأمر الفقير بالصبر على الفقر حتى لا يقنط من رحمة الله، وكذلك أمر الغني بالشكر على النعم ليربطه بالله تعالى ويتعبده في كل أحواله ويُحقق غاياته. وهذا الأمر يتعلق بالمؤمن دون غيره لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**"[٢].

وكذلك الحال فيما يتعلق بالأمن الاجتماعي والعسكري للدولة، فالخوف سبب في تشتت أفكار الفرد والجماعة، وحصر توجه تفكيرهم في حماية أنفسهم، وعدم القدرة على تنمية فكرهم وتطويره بسبب الإرهاق النفسي وعدم الاستقرار. وهذا ما حدث في المرحلة المكية من الدعوة، فقد كان بعض المسلمين مستضعفين في الأرض ويخافون على حياتهم وأنفسهم، لهذا لم يكن الجو المجتمعي مناسباً وملائماً لتطوير الفِكْر ونشره. واقتصر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة على البناء العقدي الداخلي للفرد لعدم وجود دولة قائمة ومستقلة تحافظ على حياتهم. بينما اختلف الوضع كُلياً في المرحلة المدنية، إذ نجد أن البناء الفِكْري تطور وتشعبت فروعه، لاستقرار المسلمين وأمنهم على أنفسهم.

وكذلك اعتنى المنهج النبوي في إيجاد العقوبات على ما يحدث من تقصير أو جرائم تؤثر على البناء المجتمعي، وشرع من الأحكام ما يحفظ للمجتمع استقراره وأمنه الداخلي.

وراعى في هذا عدم التمييز والمساواة بين الناس في تطبيق ذلك، فقد ورد في الصحيح "**أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ**

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم (٧٩٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٩٣٠). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٢ **مسلم**، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم ٢٩٩٩. من حديث صهيب رضي الله عنه. **صحيح**.

قامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[١].

٣. وضع الحماية للأفراد من خلال التصدي للأفكار المنحرفة التي قد توجد في المجتمع، أو تستفاد من المجتمعات الأخرى، وتصويبها من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذان الأمران لا يكونان إلا بعد دراسة الأفكار وفهمها وتوضيح حكمها من خلال الضوابط الشرعية، وتحديد موضع الفساد فيها، ولهذا تجد النبي صلى الله عليه وسلم ألزم المسلمين بهذا الأمر وجعله مستوياتٍ ثلاثة تتناسب وحال الفرد أو الجماعة القائمة عليه، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**"[٢]. ولقيام فعل الآمر والناهي على التفكر ومن ثمّ التغيير، كان لِزاماً على من يقوم بذلك أن يلتزم عملياً بما يأمرُ به أو ينهى عنه، وألا يُخالفه، ليتفق فِكره مع أقواله وسلوكه، لهذا شدد الشارع على عقوبة من يخالف ما يأمر أو ينهى عنه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**"[٣]. وعلاج الأفكار المنحرفة المستوردة من الخارج يكون ببيان موضع الخلل فيها وتصويبها.

والمفكرون مطالبون بهذا الأمر ليصلحوا أنفسهم ويصلحوا المجتمع، فلا يقتصرون على بث النظريات المجردة التي لا جدوى عملية منها، ولا تأثير لها على غيرهم.. فيكونون بعيدين عن قضايا المجتمع وهمومه، أو الفساد الذي يعمّ المجتمع ويتجاوز حدود الله، لهذا جعل الله

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم ٣٤٧٥. وكتاب الحدود، باب، رقم ٦٧٨٨. **ومسلم**، الصحيح، كتاب الحدود، بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ، رقم ١٦٨٨. من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٢ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الأمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم ٤٩. من حديث أبي سعيد الخدري. **صحيح**.

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٦٧. **ومسلم**، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، رقم ٢٩٨٩. من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه. **متفق عليه**.

تعالى العقوبة لهم حتى لو كانوا صالحين كما هي للفاسد من المجتمع، فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام سُئل: "... **يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ، قَالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**"[١].

وقد اعتنى المنهج النبوي في تحديد المُنطلق الذي تقوم عليه العلاقات بين الأفراد والجماعات المسلمة وهي "الأخوة والرحمة"، وقد بَرَزَت هذه القاعدة في مواضع متعددة من الحديث النبوي منها: قول النبي عليه الصلاة والسلام: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**"[٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**"[٣]. وقوله عليه الصلاة والسلام: "**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[٤]. فشيوعُ الأخوة والمحبة بين المسلمين، يجعلهم أكثر حرصاً على قوة المجتمع والعمل الجماعي لتطويره، ومعالجة المشكلات الطارئة، ومنع انجراف بعضهم أو كلهم في الفساد والانحراف

٤. تحديد العلاقات وتنظيمها وتصويبها:

بعد أن بيّن البناء الفِكْري هوية الفرد ووظيفته، تجده اعتنى بالعلاقات وتنظيمها وتصويبها، والمتتبع للمنهج النبوي يجد أن هذه العلاقات تبدأ بعلاقة الإنسان بخالقه، ومن ثمّ بنفسه، ومن ثمّ بالأفراد والجماعات البشرية، ويختمها بعلاقة الفرد بالكون والبيئة. فهذه المحاور هي التي تناولها المنهج النبوي. والبناء الفِكْري يقوم على دراسة وتحليل هذه العلاقات ووضع

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، رقم (٣١١٩). وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٥٣). وكتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم..، رقم (٦٥٦٢). وباب يأجوج ومأجوج، رقم (٦٦٢٩). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ..، رقم (٥١٣٢ و٥١٣٣). من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم ٢٣١٠. وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، رقم ٦٥٥١. **ومسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٠. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **متفق عليه**.

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم ٤٨١. وكتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، ٢٤٤٦. وكتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم ٦٠٢٦. **ومسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٥. من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٤ **مسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٦. من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. **صحيح**.

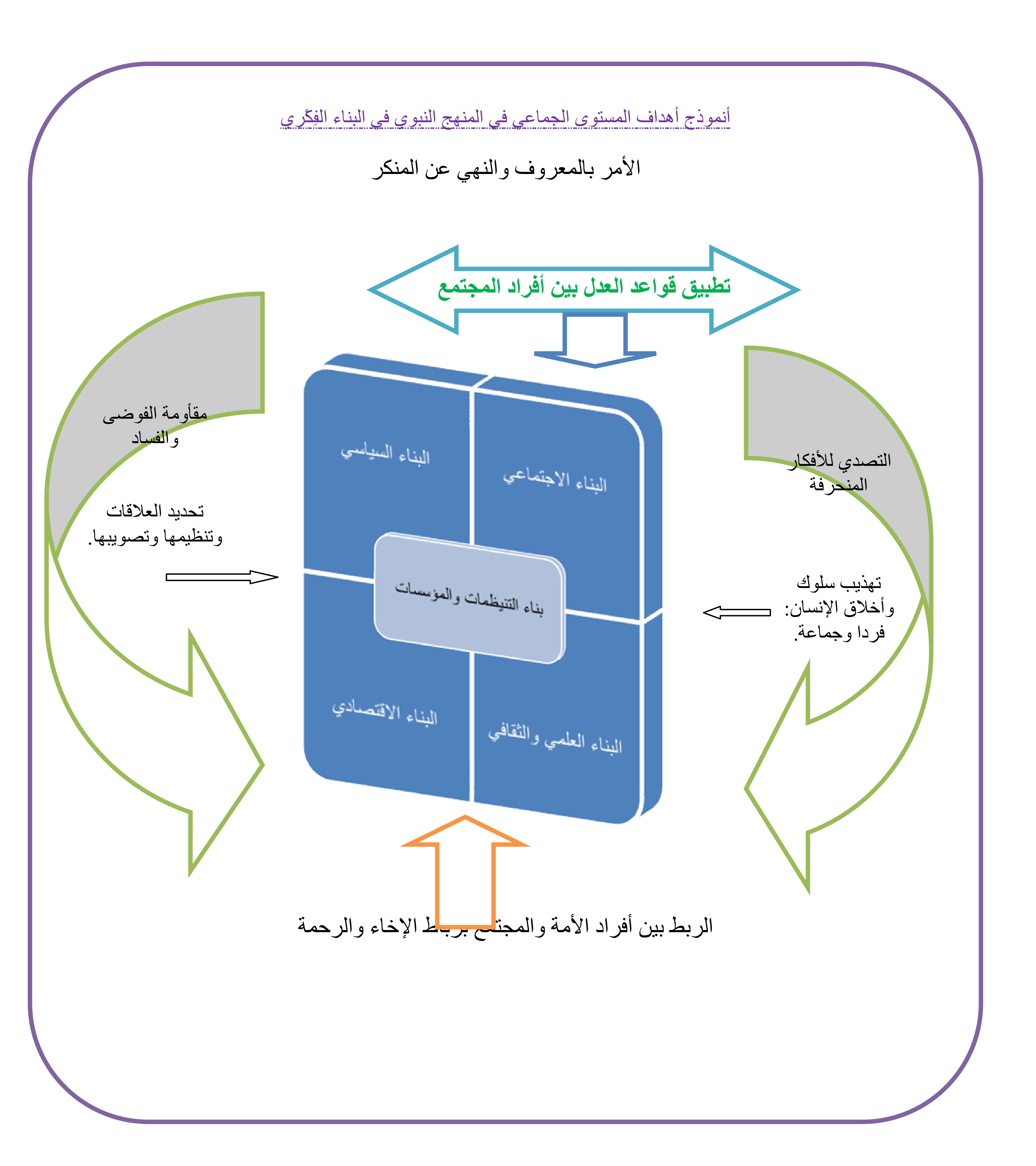
الضوابط المتعلقة بها، وتنميتها وتطويرها في ظل المتغيرات الواقعية، ويمكن إجمال هذه العلاقات بما يلي:

أولاً: العلاقة الأساسية: هي علاقة الفرد بالله تعالى، وتترجم هذه العلاقة في واقع الفرد من خلال التوحيد والعبادات التي تُقرِّبُ الفرد من الله تعالى، وهذه العلاقة تُعدُّ منطلق الفرد وأساسه الذي يبني من خلاله العلاقات الأخرى، وهذا ما تناولته الدراسة في **(البناء العقدي)** في المستوى الأول.

ثانياً: علاقة الفرد مع نفسه، وهي التي تترجم من خلال البناء النفسي، والعاطفي، والعقلي والجسدي للفرد. وهذا ما تناولته الدراسة في المستوى الأول.

ثالثاً: علاقة الفرد مع البشر، وهذه العلاقة لها شِقان: الأول: علاقة الفرد المسلم مع أخيهِ المسلم، والثاني: علاقته مع غير المسلمين. وهذه العلاقة تقوم على الرحمة والتعأون والمحبة، وهداية الناس للخير. كما تتنأول علاقة الفرد بالفرد، وعلاقته بالجماعات.

رابعاً: علاقة الفرد مع الكون والبيئة المحيطة به، وتتمثل هذه العلاقة بإعمار الأرض، والحفاظ عليها من الفساد، وهذا سيأتي الحديث عنه في المستوى الثالث.


أنموذج أهداف المستوى الجماعي في المنهج النبوي في البناء الفِكْري
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
تطبيق قواعد العدل بين أفراد المجتمع
مقاومة الفوضى والفساد
تحديد العلاقات وتنظيمها وتصويبها.
البناء السياسي
البناء الاجتماعي
بناء التنيظمات والمؤسسات
البناء الاقتصادي
البناء العلمي والثقافي
التصدي للأفكار المنحرفة
تهذيب سلوك وأخلاق الإنسان: فردا وجماعة.
الربط بين أفراد الأمة والمجتمع بروابط الإخاء والرحمة

المطلب الثالث: أهداف المستوى الإنساني.

اعتنى المنهج النبوي في البناء الفِكْري بكل الجماعات الإنسانية سواء كانت كبيرة أم صغيرة، من خلال إصلاح المعيشة لهم، وجلب النافع لهم والمرضي لله تعالى ودفع الضار عنهم، وتطوير البشر وارتقائهم من خلال تنظيم علاقة الإنسان بالكون بجميع مكوناته، والحث على تبادل المعرفة والعلوم بين الأمم والحضارات.

كما أنه راعى العلاقة التبادلية والتأثيرية بين الإنسان والكون، فالله تعالى هو من استخلف الإنسان في الأرض فسخر له ما في الكون، وأمره بالمحافظة عليه وتنميته ضمن إمكانياته وقدراته، وعدم إيقاع الفساد والخلل فيه، كما أمره بالتفكر في الكون ومعرفة حقيقته، وتعليل ظواهره وأحداثه.

وبناءً على ذلك وضع المنهج النبوي مجموعة من الأهداف التي تُسهم في تحقيق المستوى الإنساني للبناء الفِكْري، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

أولاً: هدف نشر العلم والمعرفة للتعامل مع الكون.

بيّن المنهج النبوي أن المستوى الإنساني يكتمل من خلال نشر العلم والمعرفة للتعامل مع الكون، وهو لا يتحقق إلا بالتفكر، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد أمرا بالتفكر في الكون ولم يقتصرا على الأرض فقط، بل فتحا أمامه نطاق التفكر ليتجاوز حدود خلافته الأرضية، فأمراه بالتفكر في السماوات وما فيها. فالخلافة المادية تكون في الأرض، لذا نقول الإنسان مستخلف في الأرض، بينما التفكر تجاوز ذلك ليكون في الكون بكل أبعاده، فبدأ الأمر بالتفكر في النفس البشرية **{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ** مَا خَلَقَ اللَّهُ السماوات وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}[١]. وانطلق بعد ذلك لفتح الأبواب أمامه للتفكر في كل ما يحيط به { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السماوات** وَالْأَرْض ..}[٢].

استخلف الله تعالى الإنسان في الأرض وسخر له مقدراتها المختلفة، ولا بُدّ للإنسان من استغلالها وتسخيرها في نطاق المنهج الإنساني الذي ارتضاهُ الله تعالى لهم. وهذا المنهج يُستمد

---

١ آية ٨ من سورة الروم.
٢ جزء من آية ١٩١ من سورة آل عمران.

من الوحي المُنزل على الأنبياء والرسل، وهو الأصلح للإنسان والأقوم لحياته، لأن واضعه هو خالق الإنسان وهو أعلم به وبقدراته وإمكاناته. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "...**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ. اللهُمَّ اشْهَدْ... ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"[١].

وهذا يتطلب من الإنسان الإلمام بالعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وفقههما، ليتمكن من تحديد المنهج وكيفية التعامل معه في ضوء المتغيرات والمستجدات في كل حين، لذا جاء الحث النبوي ابتداء على تعلم القرآن الكريم وتعليمه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**" وفي رواية: "**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**"[٢]. وقال أيضاً رافعاً شأن من يسعى لتعلم القرآن ليكون عالماً به: "**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**"[٣]. وحث على فهم السنة النبوية ونقلها بقوله عليه الصلاة والسلام: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**"[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع**"[٥].

والمنهج النبوي يحث دائماً على طلب العلم والاستزادة منه، وتبادل المعارف والعلوم بين الحضارات، فلم يقتصر العلم على فرع أو تخصص دون آخر، فجاء الخطاب النبوي عاماً: "... **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**"[٦]. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: "**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**"[٧]. كما أنه لم يقصر المعرفة على المسلمين فقط، بل تجاوزه للاستفادة من علوم الأمم والحضارات الأخرى، وتبادل

---

١ **مسلم**، الصحيح، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ١٢١٨. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. **صحيح**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم ٥٠٢٧. و ٥٠٢٨. من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. **صحيح**.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، رقم ٨١٧. من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. **صحيح**.

٥ **الترمذي**، السنن، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم ٢٦٥٧، و٢٦٥٨. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح**. ولفظ ٢٦٥٨ هو: "نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

٦ سبق تخريجه.

٧ **الترمذي**، السنن، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، رقم ٢٦٤٧. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه**.

المعرفة معهم، لأن المعرفة تراكمية وغير مقتصرة على شعبٍ دون شعبٍ، أو ثقافةٍ دون أخرى، لذا لما "**كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا – أو أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ – فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ..**"[١].

ولأن العلم لا يكون إلا بالتعلم وبذل الجهد في ذلك، أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالتعلم والتفقه، ورد في الأثر "**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّى الشَّرَّ يُوقِهِ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنَالُونَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى: مَنْ تَكَهَّنَ أو اسْتَقْسَمَ، أو رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ طِيَرَةً**"[٢]. والحث على العلم والتعلم لم يقتصر على العلوم الشرعية الإسلامية، بل هو شاملٌ للعلوم الأخرى، لذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يُخبر الصحابة عن بني إسرائيل، فقد ورد في الحديث "**كَانَ نَبِىُّ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ مَا يَقُومُ إِلاَّ إِلَى عُظْمِ صَلاَةٍ**"[٣]. كما كان يأمر من يجدهُ مؤهلاً لتعلم الأديان الأخرى: **قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أتعلم له كتاب يهود قال إني والله ما آمن يهود على كتاب قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم**"[٤]. فالمنهج النبوي وجه الصحابة لتعلم اللغات ليُسهل عليهم تبادل المعرفة مع الثقافات الأخرى[٥]. كما أنه استفاد من الحضارات الأخرى

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب اهل العلم بالعلم إلى البلدان، رقم ٦٥. وكتاب الجهاد والسير، باب دَعْوَةِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَلَى مَا يُقَاتَلُونَ عَلَيْهِ، وَمَا كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى، وَقَيْصَرَ، وَالدَّعْوَةِ قَبْلَ القِتَالِ، رقم ٢٩٣٨. وكتاب اللباس، باب نقش الخاتم، رقم ٥٨٧٢. وكتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، رقم ٥٨٧٥. **ومسلم**، الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما لما اراد أن يكتب إلى العجم، رقم ٢٠٩٢. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه.**

٢ **الطبراني**، المعجم الأوسط، رقم ٢٦٦٣. ج٢/ ص١١٨. مرفوعا. **والبيهقي**، شعب الإيمان، رقم ١٠٢٥٤. موقوفا. قال ابن حجر في الفتح: هو حديث مرفوع أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية – رضي الله عنه – بلفظ "يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" **إسناده حسن.**

٣ **أبو داود**، السنن، كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، رقم ٣٦٦٥. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. **قال الألباني: صحيح الإسناد**، وذكره في السلسلة الصحيحة. (ج٨، ص٣٢) .

٤ **الترمذي**، السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في تعليم السريانية، رقم ٢٧١٥. **وأبو داود**، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، رقم ٣٦٤٧. **قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.** وقد روي من غير هذا الوجه عن زيد بن ثابت رواه الأعمش عن ثابت بن عبيد الأنصاري عن زيد بن ثابت قال أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أتعلم السريانية.

٥ عن زيد بن ثابت، قال: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم السريانية". أخرجه **الترمذي** في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في تعليم السريانية، رقم ٢٧١٥.

فاستخدم بعض التقنيات الموجودة عندهم ولم تكن قد وصلت للمسلمين، ووضع عليها بصمة إسلامية[١].

ثانياً: تحقيق التفاعل الإيجابي.

إن تحقيق الأهداف بجميع مستوياتها يتطلب العلم ابتداءً، ولكن لا يكتمل هذا العلم في التعامل مع الكون بكل مجالاته إلا إذا تم التفاعل والتطبيق العملي له على أرض الواقع. ولهذا قرن المنهج النبوي بين العلم والعمل دائماً ولم يقصر ذلك على العلوم الشرعية، بل تعداهُ إلى كل ما يمكن أن يتعلمه الفرد ويُطبقه في الواقع من ناحية عملية[٢]. ولذلك شدد الشارع الكريم العقوبة على من يتعلم ولا يعمل فيما تعلمه، وجعل ذلك سبباً للمساءلة يوم القيامة، قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ وذكر منها: وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ..**"[٣].

كما أن المنهج النبوي المستمد من المصادر الإلهية، وبعد أن قرن العلم بالعمل، أمر الإنسان بالسعي في الأرض للكسب والابتغاء من فضل الله تعالى، وهذا يستلزم العلم واكتساب المهارات اللازمة للتفاعل العملي مع الكون ومكوناته، حتى لو كان هذا التفاعل بفعلٍ صغير، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** "[٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: "**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**"[٥].

---

١ لذا لما "كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا – أو أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ – فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، كَأَنِّي أنظر إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ مَنْ قَالَ: نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ". سبق تخريجه.

٢ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "**تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ، وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، فَإِنِّي مَقْبُوضٌ، وَإِنَّ الْعِلْمَ سَيَنْقُصُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، حَتَّى يَخْتَلِفَ الاثْنَانِ فِي فَرِيضَةٍ، لا يَجِدَانِ إِنْسَانًا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَ**" **النسائي**، السنن الكبرى، كتاب الفرائض، الأمر بتعليم الفرائض، رقم (٦٠٩١). الترمذي، كتاب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض، رقم (٢٠١٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ فِيهِ اضْطِرَابٌ، وَرَوَى أَبُو أُسَامَةَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَابِر، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عَوْفٍ بِهَذَا بِمَعْنَاهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَسَدِيُّ قَدْ ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُه.

٣ سبق تخريجه.

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل..، رقم ١٣٣٣. وكتاب الأدب، باب طيب الكلام، رقم ٥٥٩١. وكتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم ٦١٠٦. **ومسلم**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة..، رقم ١٦٩٣ و١٦٩٥ و١٦٩٦. من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٥ مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم ٤٧٦٦. من حديث أبي ذر رضي الله عنه. صحيح.

والتفاعل العملي يشترط فيه الإيجابية ليكون الأكثر نفعاً وإصلاحاً للإنسانية، لذا كان الأجرُ لمن يقوم بعملٍ جديد إن كان حسناً، وإثماً إن كان سيئاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ ، غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْئًا**" [١].

والتفاعل مع البشر يبدأ بتعليمهم ونشر المعرفة بينهم، ثم يكتمل التفاعل مع البشرية بالعمل الدعوي والجهادي لنشر الإسلام وهداية الناس، وهذا يُشترط فيه العِلم ومعرفة الأحكام الخاصة وأساليب الدعوة الصحيحة، لئلا ينحرف عن مساره فيقع بالتشدد أو التساهل، فالإسلام رسالة عالمية لا تقتصر على فئة أو أمةٍ دون أخرى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، وذكر منهنّ: وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**"[٢]. وتأسيساً للعدل بين الناس فتح المنهج النبوي أبواب الدعوة المتنوعة، لكنه ترك الحرية لغير المسلمين باختيار ما يعتقد، فلم يلزمهم باعتناق الإسلام، ولكنهم محكومون بأحكام الإسلام فيما يخص الدولة أو المجتمع. وأما التفاعل مع مجالات الكون الأخرى من بيئة وحيوان وجماد، فيكون من خلال المحافظة عليها وتنميتها.

ثالثاً: بناء الأخلاق.

تبين سابقاً أن العلاقات تنطلق من علاقة الفرد مع الله تعالى وتنتهي بعلاقته مع الكون، ومع تعدد هذه العلاقات وتنوعها، إلا أن المنهج النبوي وضع ركناً لا يمكن أن تنضبط دونه هذه العلاقات بكل مستوياتها، ولا تستقيم دونه وهو "الأخلاق"، لذا كان البناء الأخلاقي بجميع معطياته هدفاً أساسياً للإنسانية لا يُقتصر فيه على دينٍ أو مجتمع، وهذا ما بينّه الإعلان النبوي بأن الأخلاق وجدت منذ وجد الإنسان، وأن رسالته الإسلامية جاءت لتتمم هذه الأخلاق وتكملها بأمر الله تعالى، لتكتمل للبشرية جمعاء [٣].

---

١ **الترمذي**، السنن، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى اتبع، رقم (٢٦١٨). **وابن ماجه**، السنن، أبواب في فضائل أصحاب رسول الله، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم (١٩٩). من حديث عبد الله أبو جرير رضي الله عنه. **قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الحيض، باب الصلاة على النفساء وسنتها، رقم ٣٢٦. وكتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم..، رقم ٤٢٢. **ومسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم ٨١٥. من حديث جابر رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ روى مالك مرسلاً "بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخلَاقِ". الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم ٨. وروى أحمد في المسند، "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلَاقِ". رقم ٨٩٥٢. ج١٤/ ص٥١٢. من حديث أبي

والمتتبع للنصوص في المنهج النبوي يجد أنه اعتنى بجميع الأخلاق فبدأ بأقلها وهي الابتسامة وطلاقة الوجه ومن ثم بعض السلوكيات البسيطة التي تساعد بها غيرك، ومن خلالها تظهر مكارم الأخلاق، وربط ذلك بالأجر وأنه صدقات يُثاب فاعلها، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**"[١]، كما أنه جعل تمام الإيمان والدين بالأخلاق، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**"[٢]. وبين عليه الصلاة والسلام أن الأخلاق هي معيار الخيرة والفضل فقال: "**إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا** "[٣]. ووسع المنهج النبوي مفهوم الأخلاق ليشمل كل سلوكات الفرد والجماعة، لذا ربطه بالإنسان ولم يقصره على جنسٍ أو ديانة أو أمة دون أخرى يقول النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام: "**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**"[٤]، لأن حُسن الخلق يُصلح العلاقات بين الناس، ويدعوهم إلى المحبة والألفة[٥].

وبيّن المنهج النبوي عدم اقتصار التعامل الأخلاقي على البشر، بل جعله يشتمل على كل مكونات البيئة من كائناتٍ حية وغيرها كالحيوان والنبات والمياه والجماد. فأمر بالإحسان لكل شيء فقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله:"**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**" [٦].

هريرة رضي الله عنه. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج١، ص١١٢).

١ **الترمذي**، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم "١٨٧٥). من حديث أبي ذر رضي الله عنه. **وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ**.

٢ **الترمذي**، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة عل زوجها، رقم (١٠٧٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **وقال: هذا حديث حسن صحيح**.

٣ **البخاري**، كتاب الأدب، باب لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم..، رقم (٥٥٦٩). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ **الترمذي**، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم (١٩٠٦). من حديث أبي ذر رضي الله عنه. **وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**.

٥ ورد عن ابن القيم رحمه الله قوله: "جمع النبي –صلى الله عليه وسلم– بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته" **الفوائد**، ص٥٤.

٦ **مسلم**، الصحيح كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من..، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد..، رقم (٣٦٢٢). من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه. **صحيح**.

وبين المنهج النبوي أن الرفق من الأخلاق التي تُجمل الأمور والسلوك إن رافقه، وأن عدمه يطبع القبح والسوء على السلوك. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ** "[١].

فالقيم الأخلاقية عمادٌ يحتوي على محاور ومجالات فكرية متعددة تسعى لبناء الجانب الإنساني. وبعد تحقيق كل ما سبق نجد أنه تم تهيئة البيئة المتكاملة لتشكيل سيادة الإنسان واستخلافه على الأرض.



١ **مسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٤٧٠٤). من حديث عائشة رضي الله عنها. **صحيح**.

الفصل الثاني:

شروط البناء الفِكْري في الحديث النبوي

التمهيد: تعريف الشرط لغة واصطلاحاً.

المبحث الأول: الشروط المتعلقة بالمفكر في الحديث النبوي.

المطلب الأول: الاستعداد الذاتي.

المطلب الثاني: التأهيل الأخلاقي للمفكر.

المطلب الثالث: التأهيل الشخصي الشامل.

المبحث الثاني: التأصيل العلمي والمنهجي لمصادر البناء الفِكْري ومجالاته وقضاياه في الحديث النبوي.

المطلب الأول: مصدر البناء الفِكْري "الوحي الإلهي".

المطلب الثاني: مجالات البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

المطلب الثالث: التأصيل المنهجي للقضايا العلمية.

المبحث الثالث: الشروط المتعلقة بالنتاج الفِكْري "الأفكار".

المطلب الأول: الفاعلية والنفعية.

المطلب الثاني: الوضوح.

المطلب الثالث: التجديد.

المطلب الرابع: الواقعية والعملية.

تمهيد: تعريف الشرط لغة واصطلاحاً

التعريف اللغوي:

يقوم الشرط على ثلاثة أحرف، وهي الشين والراء والطاء، وهي تدل على علم وعلامة، وما قارب ذلك من علم[١]. والشرط بالتحريك العلامة، والاشتراط العلامة التي يجعلها الناس بينهم[٢]. وهو يُحتاج إليه في حال وجود المشروط وبقائه جميعا[٣].

التعريف الاصطلاحي:

- الشرط تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني.
- وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده.
- وقيل الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه[٤].

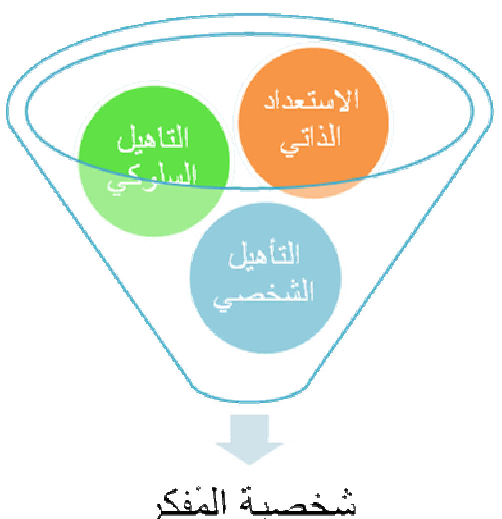
فالشرط هو ما يلزم وجوده لإثباتِ الحكم على الشيء. **وفي البناء الفِكْري هنا يعني: الأمور التي** بوجودها يوجد البناء وبعدمها يُعدم البناء، ولا يصح وجود البناء إلا بوجودها مجتمعة.

---

١ ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (شرط).
٢ ابن منظور، لسان العرب، (مادة شرط).
٣ العسكري، **الفروق اللغوية**، (ص٢٧١).
٤ جميع التعريفات من: الجرجاني، **التعريفات**، (ج١، ص١٦٦).

المبحث الأول: الشروط المتعلّقة بالمفكر في الحديث النبوي

لما قام النبي صلى الله عليه وسلم ببناء الإنسان المفكر، حرص على أن يكون البناء متكاملاً من جميع جوانبه وشاملاً لكل المقومات الواجب توافرها في المفكر، ليكون فرداً مؤهلاً لتحقيق الغايات والأهداف –سواءً كانت عامة أو خاصة– المتعلقة بالبناء الفِكْري.



وتُعَدُّ هذه المقومات شروطاً لازمة للمفكر، والمُتتبع لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسنتهِ في ذلك، يجد أن هناك ثلاثة شروط أساسية، هي: الاستعداد الذاتي، والتأهيل الأخلاقي، والتأهيل الشخصي الشامل.

والتي يمكن إبرازها من خلال الآتي:

المطلب الأول: الاستعداد الذاتي.

اعتنى المنهج النبوي بمسألة الاستعداد الذاتي للأفراد على اختلاف البيئات التي يعيشون فيها، واختلاف أهدافهم وتخصصاتهم، وشمل الاستعداد الذاتي برعايته. بحيث جعل الإنسان –المسلم– يمتلك صفات ذاتية ليكون مؤهلاً فيما بعد من خلال التدرب والممارسة على أن يصبح مفكراً،ويمكن إجمال هذه الصفات بما يلي:



أولاً: امتلاك القدرات العقلية وتطويرها:

كرم الله تعالى الإنسان بأن وهبه العقل الذي يساعده على إنشاء الحضارات لإعمار الأرض، لذا اعتنى المنهج النبوي بتطوير الملكات والقدرات العقلية حتى يتمكن من تحقيق الاستخلاف في الأرض، واستيعاب التغيرات والتطورات الحاصلة في الكون، وحتى يؤدي البناء الفِكْري وظيفته عملياً فيبني الحاضر بكل مجالاته، ويُهئ الخير للمستقبل، لأن الأفكار مستمرة لا

تتوقف ولا تنتهي، لذا ورد الحث على تناقلها، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ..**"[١].

وقد تجسد استمرار الأفكار في المنهج النبوي من خلال الحث الدؤوب على العلم والفقه، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[٢]. ومن خلال استغلال القدرات العقلية المختلفة لتأدية وظائفها العملية المختلفة، قال عليه الصلاة والسلام: "**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**"[٣]. ففي هذا الحديث بيان للحث على استغلال القدرات المتنوعة كالسمع، والحفظ، والوعي، والفقه. وفيه بيان لاختلاف هذه القدرات بين الناس.

وهذه القدرات العقلية هي مفتاح فهم مضمون رسائل الله تعالى وتطبيقها في الدنيا، فمن عطل قدراته ولم يستغلها لا يمكن له فهمها، قال الله تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[٤]. وبناء على أهمية القدرات العقلية ربط الشارع الكريم بينها وبين الجزاء في الآخرة، قال الله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أصحاب السَّعِيرِ. فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأصحاب السَّعِيرِ }[٥].

ثانياً: اتصاف المفكر بالالتزام والمواظبة:

يعتمد المنهج النبوي على تعليم الأفراد الالتزام الفِكْري لينعكس ذلك على سلوكهم وأعمالهم، فالالتزام بالأعمال التي تساعد في تطوير الكون وازدهاره يُظهر الالتزام الفِكْري، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ**"[٦]. ففي الحديث دعوة للالتزام والإعمار معاً، وأنه لا يجب على الإنسان ترك

---

١ سبق تخريجه.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، رقم (٧٠). وكتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب..، رقم (٢٩٠٠). وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعَى مِنْ سَامِعٍ.، رقم (٦٧٩٥). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٧٢٥ و١٧٢٨،)، وكتاب الإمارة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ"، رقم (٣٥٥٦). من حديث معأوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ سبق تخريجه.

٤ آية ٥٢ من سورة إبراهيم عليه السلام.

٥ آية ١٠ و١١ من سورة الملك.

٦ سبق تخريجه.

التزام منهج الله تعالى مهما كانت الضغوط والظروف[١]. كما أن المدأومة والمواظبة على الأعمال وعدم قطعها، يُثبت الأفكار ويطورها، بينما تحميل النفس ما لاتطيق وعدم الالتزام يؤديان للإرهاق الفِكري والجسدي، وفي ذلك مضرة للفرد، وتشتت للأفكار. فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: "**سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيُّ الْأَعْمَالِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: أدْوَمُهَا وَإنْ قَلَّ، وَقَالَ : اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**"[٢].

ثالثاً: المراقبة الذاتية:

نبه المنهج النبوي إلى ضرورة المراقبة الذاتية من الفرد على أفكاره ابتداءً لأنها مصدر أفعاله وأقواله، وهذه الرقابة هي الأكثر تاثيراً وتحفيزاً للعمل الصالح، وتحقيق الغايات المنشودة، وهي حاجز يمنعه من الانحراف أو ارتكاب الاخطاء بقصد. فعندما سُئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإحسان قال: "**أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ**"[٣]. لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتني ببناء هذه الرقابة، خاصة فيما يتعلق بتربية أفكار الناشئين من أصحابه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "**كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إنِّي أعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إذَا سَألْتَ فَاسْألِ اللَّهَ وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أنَّ الأمةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**"[٤]. فهنا يوضح المنهج النبوي أهمية تصحيح الأفكار وجعل الفرد يستشعر معية الله تعالى له، ورقابته عليه.

فمراقبة الفرد لأفكارهِ وتصرفاته تكون بصفة دائمة لاستشعاره مراقبة الله تعالى له، والتزامه أمام الله تعالى قبل التزامه الصوري أمام الناس، واستحضار معنى مراقبة الله تعالى له،

---

١ قال محمد قطب تعليقاً على الحديث: .. كل ما في الأمر أن الإسلام وهو يدعو لتعمير الأرض، والعمل في سبيلها، لا ينحرف بالأفكار والمشاعر عن طريق الله وطريق الآخرة، لأنه لا يفصل بين الدنيا والآخرة، ولا بين الحياة العملية والأخلاق. أنظر كتاب: **قبسات من الرسول**، دار الشروق، ط١٥، ٢٠٠٣م، ص (٢٢-٢٤).

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصد والمدأومة على العمل، رقم (٦٠١١). **ومسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العلمل الدائم من قيام الليل..، رقم (١٣١١). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٣ **البخاري**، الصحيح،كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٤٩). وكتاب تفسير القرآن، سورة لقمان، رقم (٤٤٢٩). **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم (١٣، و١٤). من حديث ابي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٤ **الترمذي**، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم (٢٤٥٣). وقال: **هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**.

قال الله تعالى: { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[١]. كل هذا يؤدي لتحسين السلوك وتصويبه، وجعل الأعمال كلها عبادة لله تعالى.

رابعاً: التعلم الذاتي والمستمر:

اعتنى المنهج النبوي بالحث على التعلم الذاتي والتشجيع عليه، من خلال فتح أبواب المعرفة أمام المفكر، وإكسابهِ الأدوات المناسبة للبحث والتفكر، حتى يستطيع الوصول إلى المعرفة بنفسه، ومن خلال طرح الاسئلة والحلول المناسبة، حتى يتمكن من الوصول لفكر جديد يناسب القضايا المطروحة. لذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطرح الأسئلة التي تثري تفكير الفرد وتفتح الآفاق أمامه للتفكر ومحأولة إيجاد الحل المناسب، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ**"[٢].

كما أن قصة جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم توضح اهمية طرح الاسئلة ومحأولة الإجابة عنها: فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام "**كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَتَى السّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةُ رَبّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنّ إِلّا**

---

١ آية ١٩ من سورة غافر.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا واخبرنا، رقم (٦٠). وكتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه، رقم (٦١). وباب الفهم في العلم، رقم (٧١). وباب الحياء في العم، رقم (١٢٩). وكتاب البيوع، باب بيع الجمار واكله، رقم (٢٠٦٧). **ومسلم**، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم (٥٠٣٢). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **متفق عليه**.

اللّهُ إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ثُمّ انْصَرَفَ الرّجُلُ فقالَ رُدُّوا عَلَيّ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فقالَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النّاسَ دِينَهُمْ"[1].

وحتى يستمر المفكر بالإبداع وخلق الأفكار الجديدة، أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالأجر المستمر لكل فكرة فيها فائدة وخير، ويُكتب لها الاستمرار، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أوزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ، غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أوزَارِهِمْ شَيْئًا**"[2].

خامساً: الثقة بالنفس:

وهب الله تعالى الإنسان ميزات وإمكانات يجب عليه أن يؤمن بها، وبأنه من خلالها يستطيع التوصل إلى ما يريده ويسعى له، ويجب أن يرفع من شأن نفسه ويضعها دائماً بالموضع اللائق بها. ولقد اعتنى المنهج النبوي بتحقيق ذات الفرد وتعزيز الثقة بها، فنهى عن التقليل من شأنها مهما كانت بسيطة في نظرنا، وطلب من الفرد الحديث مع ذاته بكل ما هو إيجابي دون سلبيه حتى لا تتأثر سلباً، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ**[3] **نَفْسِي**"[4]. وهذه الثقة يجب أن تتوافر في المفكر حتى يتقدم في مجاله دون أن يُقلل من قيمة نفسه، أو يرفع من شأنها زيادة عما تستحق، فيكون مدركاً لما يملكه من قدرات عقلية وملكات نفسية تحمل الخير والطموح في جنباتها، ويبتعد عن الأمراض النفسية والفِكْرية التي تصيب بعضهم.

---

١ **البخاري**، الصحيح،كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٤٩). وكتاب تفسير القرآن، سورة لقمان، رقم (٤٤٢٩). **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم (١٣، و١٤). من حديث ابي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ سبق تخريجه.

٣ أي خبثت وقيل ساءت خلقاً. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (ج١، ص١٨٣).

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، رقم (٥٧٣٨). ومسلم، الصحيح، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي، رقم (٤١٨٧). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

المطلب الثاني: التأهيل الأخلاقي للمُفكر:

اعتنى المنهج النبوي بالجانب السلوكي للفرد المسلم المفكر، لأن هذا الجانب هو الركيزة الرئيسة التي تمنع انحراف المفكر عن المنهج القويم، وجاءت تجليات العناية النبوية بالتأهيل الأخلاقي من خلال شرطين يتعلقان بالالتزام الفِكْري، والالتزام العملي، ويمكن توضيحهما بما يأتي:

الانصاف
القوة والشجاعة
الاستقامة
البصيرة
الالتزام الفكري: الصدق والأمانة

أولاً: الإلتزام الأخلاقي:

بنى المنهج النبوي مبدأ الالتزام للفرد المُفكر أو الجماعة من خلال اشتراط توافر مجموعة من القيم فيمن يُؤَهَّلُ للخوض في العملية الفِكْرية، ويسعى لوضع لبنات البناء الفِكْري، وهذه القيم تتلخص في قيمتين رئيستين يجب التمسك بهما، هما: **الصدق والأمانة**.

فالمنهج النبوي نبه إلى ضرورة التمسك بالصدق في القول والعمل، وهذا التمسك لا يكون إلا إذا تأصلت القيمة ابتداءً في فِكر الفرد والجماعة. فالصدق يتطلب من الفرد أن يجعل قوله وعمله مطابقين للواقع والحقيقة[١] دون تزييف أو تحريف بغية الإخفاء أو التضليل. والمُفكر يجب أن يتصفَ بالصدق وإلا انحرفت أفكارهُ بما يخدم مصلحتَهُ أو توجهَهُ أو هواه... الخ، وجاءت مغايرة للواقع العلمي والواقعي والمنهج السليم. فالصدق قيمة فكرية تهدي صاحبها إلى الخير دائماً قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا**.." كما أن عدمها يؤدي إلى الخطأ الفِكْري ومن ثم السلوكي، لذا أكمل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه مُنبهاً ومُحذراً من الاتصافِ بنقيض الصدق وهو الكذب فقال: "**وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**""[٢]. والصدق قيمة تُبعد المُفكر عن الزلات الفِكْرية كالشك

---

١ الصدق هو مطابقة الحكم للواقع. أنظر: الجرجاني، **التعريفات**، (ص، ١٧٤).

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم (٥٦٥٦). **ومسلم**، الصحيح، كتاب البر، باب فقبح الكذب وحُسن الصدقة وفضله، رقم (٤٧٢٥، و٤٧٢٧). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **متفق عليه**.

والريبة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**"[١].

ويشترط في المُفكر أن يتصفَ أيضاً بالأمانةِ كقيمة فكرية ثابتة، وهذه القيمة تتمثل في صورٍ متعددةٍ للمفكر، فهو أمينٌ باختيار مصادرَ معرفتِه وعلمهِ، وباختيار الأساليب والمناهج، وبنشر الأفكار بين الخواص والعوام. فالفِكْر أمانة يُسأل صاحبُها عنها يوم القيامة، لذا عليه ألا يتهأون بالجزئياتِ والمضامين المتعلقة بها، لأنها ستنعكس على سلوكهِ وعملهِ وإنجازه الواقعي. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ**.."[٢]. ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذرٍ وحذّرَهُ من تَحملِ مسؤولية ما لا يستطيع تحمله بقوله: "... **إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**"[٣]. وهذه القيمة – الأمانة – تُلزم صاحبَها بصفة المسؤولية عن كل ما يصدرُ منه من قولٍ وعملٍ، قال النبي صلى الله عليه وسلم "**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**.."[٤]، لذلك حذر المنهج النبوي من الخيانة وشدد على عقوبتها، وعدها من صور النفاق، لأنها تبدأ بخيانة الفرد نفسه بالفِكْر، ومن ثم خيانته للجماعة والإنسانية من خلال أقوالهِ وأعماله النابعةِ من أفكارهِ. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**"[٥]. كما أنه بيّن عقوبة الخيانة وأن صاحبها

---

١ **الترمذي**، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم (٢٤٥٥). وقال: **حديث حسن صحيح**.

٢ سبق تخريجه.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، رقم (٣٤١٠). من حديث أبي ذر رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القُرى والمُدن، رقم (٨٩٣)، وكتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، رقم (٢٤٠٩)، بلفظ: "كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته"، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، كتاب العتق، باب كراهية التطأول على الرّقيق وقوله عبدي أو أمتي، رقم (٢٥٥٤)، بلفظ: "كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته"، كتاب العتق، باب العبد راعٍ في مال سيّده، رقم (٢٥٥٨)، بلفظ: "كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: (من بعد وصيّة يوصي بها أو دين) [النساء: ١١]، رقم (٢٧٥١)، بلفظ: "كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته"، كتاب النكاح، باب (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً)، رقم (٥١٨٨)، نفس الكتاب، باب المرأة راعية في بيت زوجها، ج٩، ص٣٧٢، حديث رقم (٥٢٠٠)، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) [النساء: ٥٩]، رقم (٧١٣٨)، بلفظ: "ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته". **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم (٤٧٠١)، بلفظ: ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته". من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **متفق عليه**.

٥ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٢). وكتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم (٢٤٩٨). وكتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت، رقم (٢٥٥٧). كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم (٥٦٥٧). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٩٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

سيحملُ لواءً يُعرف به يوم القيامة، لأن هذه الصفة تؤثر سلباً ليس على الفرد فقط، بل تتعدى سلبيتها وسوؤُها إلى المجتمع والإنسانية، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: أَحَدُهُمَا يُنْصَبُ، وَقَالَ: الْآخَرُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِه**"[١].

وبهاتين القيمتين (الصدق والأمانة) يُخرج المُفكرُ أفضلَ ما لديهِ من أفكار نافعة ومفيدة تخدم الأمة وتبني الحضارة. فهما ليستا قيمتين فكريتين معزولتين عن الواقع والسلوك، بل هما تلخيص وتكثيف وتجميع لكل القيم النبيلة والأخلاق الحميدة.

<u>ثانياً: الإلتزام العملي:</u>

جاءت عناية المنهج النبوي بالمفكر من حيث تأهيلهُ السلوكي بجانبيهِ الفِكْري والعملي، وقد تحدثنا عن شرط الالتزام الفِكْري من خلال اتصاف المُفكر بقيمتي الصدق والأمانة. والآن نبدأ الحديث عن التزام المفكر بسلوكه العملي كشرطٍ له، وهذا الشرط يستلزم توافر مجموعة من المقومات في المفكر هي:

١. **الاستقامة:**

اعتنى المنهج النبوي بتربية المُفكر على خُلق الاستقامة. والاستقامة في سلوك الصراط المستقيم وهو "الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك"[٢]. والاستقامة هي الأمر العملي المطالب به المؤمن بعد الإيمان القولي **قال النبي صلى الله عليه وسلم**: "... **قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ**" [٣]. وهذا يوجب على الفرد المُفكر أن يكون معتدلاً في كل أقوالهِ وأفعالهِ، مما يعني اعتدالَه في أفكارهِ. والاستقامة توجب على الفرد المُفكر الالتزام بالقيام بعمل الطاعات وترك المعاصي، وهذا يتطلب منه القيام بالعبادات الدينية المفروضة عليه، والنوافل ما يستطيع منها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي فيما يرويه عن ربه: "...**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**..."[٤]. ويجب أن يترك

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الجزية، بَاب إِثْمِ الْغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، رقم (٢٩٦٦). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، بَاب تَحْرِيمِ الْغَدْرِ، رقم (٣٢٧٦). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، **جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، (ص ٢٠٥)**.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، بَاب جَامِعِ أَوصَافِ الإِسْلَامِ، رقم (٥٨). من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٠٤٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

الذنوب، ولا يقوم بها متعمداً، أو يُصر عليها خاصة بما يتعلق بما ينشرهُ من أفكار، حتى لا يُناقض سلوكه فكره. [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ][١]. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}[٢].

واستقامة المُفكر تعني أيضا اعتدالَهُ فيما يصدر عنه من أفكار، ليخرج من دائرتي الانحراف الفِكْري: الغلو والتشدد، والتساهل والتفريط. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا**"[٣]. واتصاف المفكر بهذه الصفة تجعله يقارب بين الأفكار ويوازن بينها ليصل لما فيه خير ويسر من قضايا فكرية وغيرها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**"[٤].

٢. العدالة والإنصاف:

يطلب المنهج النبوي من المُفكر أن يكون منصفاً وعادلاً، ذا ضمير يقظٍ لا يخشى شيئاً سوى الله تعالى، فيكون منصفاً في أفكارهِ موضوعياً في طرحه لها، يحرص على الإنصاف بعيداً عن المؤثرات الذاتية والخارجية، حتى لو كانت نتيجة فكره تخالف معتقداً توارثه وآمن به، أو تخالف ما عليه مجتمعه.

والإنصاف شرطٌ واسع الدلالة للمفكر، فهو مُنصفٌ في اختيار مصادر معرفته وعلومه، ونسبة تلك المعارف إلى أصحابها، ومُنصف في التعلم فيتعلم ما يقدر عليه دون إجهاد نفسه دون طائل يُذكر، ومُنصف في طرحه للفكر في الوقت وبين الفئة المناسبة له، واللائق به. ويكون انصاف المُفكر أيضا بحرصه على أداء واجباته العلمية والعملية التي تناط به، وأن يستنفذ الجهد في سبيل تحقيق غايات البناء الفِكْري. وهذا يظهر جلياً في المنهج النبوي عندما قال عليه الصلاة والسلام: "**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكَادَ أُمَيَّةُ**

---

١ آية ٤٤ من سورة البقرة.

٢ آية ٢ و٣ من سورة الصف.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب العلم، باب "هلك المتنطعون"، رقم (٤٨٢٩). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **صحيح**. قال النووي المتنطعون: اي المتعمقون الغالون المجأوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. **المنهاج شرح صحيح مسلم**، (ج١٦، ص٢٢٠).

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي صلى.. ، رقم (٣٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ"[١]. فالنبي صلى الله عليه وسلم أنصف شعر لبيد وبين أن معنى هذا الشطر من بيت الشعر يحمل معنى صادقاً لا نزاع فيه. وهذا الإنصاف نهج يرتسم في نفس المفكر، ليحثه على العدل، وتقويم الأفكار بما يناسب حقيقتها.

ولأثر الانصاف الواضح في تثبيت دعائم البناء الفِكْري خاصة وازدهار الإنسانية عامة، رفع الله تعالى مَن اتصف بذلك وسعى لتحقيق العدل مكانة خاصة ومنحه أجراً يليق به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**"[٢]. وبين أن المقسط والمنصف يدخل الجنة ويكون من أهلها.

٣. **الجرأة والشجاعة:**

يشترط في المُفكر أن يتصف بالقوة والشجاعة، وهذه القوة تنبع من داخله وذاته وتبدأ بمجاهدته وتهذيبه لنفسه التي تتلاطم فيها أمواج الأهواء والشهوات، والتي تسيطر على الفِكْر وتعطل التفكير. فتخلق في الفرد الغفلة والجهل، وهذه المعاني تناقض البناء الفِكْري الصحيح بل تهدمه، وتسجن الفرد والجماعة في مغريات الدنيا، ويشترط في المفكر أن يكون مستقلاً حراً في نفسه لتنعكس هذه الحرية على أفكاره ومسيرة بنائه الفِكْري، وهذه الحرية لا يمكن للضعيف أن يمتلكها، لذا تشترط القوة والشجاعة في المفكر المؤمن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ...**" [٣].

والجرأة التي يتصف بها المفكر تمنحه العزيمة على تحقيق أهدافه وإدراك الغايات بالوسائل السليمة، فيبذل جهده في بلوغ ما يريده، وتنمية قدراته بما يناسب التطور الذي يحتاجه في كل حين، وأن يغالب ما يواجهه من صعوبات وتحديات بقوة وجرأة، وألا يستسلم أمام العقبات والمشكلات[٤].

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، رقم (٣٥٧٨). وكتاب الأدب، باب مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ...، رقم (٥٧٠٨). و**مسلم**، الصحيح، كتاب الشعر، رقم (٤١٩٣– ٤١٩٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، رقم (٣٤١٢). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. **صحيح**.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب القدر، بَاب فِي الأمر بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ. رقم (٤٨٢٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عليْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ:

والجرأة تمنع المفكر من التردد والحيرة، حتى لا يقع تحت سيطرة الهواجس والتهيؤات والريبة والظن، فيضعف فكره في الوصول للصواب، فيقع في الاضطراب الذي يمنعه من إعمال فكره والتوصل للنتائج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "...**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**"[١]. كما أن المنهج النبوي لا يفصل بين القوة والتوكل على الله تعالى، بل يربط بينهما ويجعلهما متلازمين، إذا انفك أحدهما عن الأخر وقع الفرد أو الجماعة في خيبات ومهالك لا حدود لها.

والمفكر يحتاج للقوة والشجاعة أيضا في نشر أفكاره، وبثها بين الناس. خاصة إذا كانت هذه الأفكار تناقض ما رُبي عليه المجتمع. ويحتاج قوة في الحجة لتمنح أفكاره القبول والرضا. ونستذكر هنا حادثة كسوف الشمس وكيفية علاج المنهج النبوي للموقف، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في وضع حزن على فقد إبنه إبراهيم عليه السلام، ومع ذلك فقد اتصف الجرأة اللازمة والشجاعة في تصحيح مفهوم الصحابة عن كسوف الشمس، وبين لهم حجة ذلك، دون أن يضعف أمام ظروفه النفسية بفقد ابنه، أو أمام أفكار الناس المتوارثة[٢].

٤. البصيرة:

تفرض طبيعة المنهج النبوي في البناء الفِكْري على الفرد والجماعة أن يتصفوا بالعلم والثقافة، لأن طبيعة الوحي الإلهي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية وما فيهما من علوم وتعاليم، لا تؤخذ بالتوارث والتقليد، بل هي علوم متجددة تستنبط من النصوص بوعي وفهم عميقين. والفهم لا يتكون بمجرد القراءة والكتابة، بل لا بد من توافر أشخاص مؤهلين يتميزون بفهمهم الثاقب، ونظرهم البعيد لمآل الأمور والقضايا، ورسوخهم في تخصصاتهم العلمية. واتباعهم لمناهج واضحة تخلو من الاضطراب والقصور.

فيتجه فكرهم إلى دائرة الواقع بعيداً عن الأحلام والنظريات التي لا جدوى منها، ولا يقتصر نظره في القضايا الفِكْرية على ما هو ظاهر، بل يتعمق فيها ليرى ما هو خلفها وما يترتب عليها من أمور، وهذا الأمر لا يستطيعه الجميع، بل يتمتع فيه من لديه بصيرة وحكمة في

حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ". **أبو داود**، السنن، كتاب الاقضية، بَاب الرَّجُلِ يَحْلِفُ عَلَى حَقِّهِ، رقم (٣١٤٥). من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه. **ضعفه الألباني**.

١ سبق تخريجه.

٢ نص الحديث: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا". سبق تخريجه.

النظر، أنظر لتعامل النبي وأقواله في بعض القضايا: "**لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ، ثُمَّ لَبَنَيْتُهُ عَلَى أساس إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ وَجَعَلَتْ لَهُ خَلْفًا**"[١] ففي صفة حُسن النظر في عواقب الأمور تحصيل لمصالح الإسلام وغاياته، فقد ورد في الحديث النبوي أن عبد الله بن أبي بن سلول قال:"**أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أصحابهُ**"[٢]. فالحديث يُظهر حكمة النبي عليه الصلاة والسلام وترويه في الرد على هذا المنافق، وبمراعاته عواقب الأمور، فلم يقتله كما أراد عمر رضي الله عنه أن يفعل، بل بين أن في قتله تشنيعا على المسلمين وقائدهم، قد يؤدي لتخويف الناس من الإسلام.

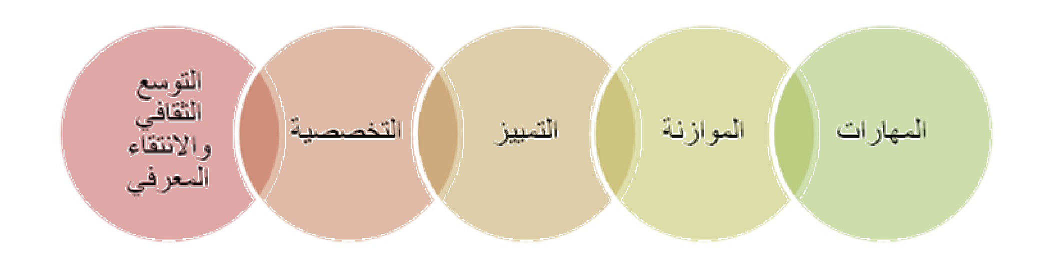
المطلب الثالث: التأهيل الشخصي الشامل:

راعى المنهج النبوي طموحات كل فرد وجماعة، مع تنوعها واختلافها، فلكل هدفه الذي يسعى لتحقيقه، ولكل مهاراته وقدراته المختلفة التي تتناسب وتحقيق تلك الأهداف. لذلك اعتنى المنهج النبوي بتأهيل المفكر تأهيلاً يليق به ويتناسب مع ما يسعى إليه، ويحقق له طموحه، ليقدم أفضل ما لديه. واشترط لبناء شخصيته شروطاً لا بد من توافرها لتكون شخصية "المفكر" –وهو الركن الإنساني والأساسي في البناء الفِكْري– متكاملة الجوانب وجاء تركيز المنهج النبوي على الصفات الشخصية للمفكر، لأنه بعلمه وفكره يرفع المجتمع والأمة نحو الافضل ويقودها للازدهار، ويحقق لها الأهداف التي تساعدها على النهوض، والبناء الحضاري، والإخلال بصفات المفكر يؤدي إلى الانحراف عن المسار الصحيح في تحقيق الغايات، وفي النهاية يؤدي إلى التخلف والجهل. فشخصية المفكر من الأركان اللازمة للبناء الفِكْري، وليس فيها ترف ومبالغة. وقد تحدثنا في المطلب السابق عن الجانب السلوكي للمفكر، وهنا نقصر الحديث عن الجانب الشخصي المتعلق بالمفِكْر، الذي يحوي جانبين هما: العلمي، والمهاري. ويمكن توضيح التاهيل في هذين الجانبين من خلال النقاط الآتية:

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم (١٤٨٨). كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن..، رقم (١٢٤). وكتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم (١٤٨٧). وكتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، رقم (٦٧٢٩). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، رقم (٢٣٨٢). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٢ البخاري، كتاب المناقب، باب ما يُنهى من دعوة الجاهلية، رقم (٣٢٧٩). وكتاب تفسير القرآن، سورة المنافقين، رقم (٤٥٥٠ و٤٥٥٢). ومسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، رقم (٤٦٨٨). من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. **متفق عليه**.



أولاً: التوسع الثقافي والانتقاء المعرفي:

حث المنهج النبوي المفكرين على الاستفادة من ثقافات الأمم الأخرى ومعارفهم في كل مجالات العلوم المباحة، فالمعرفة متراكمة تبدأ بالحضارة من حيث وصلت الحضارات الأخرى، ولأنه يهدف إلى البحث عن كل ما يُصلح حياة الفرد والمجتمعات، بما لا يتنافى مع جوهر دينه، ويتفق مع المبادئ الإسلامية، فالنبي صلى الله عليه وسلم نظر لفعل الحضارات في الأمور الإنسانية المشتركة نظرة تقدير، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: "**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَضُرُّ أولَادَهُمْ**"[١]. وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه "**كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا – أو أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ – فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ**"[٢].

ثانياً: التمييز:

وضح المنهج النبوي أن المفكر يجب عليه التمييز بين القضايا والأفكار التي لديه، وقد نبه على صورتين من ذلك التمييز الذي قد يؤدي إلى الخطأ أو الانحراف الفِكْري وهما:

* **التمييز بين الفعل والفاعل.** فقد نبه المنهج النبوي إلى ضرورة التفريق بين الفعل والفاعل، وتوجيه النقد البناء للفكرة أو العمل وليس لذات الشخص. فالتركيز على سلوك الفرد دون مس كرامته هو الأسلوب الذي يشجعه على تعديل سلوكه، ويترك المجال للتصرف بما هو أفضل[٣]. فانظر إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد

---

١ **مسلم**، الصحيح، كتاب النكاح، بَاب جَوَازِ الْغِيلَةِ وَهِيَ وَطْءُ الْمُرْضِعِ..، رقم (٢٦٢٠، و٢٦٢١). من حديث جذامة بنت وهب رضي الله عنها. **صحيح**. والغيلة: هي أن يجَامِع الرَّجل امرأتَه وهي مرْضِعٌ أنظر: الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الأثر**. تحقيق: طاهر الزأوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، (ج٢، ص٢٧١).

٢ سبق تخريجه.

٣ أكرم مصباح عثمان، ١٧ **قاعدة نفسية في سورة يوسف**، دار ابن حزم، بيروت، ص ٨٦.

عندما أراد تنبيهه على خطئه بقوله: "...**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ**"[١]. وقد لفت ابن حجر الأنظار إلى ذلك بقوله: "الذي يظهر أن التبرأ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله، ولا إلزامه الغرامة، فإن إثم المخطئ مرفوع وإن كان فعله ليس بمحمود"[٢].

* **التمييز بين المصالح:** اعتنى المنهج النبوي بمراعاة المصالح، وحرص على تقديم المصلحة العظمى التي تتعلق بالجماعة على المصلحة الصغرى الخاصة. لذا على المفكر أن يُميز بين المصالح، ويمتلك القدرة على تحديدها وتقديم بعضها على بعض، فلا يتعجل باصدار الأفكار وبناء الأفعال، بل عليه التروي والتفكر جيداً. والمنهج النبوي راعى المصالح في كل الأمور ووزان بينها، فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: "**أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزْرِمُوهُ، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ.**"[٣]. وقد علق النووي على هذا الحديث بقوله: ".. وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله: "دعوه"، وكان قوله: "دعوه" لمصلحتين إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من ايقاع الضرر به، والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد"[٤].

ثالثاً: الموازنة:

الموازنة بين المصادر المعرفية والمعطيات الفِكْرية وقضاياه يمنح المفكر فرصة للتفكر بشكل أعمق وأكثر دقة، وهذا يُسهل عليه التحكم في أفكاره وتصويبها، ويكون نقده أكثر صواباً وأقرب إلى الواقع العملي. وهذه الموازنة تحتاج إلى المعرفة وإعمال الفِكْر جيداً للوصول للصواب. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "**أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ:**

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٤٠١٩). وكتاب الأحكام، باب إِذَا قَضَى الْحَاكِمُ بِجَوْرٍ أو خِلَافٍ، رقم (٦٦٧٩). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **صحيح**.
٢ **فتح الباري**، (ج١٣، ص١٨٢).
٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الادب، باب الرفق في الأمر كله، رقم (٥٥٩٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الطهارة، باب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ، (٤٣٢، ٤٣٤). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه**.
٤ **المنهاج شرح النووي**، (ج٣، ص١٩١).

حُمْرٌ، قالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أورَقَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ قالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ "[١].

رابعاً: التخصصية:

تنوعت العلوم تنوعاً واضحاً في العصور المتأخرة، فأصبح من الصعب على الفرد جمع كل العلوم والمعارف والتفكر فيها، فظهرت التخصصات التي تقوم على عناية الفرد بمجالٍ علمي محدد، يتعمق فيه ويُدرك مناهجه ويتعرف أبوابه، فيكون هو العلم الذي يُعمل به فكره وعقله، ليصل إلى نتائج جديدة. وقد اعتنى المنهج النبوي بإبراز التخصصات حتى في مجال العلوم الشرعية، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأمة أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**"[٢]. كما أن المنهج النبوي يشجع على التخصص فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: **قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أولُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أو نَفْسِهِ**"[٣].

خامساً: اكتساب المهارات لصياغة الأفكار ونشرها.

يشترط في المفكر أن يتمكن من نشر الأفكار التي يتوصل إليها، ليُخرجها من الفائدة الشخصية إلى الفائدة العامة، وحتى يتمكن من نشر أفكاره لا بُد أن يتمكن من المهارات التي تُسهل عليه نشر أفكاره وبثها بين الناس. وهذه المهارات تقوم على ثلاث صورهي: التحدث، والكتابة، والرسم التصويري أو التوضيحي.

وقد حث النبي عليه الصلاة والسلام على هذه الصور لصياغة الأفكار ونشرها، فها هو عليه الصلاة والسلام يخطب بالناس في كل مناسبة لينشر أفكاره من خلال "الخطبة"، كما أنه

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم (٤٩١٩). وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب ما جاء في التعرض، رقم (٦٣٦٩). وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍ، الرقم (٦٧٩٧). **ومسلم**، الصحيح، رقم ٢٧٦٤. من حديث أبي هريرة رضي الله. **متفق عليه.**

٢ **الترمذي**، كتاب الدعوات، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد ..، رقم (٣٧٥٢، ٣٧٥٣). **وابن ماجه**، أبواب من فضائل أصحاب رسول الله، باب فضائل خباب رضي الله عنه، رقم (١٥١). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **قالَ: هَذَا حَسَنٌ غَرِيبٌ نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.**

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٨). وكتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١١٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنها. **صحيح.**

عليه الصلاة والسلام يحث الشعراء على إلقاء الشعر الحماسي الذي يدافع فيه عن الدين الإسلامي، فعن**عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:"اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ:"كَيْفَ بِنَسَبِي؟، فَقَالَ: حَسَّانُ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ، وَعَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَا تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**"[١]. وكان يشجع أبا موسى على تحسين صوته في تلأوة القرآن الكريم بقوله عليه الصلاة والسلام: "**يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَأود**"[٢].

وتشجيعه لعبد الله بن عمرو على كتابة الحديث بعد أن نهته قريش عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: "... **اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ**"[٣].

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بالجانب التصويري لنشر الأفكار وتوضيحها، وهذا الأسلوب يُسهل على المفكر توضيح فكرته وإيصالها للناس، فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "**خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أو قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**"[٤].

---

١ **البخاري**، كتاب المناقب، باب من أحبَّ ألا يُسب نسبه، رقم (٣٢٩٨). وكتاب المغازي، باب حديث الإفك، رقم (٣٨٥٥). وكتاب الأدب، باب هجاء المشركين، رقم (٥٧١١). **ومسلم**، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، رقم (٤٥٥). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب حُسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم (٤٦٨٥). **ومسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم (١٣٢٨). من حديث أبي موسى الأشعري. **متفق عليه**.

٣ أبو داود، السنن، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم (٣١٦٣). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. **صححه الألباني في السلسلة الصحيحة**، (ج٤، ص٥٤).

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب في الامل وطوله، رقم (٥٦٦٥). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **صحيح**.

المبحث الثاني: شرطي التأصيل العلمي والمنهجي لمصادر البناء الفِكْري ومجالاته في الحديث النبوي:

حرص البناء الفِكْري في الحديث النبوي على أن يتناسب مضمونه مع مجالات العلوم المتنوعة وخصائصها، وهذا الأمر يحتاج إلى تأصيلٍ عامٍ تقوم عليه العلوم والمعارف، وهذا يتطلب جهوداً متضافرةً وآلياتٍ صائبة للتأصيل الحقيقي للفكر وقضاياهُ تأصيلاً علمياً ومنهجياً مستمداً من القرآن الكريم والسنة النبوية، لذا جُعل التأصيل العلمي والمنهجي شرطاً أساسياً للبناء الفِكْري، ولقبول الفِكْر أو رفضه، حتى لا يخرج الفِكْر عن مسارهِ الصحيح. وقد جاء التأصيل بشقيهِ العلمي والمنهجي في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال الآتي:

المطلب الأول: التأصيل العلمي لمصادر الفِكْر ومجالاته وحدوده.

حثّ الشارع الكريم الإنسان سواء كان فرداً أم جماعة على التفكر، قال الله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...}[١]. كما دعاهم أيضا للبحث والمعرفة، والسعي المستمر لذلك " **إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ** "[٢]. ورفع من شأن هذا السعي ليكون سبيلاً من سُبل الجهاد التي يرضى الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**" [٣].

ولأن العقل متعطش لكشف أسرار ما حوله، وشغوف لمعرفة كل ما هو مجهول بالتفكر وإعمال العقل فيه، حدد الشارع الكريم مصادر الفِكْر ومجالات التفكر، وحرص الباحثون والعلماء في دراساتهم المتنوعة على أن يصنفوا المصادر إلى أقسامٍ متعددة[٤]، وهذه الأقسام تختلف وتتعدد وفق منظور صاحبها، وهذا الأمر يُوقع المفكر في الحيرة والتشتت، لعدم وضوح

---

١ آية ٤٦ من سورة سبأ.

٢ سبق تخريجه.

٣ سبق تخريجه.

٤ بين صلاح الدين المنجد في كتابه "**الإسلام والعقل في ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي**" أن مصادر المعرفة في القرآن الكريم هي: الحواس، والعقل، والخبر الصادق. أنظر كتابه: الطبعة ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م. (ص ١٤٩).

وبين الزنيدي أن مصادر المعرفة في الإسلام قسمين: **الأول: الأساسي**: وهما العقل والوحي. واعتبر العقل هو المصدر الأول والأساسي. **والثاني: المصادر المتفرعة والتابعة** من المصادر الأساسية: وهي الحواس والتجربة. أنظر: **حقيقة الفِكْر الإسلامي**، (ص٨٤– ٨٩). وأنظر لكتابهِ: مصادر المعرفة في الفِكْر الديني والفلسفي.

ويرى فتحي الملكأوي أن مصادر المعرفة قسمان هما: الوحي، والعالم. أنظر: **منهجية التكامل المعرفي**، (ص٢٠٩– ٢١٧).

الرؤية للمصادر في ذهنه، وعدم وجود اعتبارات ثابتة لها. وهي – أي المصادر– الأصل الذي يستقي منه المُفكر قضايا التفكر ومواضيعه، وهي التي تحدد المسار المنهجي ونوعية التوجه الذي يجب على المُفكر أن يمارسه لمعالجة القضايا والمواضيع المطروحة.

وبعد البحث والنظر في المنهج النبوي وجدنا أن هناك مصدرا ثابتا وهو "الوحي الإلهي" يُكوّن بمفرده منظومةً كاملةً لها معالمها وضوابُطها الخاصّة بها في تحديد مجالات الفِكْر وموارده، وتمييزِ المقبول منها من المردود. ومردُّ المصدر في البناء الفِكْري وتحديده يعود إلى التأصيل القرآني والنبوي، وطالما أنّ هذا المبحث يتناول مصدر البناء الفِكْري ومجالاتهِ، فيَحسن بنا أن نعرضَه من خلال رؤية المنهج النبوي وتطبيقاته.

فالبناء الفِكْريّ في الحديث النبوي يُبين أن الوحيَ الإلهيَّ هو المصدر الأصل الذي يندرج تحته كل المجالات والمصادر الأخرى التي فُتحت أمام المفكرين ليستقوا منها أفكارهم وموضوعاتهم. كما أنه وضح أنه أصل المعرفة الصحيحة التي يستمد منها المفكر المعرفة والعلم.

وهذا المصدر أوجد المجالات المتكاملة في مجموعها، مع تميز كل نوعٍ بخصائصه، وحدوده، وضوابطه، لهذا اعتنى المنهج النبوي بتهذيب هذه المجالات، وجعل لكل واحدة منها مناهج خاصة لفهمها والتفكر بها. ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

المطلب الأول: مصدر البناء الفِكْري "الوحي الإلهي":

الوحي هو: إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بشرعه ودينه[1]. أي هو كل ما أوحى الله تعالى به لرسله قال الله تعالى: {إِنَّا أَوحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[2].

ومن هنا يظهر أن مصدر الوحي يدخل فيه كل ما أُنزل على الأنبياء عليهم السلام، وهذا ما نبه عليه الشارع في القرآن الكريم، فقد بين تسلسل المصادر التي أوحى بها إلى أنبيائه، فبدأ ببيان مصدر اليهود في أحكامهم وأفكارهم وهو **التوراة** الذي أنزلها على موسى عليه السلام،

---

١ ابن حجر، فتح الباري، (ج١، ص٨).
٢ آية ١٦٣ –١٦٥ من سورة النساء.

قال الله تعالى: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[١]. ووضح أن مصدر النصارى في فكرهم وأحكامهم **الإنجيل** الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليه السلام، وما تبقى من التوراة التي لا تخالف ما أنزله في الإنجيل، قال الله تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ **وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**، وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[٢]. كما حدد الوحي بشقيهِ للمسلمين وهما: **أ. الكتاب** الذي أنزله الله تعالى على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ** وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}[٣]. **ب. والسنة النبوية** التي أوحى الله بها إلى نبيهِ محمد صلى الله عليه وسلم فعبر عنها بكلامه، قال الله تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[٤]، وروي عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فَقَرَءُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**"[٥].

وورد عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "**أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ**" وفي رواية "**أَلَا**

---

١ آية ٤٤ من سورة المائدة.
٢ آية ٤٦ _٤٧ من سورة المائدة.
٣ آية ٤٨ _٤٩ من سورة المائدة.
٤ آية ٣ــ ٤ من سورة النجم.
٥ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم (٦٠٤٣). وكتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس، رقم (٦٥٨٦). كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (٦٧٦١). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، رقم (٢١٠). من حديث حذيفة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

إنِّي أوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ..."[١].

- **شروط المصدر في البناء الفِكْري الإسلامي:**

الشرط الأول: الثبوت والصدق:

وهذا الشرط نبه عليه الشارع الكريم وبينه من خلال توضيحه أن التوراة والإنجيل تم تحريفهما وتغيير ما فيهما، لذا لم يعودا صالحَيْن لأن يكونا مصدراً للمعرفة والبناء الفِكْري، قال الله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[٢]. وقال عز وجل: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ}[٣]. وقال الله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}[٤]. وقال أيضاً: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَتَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}[٥]. وقال عز وجل: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}[٦]. وقال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٧].

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَالَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواومَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُولَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

---

١ **الترمذي**، السنن، كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث..، رقم (٢٦٠٧). من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه. والرواية الثاني أخرجها: أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٣٩٩٠). **وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.**

٢ آية ٧٥ من سورة البقرة.

٣ آية ٧٩ من سورة البقرة.

٤ آية ٧١ من سورة آل عمران.

٥ آية ١٨٧ من سورة آل عمران.

٦ آية ٤٦ من سورة النساء.

٧ آية ١٣ من سورة المائدة.

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[١]. وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الوحي الذي أُنزل على النّبيين موسى وعيسى عليهما السلام تم تحريفه، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: **يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ، وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ**"[٢].

ونهى النبي عليه الصلاة والسلام من الأخذ بما في التوراة والإنجيل، لأنها مكتوبة بلغة غير العربية، وكان أصحابها يقومون بترجمتها للعربية وقد ثبت تحريفهم للمعاني والنصوص، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ "**كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا { آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا } الْآيَةَ**"[٣].

وبين النبي عليه الصلاة والسلام ضرورة الابتعاد عن المصادر التي تحوي الكذب والزور فيها، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها: "**سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا مِنَ الجِنِّيِّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**"[٤].

ولذلك اشترط الشارع الكريم التبيُّن والتحري عند سماع الأخبار، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...}[٥]، وقد بين الله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام أنه يجب التحري من الأخبار عندما تحرى قول الهدهد بقوله: {سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}[٦]. وهذا ما نبه إليه المنهج النبوي إذ نهى عن رواية كل ما يُسمع إلا إذا تحقق من

---

١ آية ٤١ من سورة المائدة.
٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة، رقم (٢٥٠١). **صحيح**.
٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، رقم (٤٤٨٥، و٧٣٢٦). **صحيح**.
٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الطب، باب الكهانة، رقم ٥٧٦٢. **صحيح**.
٥ آية ٦ من سورة الحجرات.
٦ آية ٢٧ من سورة النمل.

صحته وصوابه، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**"[١].

ونهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الكذب في الحديث عنه، وزجر من يفعل ذلك بعقوبات شديدة: فقال عليه الصلاة والسلام: "**لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجْ النَّارَ**"[٢]. وفي رواية: "**وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**"[٣].

---

١ **مسلم**، الصحيح، باب النهي عن الحديث بكل ما يسمع، رقم (٦). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (١٠٤). ومسلم، الصحيح، باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم..، رقم (٢). من حديث علي رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ سبق تخريجه.

الشرط الثاني: أن يكون المصدر شاملاً لأصول المعرفة ومستقلاً بذاته.

يُعد المصدر الإلهي بشقيه الصادقين والثابتين القرآن الكريم والسنة النبوية الأصل الذي تنطلق منه كل أصول المعرفة، وهي:

* **العلم العقلي** الذي يقوم على الدليل والبرهان.

وهذا يظهر من خلال الدعوة للتفكر والنظر فيما حولنا، وإعمال العقل بكل إمكانياته لربط الأسباب بالمسببات، وتعليل الظواهر بما هو عقلي بعيد عن الخرافات. واستنباط النتائج المناسبة، قال الله تعالى موضحا حال ابراهيم عليه السلام في إعمال عقله وربط الظواهر وتعليلها: {كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السماوات وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السماوات وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[١]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا**"[٢].

* **والعلم الفطري** المناسب للإنسان من القيم والمُثل العُليا والأخلاق.

قال الله تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أثر الناس لا يعلمون}[٣]. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: "**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**"[٤]. وبين ابن تيمية أن الدين الذي فطر الله عليه عباده يجمع أصلين أحدهما: عبادة الله وحده لا شريك له، وإنما يعبد بما أحبه وأمر به. والثاني: حل الطيبات التي يستعان بها على المقصود، وهو الوسيلة، وضدها تحريم الحلال"[٥]. وهذه الأصول

---

١ الآيات من ٧٤ إلى ٧٩ من سورة الانعام.
٢ **سبق تخريجه.**
٣ آية ٣٠ من سورة الروم.
٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي..، رقم (١٢٧٦ و١٢٧٧). وباب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٠٢). وكتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم، رقم (٤٤٢٧). و**مسلم**، الصحيح، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٤٨٠٩-٤٨١١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه.**
٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **درء تعارض العقل والنقل.** تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ، (ج٤، ص ٣٢٢).

تظهر من خلال البناء الأخلاقي للنفس البشرية، والحث على التزام القيم الحميدة من خلال تعلمها وتطبيقها.

* **وعلم الغيب،** الذي يُخبرنا بأمور لا يمكن معرفتها إلا من خلال الوحي.

فهذا القسم لا يُمكن إدراكه إلا من خلال هذا المصدر. فالأمور الغيبية أمور لا تُدرك إلا بالخبر الصادق، ولا يصح التفكر أو إعمال العقل بما هو خارج عن إطارهِ وضوابطه. فالتفكر في ذات الله تعالى وصفاته لا يمكن إدراكه لقوله تعالى: قال جل في عُلاه: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً}[١]. لذا يُقتصر به على العلم الوارد في النصوص الشرعية.

كما أن هذا المصدر هو الباني للفكر وقواعده وضوابطه التي تُنظم مسار المُفكِر فرداً وجماعةً بتنظيم فكره وأقواله وسلوكه، لذا يجب الأخذ والتمسك به، وفهمه فهماً عميقاً، من خلال إعمال العقل والتفكر الدؤوب بنصوصه. قال الله تعالى آمراً بذلك: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }[٢]. وقال أيضا: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[٣].

وأمر الشارع الكريم بالاستزادة من النهل من هذا المصدر بقوله جل في عُلاه: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**}[٤]. ووضح الشارع أن هذا المصدر يؤثر إيجاباً على المفكر فيزيده إيماناً واستبشاراً بالخير قال الله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ }[٥]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**" وفي رواية: "**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**"[٦]. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**"[٧]. وحث على فهم السنة النبوية ونقلها بقوله عليه الصلاة والسلام: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**"[٨]. وقال

---

١ آية ١١٠ من سورة طه.
٢ آية ٨٢ من سورة النساء.
٣ آية ٢٤ من سورة محمد.
٤ آية ١١٤ من سورة طه.
٥ آية ١٢٤– ١٢٥ من سورة التوبة.
٦ **سبق تخريجه.**
٧ **سبق تخريجه.**
٨ **سبق تخريجه..**

عليه الصلاة والسلام: "**نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع**"[١].

١ **الترمذي**، السنن، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم ٢٦٥٧، و٢٦٥٨. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح**. ولفظ ٢٦٥٨ هو: "نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

لمطلب الثاني: مجالات البناء الفِكْري في الحديث النبوي:

حثّ الشارع الكريم الناس أفراداً وجماعات على التفكر، قال الله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...}[١]. كما دعاهم أيضا للبحث والمعرفة، والسعي المستمر لذلك "**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّم** "[٢]. ورفع من شأن هذا السعي ليكون سبيلاً من سُبل الجهاد التي يرضى الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**"[٣].

ولأن الإنسان متعطشٌ لكشف أسرار ما حوله، وشَغوفٌ لمعرفة كل ما هو مجهول بالتفكر وإعمال العقل فيه، حدد المصدر الأساسي للبناء الفِكْري وهو "الوحي" المجالاتِ التي يمكن إعمال الفِكْر فيها، وفق تدرج منهجٍ واضح، ويمكن توضيح هذه المجالات من خلال ما يلي:

بدأ مصدر البناء الفِكْري "الوحي الإلهي" بتحريض العقل على التفكر في الآية الكبرى التي وهبها الله تعالى لكل إنسان وهي "النفس البشرية" قال الله تعالى: { أولَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ}[٤]. وقال عز وجل:{ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}[٥].

ومن ثمّ وسّع له مدارات التفكر والنظر فأمره بالنظر لكل ما يحيط به من مخلوقات، والتفكر في شؤونها وخلقها. قال الله جل في عُلاه: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[٦]. وقال الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السماوات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأمر يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[٧]. ونبه المنهج النبوي لأهمية النظر في الأمور الدنيوية من خلال حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: "**مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا**

---

١ آية ٤٦ من سورة سبأ.
٢ سبق تخريجه.
٣ سبق تخريجه.
٤ جزء من آية ٨ من سورة الروم.
٥ آية ٢١ من سورة الذاريات.
٦ آية ١٩١ من سورة آل عمران.
٧ الآيتين ٢ و٣ من سورة الرعد.

يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا، قَالَ : فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ، فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، فَلْيَصْنَعُوهُ ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا ، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا ، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[١]. فالنبي عليه الصلاة والسلام بين أهمية التفكر في الأمور التي تتعلق بالأعمال الزراعية، وعدم الإكتفاء بالظن فيه أو قول غير المختص أو العالم.

ولم يقصر الشارع الكريم على التفكر فيما هو حاضر وملموس بالحواس، بل فتح المجال أمامه للنظر والتفكر على طول خط الزمن الإنساني، ففتح له مجال التفكر في التاريخ والماضي من خلال قصص الأمم الفانية وتجاربهم السابقة، ليفقه سنن الله تعالى في الكون، وليعتبر ويتعظ مما حدث لها، وحتى يقف بفكره على أسباب رقيها أو تقصيرها، فيأخذ بأسباب الفوز، ويتقي أسباب الفشل والخسران. {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[٢]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**"[٣]. وبين المنهج النبوي أحوال الأمم السابقة وكيف تعاملت مع كتبها المُنزلة من الله تعالى، ووضح حال الأمة الإسلامية في ضوء ذلك وكيف ميزها الله تعالى بالفضل، **قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، <u>ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ</u>، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا؟ قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ"**[٤].

---

١ **مسلم**، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون...، رقم (٤٣٦٣). **صحيح**.
٢ الآيتان ١٧٥ و١٧٦ من سورة الأعراف.
٣ **سبق تخريجه**.
٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل...، رقم (٥٢٦).وكتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض، رقم (٦٩٣٧). وباب ذكر الله بالأمر وذكر العباد، رقم (٧٠٠٢).من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **صحيح**.

كما فتح باب التفكر في بدايات الخلق ونشأتها فالتفكر لدخل فيه خَلَقْ الإنسان ونشأته، لذا كان الحديث النبوي يورد كيفية النشأة والخلق، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أو سَعِيْدٌ..**"[١]. كما حث على التفكر في قصص الماضين والاعتبار بها، **فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا: لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أو عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأمر حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُون**"[٢].

وجاء تالياً له النظر والتفكر في المستقبل والسعي لبنائه وتحقيق الخير فيه، لذا نبه المنهج النبوي إلى ضرورة تحديد الضعف وأسبابه للأمة في المستقبل، فقال عليه الصلاة والسلام "**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**"[٣].

كما وضح الحديث النبوي أن خواتيم الأمور ونهاياتها هي مجال لإعمال الفكر، فقد تابع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بقوله: "**...فَوَالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُه إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَايَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**

---

١ سبق تخريجه.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب المناقب، علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٦٦). وكتاب المناقب، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٥٨٨). وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان، رقم (٦٤٥٨). **صحيح**.

٣ **أبو داود**، السنن، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم (٣٧٤٧). من حديث ثوبان بن بجدد رضي الله عنه. **صححه الألباني في السلسلة الصحيحة**، (ج٢، ص٦٤٧).

فَيَدْخُلُهَا"[١]. كما وفتح له مجال التفكر والنظر في الموت ومصيره إلى جنةٍ أونار قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٢].

١ سبق تخريجه
٢ الزمر ٤٢.


أنموذج خط الزمان لمجالات الفِكْر المستمدة من مصدر الفِكْر الأساسي: الوحي.
الماضي يؤثر على البناء الفِكْري في الحاضر
الحاضر يصنع ويبني المستقبل
أصل النشأة وبداية الحياة
الحاضر
المجالات هي: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والعلمية
نهلية الحلق وبداية الحياة الأخرى

المطلب الثالث: التأصيل المنهجي للقضايا الفِكْرية.

بعد تشكل المعرفة وتراكمها عبر العصور، وفتح الشارع الكريم للعقول أبوابها ومجالاتها، لتنطلق بالتفكر والنظر والتدبر. جاء البناء الفِكْري ليُسلط نظرة جديدة عليها، ويُخرجها من العمل العشوائي غير المُنظم إلى العمل المُمنهج والمُنظم ذي النظرة الشاملة والعلمية والعملية، فرسم له المناهج التي تساعده على تنظيم مسيرته، وتوجههُ لتحقيق غاياتهِ وأهدافه. وهيأ العقل للعمل ضمن هذه المناهج حتى لا يتيه أو ينحرف عن مسارهِ. والتاصيل المنهجي في البناء الفِكْري جاء من خلال مجموعة من القواعد التي بنا الشارع الكريم عليها المناهج، ويمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: التنبيةُ على الفروق المنهجية الجوهرية في دراسة العلوم وفق مجالاتها المتنوعة؛ فالتفكر بالكون ومعطياته يختلف عن التفكر بالنصوص التاريخية أو الدينية، ولكلٍ منهما مناهجه التي تختلف في حقيقتها عن المناهج الأخرى، وإن اتفقا ببعض الخطواتِ اللازمة للدراسة.

وهذه المناهج استنبطت من نصوص الوحي فبُني العلم بها، وقامت الحضارة الإسلامية عليها، لتصبح من الحضارات المتقدمة والمزدهرة. وهذه المناهج تتنوع لتعدد مجالات المعرفة والعلم. ويمكن إجمال المناهج التي أصل لها الشارع بأبرز منهجين وخطواتهما بما يلي:

أولاً: المنهج السُنني: منهج الربط والتعليل:

"لأول مرة في تاريخ الفِكْر يكشف الغطاء أمام العقل البشري عن حقيقة منهجية على درجة كبيرة من الخطورة: إن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى وعلى غير هدف، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء"[١].

وهذا المنهج قائمٌ على خطواتٍ واضحة تبدأ بـــ: الاطلاع والبحث عن أحداث التاريخ الماضي، ثم فهمها وتحليل مضامينها، للوقوف على أسباب توفيقها ونجاتها أو هلاكها وخسرانها. وهنا يُشكل الإنسان معرفة لسنن الله تعالى الثابتة في

١ خليل، عماد الدين، **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**. طبعة قطر، ١٤٠٣هـ، ص٥١.

الكون. فيقيس عليها حاضره وسلوكاته كفرد أو جماعة، ليدرك حقيقة فلاحهِ أو خسرانه، من خلال ربط الأسباب بالمسببات، فيُعدل ما استطاع بما يُناسب سنن الله تعالى ليرتقي بنفسه ومجتمعه، ومنها يستطيع بناء المستقبل وتحديد ملامحه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُم.**"[١].

ثانياً: المنهج العلمي التجريبي[٢]:

وهذا المنهج يتعلق بالعلوم العلمية على تعدد مجالاتها وتوسع فروعها، ويُبنى هذا المنهج على البرهان، من خلال التجارب التي تناسب مجال التفكر والبحث، فيصل إلى نتائج تقوم على الحِس والمشاهدة. وهذا المنهج بيّنه الشارع الكريم في كثير من النصوص القرآنية التي تحث على النظر في شؤون المخلوقات. ونبهَ إليه المنهج النبوي بقوله عليه الصلاة والسلام: "**لِكُلِّ دَاءٍ**

---

١ ابن ماجه، السنن، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم (٤٠١٧). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٢ قال د. "كوبلربونج" ــ وهو أستاذ العلاقات الأجنبية في جامعة برنستون في واشنطن: "كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الإسلامية، كما وأن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، الذي أخذ به علماء أوروبا، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوروبيين بالعالم الإسلامي، عن طريق دولة العرب في الأندلس". أنظر: الملا، أحمد علي، **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية**. دار الفِكر، دمشق، ط٢، ١٤٠١هــ، ص٩.

وقالت د. زيغريد هونكه": "إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال، ويقدموها إلى الغرب مرتبة منظمة وحسب، بل أسسوا الطرق التجريبية في أنواع العلوم، وقدموا اكتشافات كثيرة في فروع المعرفة، وبالإضافة إلى هذا قدموا للغرب اثمن هدية وهي: طريقة البحث العلمي الصحيح، التي مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة". أنظر كتابها: **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص ٤٠١ــ ٤٠٢.

دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[١]. وفي رواية "**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**"[٢].

وحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قَالَ: "**مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا، قَالَ : فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ، فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ ، فَلْيَصْنَعُوهُ ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا ، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا ، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[٣].

وهذا المنهج يقوم على مجموعة من الخطواتِ المنهجية فيبدأ بالاستقراءِ، ومن ثم التحليل والاستنباط، ومن ثم وضع النتيجة النظرية التي تثبتها التجربة وتعللها، قال تعالى: {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}.

ونبّهَ الشارع الكريم إلى وجوب قيام هذه المناهج على المنطقية في الفهم والتعليل، لذا نقّىَ فكر الباحث من المعوقات التي تؤدي إلى الانحراف عن المسار الصحيح من: الخرافات والأساطير، والجمود على التقليد، والجهل، والظن والهوى.

فنهى عن التقليد الذي لا يكون قائماً على التفكير، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"**لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا**"[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ، فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**"[٥]. ونهى عن اتباع الأساطير والهوى في تفسير الظواهر، فقال عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا**"[٦]. وقال الله تعالى محرماً القول بجهلٍ ودون

---

١ **مسلم**، الصحيح، كتاب السلام، بَاب لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي...، رقم (٤٠٩١). من حديث جابر رضي الله عنه. **صحيح**.

٢ **البخاري**، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له...، رقم (٥٢٧٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٣ **مسلم**، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون...، رقم (٤٣٦٣). **صحيح**.

٤ الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، رقم (١٩٢٦). من حديث حذيفة رضي الله عنه. وقال: **هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ** .

٥ **البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم (٦٨٠١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٦ سبق تخريجه.

علم: {ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسئولاً}. ونهى عن اتباع الظن {إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس}[١]، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: "**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**..."[٢]. وأمرهم بالتثبت والتأكد من كل ما يقوم على هذه الأمور { .. إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..}[٣].

[١] آية ٢٣ من سورة النجم.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح، رقم (٤٧٧٢). وكتاب الأدب، باب من أثنى على أخيه بما يعلم، رقم (٥٦٣١، و٥٦٣٣). وكتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، رقم (٦٢٥٧). **ومسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس..، رقم (٤٦٥٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ آية ٦ من سورة الحجرات.

المبحث الثالث: شروط النتاج الفِكْري "الأفكار".



يمكن أن نستنبط من خلال المنهج النبوي شروطا للنتاج الفِكْري الذي يصدر عن المُفكر مجموعةً من الشروط تتناسب وطبيعة الرسالة الإسلامية، وتتلاءم مع الغايات والأهداف التي رسمها الشارع. ويمكن بيان شروط النتاج الفِكْري من خلال الأنموذج والنقاط الآتية:

أولاً: الفاعلية والنفعية.

ثانياً: الوضوح.

ثالثاً: التجديد.

رابعاً: الواقعية والعملية.

المطلب الأول:شرط النفع والفاعلية.

يشترط المنهج النبوي في الأفكار أن تكون ذات نفع وفاعلية في الواقع، والمنفعة تتعلق إما بذات المفكر الذي ينتج الفِكْر، أو منفعة عامةٍ لمن حولهُ، أو للمجتمع، أو الإنسانية. حيث تكون سبباً في تحقيق الحياة الطيبة له ولمن حوله. وهذا الأمر مُلاحظ من مجموع التشريعات الإلهية للتشريعات، فقد جعل منفعتها تعود على الفرد في الدنيا والآخرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**...احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ...**"[١].

وهذا ما وضحه الشارع الكريم عندما شرع العبادات وبيّن المنفعة المُحصلة منها، حيث جعل شرط ما يصدر منا من أفكار عملية أن تكون ذات نفع وفاعلية وتجلب الخير، قال الله عز وجل { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ

---

١ سبق تخريجه.

اللّهِ أَكْبَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}[١]. فهنا تظهر نفعية الصلاة وفاعليتها للفرد بأنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فالطاعة نفسها تضمنت ترك المعاصي[٢]، وفي هذا نفع كبير.

ويبين المنهج النبوي في البناء الفِكْري أهمية المنفعة والفائدة خاصة في النتاج الفِكْري الذي يبني الغايات ويُقوّم مسيرة العباد. فقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**"[٣]. وهذا نصٌّ يفيد أن فقه الدين وفهمه يكون فيه منفعةٌ للجميع، وأن من يغلق عقله أمام فهمه فلن تصيبه منفعته ولن ينفع من حوله، فقد حرَمَ نفسهُ وغيرهُ المنفعة. لذا **استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع**[٤].

كما أن النصوصَ النبوية فعّلت العبادةَ لتكونَ عملاً أخلاقياً وناجحاً يجلبُ المنفعة للناس، ففي الحديث "**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**"[٥]. فهنا يُبين النبي صلى الله عليه وسلم أن منفعة المال تكون بالصدقات وجلب الخير للناس وللنفس. وكذلك العلم والحكمة وهما رأس العبادة فتكون منفعتهما بالحكم بهما بين الناس وتعليمهما لهم. كما أن المنهج النبوي بيّن أن النفعية أمرٌ مستمرٌ لا يقيّدهُ وقتٌ ولا مكان، انظر لعظمة هذا المعنى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**"[٦].

---

١ آية ٤٥، من سورة العنكبوت. وقد روى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لا تنفع الصلاة إلا من أطاعها. ثم قرأ: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}. (ج١٣/ ص٢٩٨).

٢ قال ابن تيمية: "نفس فعل الطاعات يتضمن ترك المعاصي، ونفس ترك المعاصي يتضمن فعل الطاعات. ولهذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. فالصلاة تضمنت شيئين: أحدهما نهيها عن الذنوب، والثاني تضمنها ذكر الله" أنظر: **مجموع الفتاوى**، (ج١٠/ ص٧٥٣).

٣ **سبق تخريجه.**

٤ سبق تخريجه.

٥ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب الإغتباط في العلم والحكمة، رقم (٧٣). وكتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه، رقم (١٤٠٩). وكتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة، رقم (٧١٤١). وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى، (٧٣١٦). **ومسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أو غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، رقم (٢٦٨). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **متفق عليه.**

٦ سبق تخريجه.

والمنفعة تتضمن أيضا تركَ المعاصي والابتعادَ عمّا نهى الشارع عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ** "[١].

فالنفعية في المنهج النبوي في البناء الفِكْري تكون شاملة للمستوى الفردي والمستوى الجماعي وتكون محصلتها في الدارين: الدنيا والآخرة، كما أنها تكون بالفعل أو ترك الفعل، وهذا الفعل لا يكون إلا نتاجاً للفكر.

المطلب الثاني: شرط الوضوح.

يشترط في الأفكار أن تكون واضحة في ذهن المفكر أولاً، وأن يتبع الأساليب المتنوعة والمناسبة عند طرحها وتوضيحها للآخرين، حتى لا تتعدد الأفهام وتختلف في تحديد المراد منها، وحتى لا يشتبه العقل في فهم دلالة الفِكْرة ومعناها، وهذا يقتضي من المُفكر أن يُنظم الأفكار ويشرحها ببيان المصطلحات المتعلقة بها، خاصة إن قصد معنى غير معروف ومتداول، وهذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله إذا أراد تصويب فكرة، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ:"إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**"[٢]. كما أن صياغة الفِكْرة بنص قوي وواضح يُعين على ضبط مسارات الفهم، ومحاكمة الفِكْرة وفق الضوابط الصحيحة.

والوضوح يتضمن أيضا الابتعاد عن الغموض والالفاظ المعقدة، واختيار الألفاظ السهلة القريبة للفهم، وتكرار الفِكْرة لترسيخها في أذهان المستمعين جيداً، فقد ثبت بالسنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرر الألفاظ ليُسهل على الناس الفهم وإدراك دلالة الفِكْرة، ولتثبيت المعنى في نفوسهم[٣].

---

١ سبق تخريجه.

٢ **مسلم**، الصحيح، كتاب البر والصة والأدب، باب تحريم الظلم/ رقم (٤٦٨٤). من حديث أب هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٣ مثال ذلك: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوصِنِي، قَالَ:"لَا تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ ". البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر، رقم (٥٦٧٨). صحيح.

ويرتكز الوضوح في النتاج الفِكْري على اتباع المنهج المناسب في التوصل له، وعدم الخروج عن المنطق في إثبات الأفكار أو نفيها، لأنه إن خالفه ستصبح الأفكار معقدة لا يستسيغ العقل قبولها وفهمها.

فالوضوح شرطٌ يبدأ من اختيار المعارف والمصادر، ومن ثم المنهج المُتبع في انتاج الفِكْرة، ومن ثم اساليب صياغتها ونشرها، والإجابة عن التساؤلات المثارة حولها.

المطلب الثالث: شرط التجديد.

يشترط في النتاج الفِكْري ألا يكون تقليداً أعمى للأفكار السابقة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أوزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ، غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أوزَارِهِمْ شَيْئًا...**"[١] وهذا يتطلب من المُفكر أن يكسر القيود الفِكْرية التي تحيط به، ويتجنب الوقوع في الأساليب التي تؤدي إلى الانحراف الفِكْري، لذا عليه ألا يتبع أفكار غيره ليخرج من النهي النبوي "**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قال الصحابة: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن.**"[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام أيضا: "**لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا انفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا**"[٣]. فالتجديد يتطلب من المفكر توسيع معرفته ودراسته للواقع، وتحديد المتطلبات التي يحتاجها المجتمع بمجالاته المتنوعة، مع مراعاة المبادئ والأصول الثابتة في المجال، وكان المنهج النبوي يراعي البيئة ويستفيد من المعرفة بابتكار الأفكار الجديدة وقبولها من أصحابها، مع مراعاة المجال وتحديد الهدف المنشود منها، فقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام بحفر خندق حول المدينة المنورة في غزوة الأحزاب، وهذه من الأفكار التي لم تكن معروفة في بيئة شبه الجزيرة العربية[٤].

---

١ سبق تخريجه.
٢ سبق خريجه.
٣ سبق تخريجه.
٤ قال سلمان : يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خَنْدَقْنَا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك. أنظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم**، (ص٢٧٤).

الفصل الثالث: أسس البناء الفِكْري وأدواته وأساليبه في الحديث النبوي

المبحث الأول: أسس البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

الأساس الأول: "الإيمان" روح البناء الفِكْري السليم.

الأساس الثاني: "العلم" عمود البناء الفِكْري السليم.

الأساس الثالث: "الأخلاق" عصبُ البناء الفِكْري السليم.

الأساس الرابع: "العدل، والشورى، والمحاسبة": ضوابط أمان البناء الفِكْري.

الأساس الخامس: "التنمية والديمومة" محرك البناء الفِكْري.

المبحث الثاني: أساليب البناء الفِكْري وأدواته في الحديث النبوي.

المطلب الأول: أساليب البناء الفِكْري.

المطلب الثاني: أدوات البناء الفِكْري.

المبحث الأول: أسس[١] البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

لا يمكن لبناءٍ على وجه الأرض أن يحيا دون أن يكون مستقراً ومُستنداً على أسس ودعائم. والبناء الفِكْري يحتاج إلى أسس ودعائم لتكون قواعد ثابتة يستقر عليها استقراراً تاماً، من أجل أن يحافظ على نفسه من الاهتزاز أو الانحراف.

والبناء الفِكْري في الحديث النبوي تميز بتوافر مجموعة من الأسس التي يقوم عليها، وتحيط به لتدعم البناء وتقوّمه نحو الأفضل.

واستناداً إلى نصوص الحديث النبوي والمنهج النبوي يمكن توضيح أسس البناء الفِكْري فيه، من خلال الأنموذج المجاور.

العلم
الأخلاق
الإيمان
الضابط:
العدل
الشورى
المحاسبة
الديمومة والتنمية

ويمكن بدء التفصيل في هذه الأسس على النحو الآتي:

الأساس الأول: أساس "الإيمان روح البناء الفِكْري السليم".

يُعدّ الإيمان الركيزة الأولى في البناء الفِكْري فهو المؤثر الحقيقي في تشييده، وعندما نتحدث عنه فنحن نتحدث في حقيقة الأمر عن جوهر البناء وغايته، وأساسه الرئيس، لذا سيُلاحظ أن الإيمان أساس لا يكاد يفارق البناء الفِكْري في الدراسة كلها، فهو من أدق تفاصيلها، وأعلى مطالبها، فبتركه أو التخلي عنه نفقد روح البناء الفِكْري الذي يحيا به، وأبرز ميزاته المثبتة له.

يُعد الإيمان القاعدة التي ينطلق منها البناء الفِكْري في الحديث النبوي، حيث يجب الاعتقاد الجازم والعلم اليقيني بوجود إلهٍ واحد {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...}[٢]، هو خالق كل شيء بما فيه ذواتنا والكون بكل معالمه، وأن هذا الإله يتصف بصفات الكمال، وأنه هيأ لنا الكون بما

---

١ الأساس كل مبتدأ شيء، وهو أصل البناء. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (مادة أسس). والتأسيس: بيان حدود الدار ورفع قواعدها وبناء أصله. أنظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (مادة أسس). والأساس: قاعدة البناء التي يقام عليها، وأصل كل شيء ومبدؤه، ومنه أساس الفِكْرة، وأساس البحث والتعليم الأساسي الخبرة العلمية والعملية التي لا غنى عنها للناشئ. أنظر: ابراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**. تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (مادة أسس). فــ أسس البناء الفِكْري في الحديث النبوي: هي القواعد التي أصلها النبي عليه الصلاة والسلام ليبني الفِكْر ويؤسسه.

٢ جزء من آية ١٩ من سورة محمد عليه الصلاة والسلام.

فيه من موجودات، وسخره للإنسان ليحقق مراده وغاياته، وحافظ عليه بقوانينه وسننه من الخراب والدمار، وقدّر لنا فيه كل ما نحتاجه ونطمح له.

والإيمان الجازم بوجود إله واحد يُشعر الفرد والجماعة بالسكينة والاستقرار، ويُعمر الأفئدة بالطمأنينة والأمان الفِكّري والعقلي، ليفسح أمامه المجال للتفكر والفهم وإدراك معاني الموجودات وأغراضها.

فالإيمان القائم على التوحيد والتصور العقدي له اهمية في البناء الفِكّري، من حيث مصدر انطلاق الأفكار والمنهج والإجراءات التي يسير عليها، والنتائج والثمار التي تُجنى منه ويسعى لتحقيقها في الواقع. فالبناء الفِكّري ينطلق من أساس ثابت هو وجود إله يوفر للإنسان كل ما يحتاجه ويُسخر له الموجودات، فالله تعالى هو الذي بيده النفع والخير للإنسان، قال الله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}[1].

والإيمان يُمهد الطريق المستقيم والصحيح أمام البناء الفِكّري، لأنه يُعنى بعبادة الله تعالى فقط ، وألا يُشرك به شيء من جانب الأفكار أو السلوك القولي والعملي، وقد اشتهر عن السلف الصالح أن الإيمان: نيةٌ وقولٌ وعملٌ، فالأعمال والعبادات داخلة في مسمى الإيمان[2]. قال الله تعالى آمراً نبيه عليه الصلاة والسلام ومن بعده أن يقولوا: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أولُ الْمُسْلِمِينَ}[3]. وأكدّ المنهج النبوي أن الأفعال جزءٌ من الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: "**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**"[4]. فالنبي صلى الله عليه وسلم بيّن أن ذروة الإيمان التوحيد المتمثل بالشهادة الصادقة، وأدناه سلوكٌ فيه روح الخير والمساعدة، وهو رفع الأذى عن الطريق. والمنهج النبوي بين أركان الإيمان عندما سئل جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ قَالَ:

---

١ الآيتان ٣١ و٣٢ من سورة يونس عليه السلام.
٢ ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (ج١، ص١٠٤).
٣ الآيات ١٦١ –١٦٣ من سورة الأنعام.
٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، رقم (٨). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وافضلها، رقم (٥٣، و٥٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

"**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**.."[١]. لتُشكل عالم الأفكار الذي يُعدّ محور الإنتاج الفِكْري والدافع السلوكي لكل شيء، فبها تحيا النفس ويتشكل العقل[٢]. فهو أساس فعّال لكل سلوك قولي أو عملي يصدر عن الإنسان، ولهذا كان هو أساسا ثابتا لم يتغير منذ بداية النشأة وخلق الإنسان، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }[٣].

وأساس البناء الفِكْري هذا –الإيمان– فكرةٌ تتكيف معها النفس البشرية وتتفاعل لتُترجم مقتضيات الفِكْرة النظرية إلى عمل واقعي[٤]، وهذا الأمر لا يُدركه إلا الصفوة من أصحاب الفِكْر والعلم، قال الله عز وجل: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٥]. فيتمكنوا بعد ذلك من تقديم تفسيرٍ شاملٍ للوجود بكل معطياته.

وهذا الأساس يحقق الغايات المرجوة – التي رسمها البناء الفِكْري في الحديث النبوي – والأهداف المنشودة. فهو القوة التي تدفع عجلة الفِكْر في مسارها الصحيح، لتحقق أهداف الإنسان وغاياته التي رسمها الشارع الكريم له[٦]. فمن خلال البناء الفِكْري السليم القائم على أساس إيماني ثابت يستطيع الإنسان المتمثل بالفرد والجماعة من تحقيق مفهوم العبادة لله تعالى في الأرض، واستيعاب ما يجب عليه أن يقوم به من خلال هذا البناء، فيُحسن من أفكاره ويُطهرها من أدناس السوء والضرر، فيتعبد الله تعالى بأحسن الصور وأطهرها. فالإيمان يرسم مساراً واضحاً للبناء الفِكْري من خلال تحديد غاية وجود الإنسان والهدف من خلقه. ويبين أن الحياة دار تفكر واختبار وتعمير، وهذا التعمير لا يكون إلا بالعبادة بمفهومها الواسع والصالح.

---

١ سبق تخريجه.

٢ "والعقيدة أو عالم الأفكار، كانت وما تزال هي المحور الأساس الذي يتمحور حوله الإنتاج الفِكْري والثقافي، ويشكل في الوقت نفسه الدافع السلوكي، والمحرض الحضاري، ودليل العمل، أو البصيرة والمعالم الهادية.. فالعقيدة هي التي تحيي روح الأمة، وتشكل عقلها، ونسيجها الاجتماعي، وتحقق وقايتها الحضارية والثقافية.. لذلك فهي المسئولة عن نهوض الأمة ورقيها الحضاري، كما أنها المسئولة إلى حد بعيد عن الانتهاء بها إلى الركود والنكوص والعطالة والاستنقاع الحضاري..". أنظر: البعد **الرسالي لمجلس التعاون الخليجي، بلاد الجزيرة العربية**، لنخبة من الباحثين والكتاب، الإصدار الثاني.
http://library.arabia-it.com/books/book_read.aspx?bookid=١١٤&pid=٢٤٦#pid=٢٤٦

٣ آية ٢٥ من سورة الأنبياء.

٤ أنظر: النجار، **فقه التحضر الإسلامي**، ص ٣٣. حيث قال: "وتكيف النفس بالتوحيد إنما المقصود به انفعاله بشدة تاثير الفِكْرة القائمة على التوحيد فيها، انفعالاً يدفع إلى الإنجاز العلمي بترجمة المقتضيات النظرية للفكرة إلى عمل واقعي".

وأنظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص٥١٠. قال: "إن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي، وإنما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس".

٥ آية ١٨ من سورة آل عمران.

٦ قطب، **خصائص التصور الإسلامي**، ص٨.

فأصبح هناك تصور واضح للوجود ومفهوم ينطلق من أساس الإيمان، يدفع البناء الفِكْري للإيجابية والفاعلية لتحسين الحياة وتعمير الأرض.

وهو الأساس الذي يبني العلاقات ويوضحها، فيبدأ بعلاقة الإنسان مع الله تعالى، فالله تعالى هو خالق الإنسان وهو الذي جعله خليفة في الأرض، قال الله تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ }[١]، وسخر له ما فيها من موجودات قال الله عز وجل: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[٢]. والإنسان هو عبد لله تعالى مخلوق لعبادته، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٣]. وهو الذي كرمه الله تعالى ورفع من شأنه من بين سائر المخلوقات، وخلقه الصورة الافضل والأقوم، ليتمكن من تعمير الارض، قال الله تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[٤]. ومنحه من الأدوات ما يستطيع معه من تحقيق أهدافه وغاياته، لذا جعله محاسبا ومسؤولاً عما يفكر بهُ، لأنه قادر على تنفيذ ما يفكر به ويرسم له طريقا في ذهنه. فإما أن يفكر بالخير والسعادة، أو الشقاء والشر، فيكون نتاج ذلك حصيلة فكره وعمله، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[٥].

والإيمان هو الأساس الذي يوضح لنا مجالات الفِكْر بجلاء، فالكون هو المجال الواسع في البناء الفِكْري مرتبطٌ بالله تعالى خالقه وموجده، والتفكر به يؤدي إلى تنزيه خالقه من الشرك والنقص. كما أن تسخير ما فيه من موجودات وتذليلها يُسهل طريق التفكر والاستفادة منه، قال الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[٦].

واعتنى الشارع الكريم انطلاقاً من هذا الأساس بتوضيح حقيقة خلق الإنسان وأصل نشأته منذ المراحل الأولى له، حتى بَين له نهايته ومصيره وما إلى ذلك من هذه الأمور الغيبية.

---

١ آية ٦١ من سورة هود.
٢ آية ٣٠ من سورة البقرة.
٣ آية ٥٦ من سورة الذاريات.
٤ آية ٤ من سورة التين.
٥ آية ٤٦ من سورة فصلت.
٦ الآيات من ٣٢- ٣٤ من سورة إبراهيم عليه السلام.

وترك له الخيار في اختيار طريقه في الحياة، وجعل نتائج خاتمته معتمدة على عمله القائم على فكره خلال الحياة. {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}[١].

وصحح الإيمان مسار التصور الخاطئ تجاه الحياة والوجود، لذا عاب الشارع الكريم التصور القاصر وغير الواضح لها، فارتبط بعض الناس بالظاهر منها وزينتها ونسوا أن الدنيا وسيلة لا بد من المرور بها لتحقيق الغاية. {أولَئِكَ مَأواهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[٢]. ونهى عن الاغترار بالدنيا وما فيها، وإغفال الغاية من الوجود، حتى لا يقع الإنسان في الضياع والضلال، {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَولَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[٣]. فالبناء الفِكْري المنسلخ عن أساسه الإيماني يسلب الإنسانية والرقي من الفرد أو الجماعة، فتراه يقدم المادة بأي بعد لها بجشع وطمع. ولا قيمة للبناء الفِكْري من الناحية الروحية دون الإيمان، الذي يجمع أسسهُ، ويوحد أفراده، لينشر الانسجام والتلاؤم الفِكْري بينهم، والذي بدونه لا يتم تعأون ولا اتحاد.

فالإيمان هو المقوم الأساسي للبناء الفِكْري، والروح العملية لكل ما يصدر عنه من نتاج، وهو المؤشر الفعال الذي يؤثر في قوته وضعفه، "ومن المعلوم أنه حينما يبتدئ السير إلى الحضارة، لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء، والعلوم، ولا من الإنتاج الصناعي، أو الفنون، تلك الأمارات التي تشير إلى درجة ما من الرقي، بل إن الزاد هو "المبدأ" الذي يكون أساساً لهذه المنتجات جميعاً"[٤].

---

١ الآيات ٥-٧ من سورة الحج.
٢ الآيتان ٧ و٨ من سورة يونس.
٣ الآية ٢٠ من سورة الحديد.
٤ ابن نبي، شروط النهضة، ص ٧٣-٧٤.

الأساس الثاني: "العلم عمود البناء الفِكْري السليم"

العلم هو العمود الذي يرتكز عليه البناء الفِكْري بكل أسسه، فهو الأساس الثاني بعد التوحيد. والشارع الكريم جعله يتناول كل المجالات، فلم يقتصر به على مجالٍ دون آخر، وجعله فريضة لا يجوز التهاون فيها، بل هو أساس الفرائض ومنطلقها، فـــ "العلم في الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم، فهو علم أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشرائع، لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام"[١].

واعتنى الحديث النبوي ببيان أهميته ودوره في إنشاء الحضارة الإسلامية، وكان توجهه في ذلك البيان عملياً وتطبيقياً، لذا شجع من بداية الدعوة الإسلامية على التعلم، وقرن الشارع الكريم هذا التعلم بالجانب التوحيدي والديني، فنزلت أولى آيات القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[٢]. فكانت هذه البداية التي امتزجت كأساس بالبناء الفِكْري وروحه، فقرن الله تعالى العلم باسمه الكريم، ليكون العلم والإيمان توأمين متلازمين لا يمكن الفصل بينهما، ولا يمكن قيام البناء الفِكْري السليم إلا بهما معاً.

فالأساس العلمي يُعد عجلة البناء الفِكْري في كل مجالٍ متاح، فيحول المعرفة المجردة والعلوم النظرية إلى تطبيق عملي ومفيد، فغدا عاملاً فعالاً في تقدم المجمتع والفرد.

كما أنه سببٌ في تحقيق الغايات والأهداف التي يسعى البناء الفِكْري لها، فهو الذي يوضح لنا كيفية العبادة ومسالكها الصحيحة، قال الرسول عليه الصلاة والسلام "**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[٣]. وهو الذي يُسهل الطرق ويذللها لنا لتعمير الأرض وتطويرها، **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلًا}**[٤]. فالأساس العلمي مرتبط بوجود الحضارة، ولا يكون إلا بالتعمير المستمر للأرض، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا،**

---

١ العقاد، **التفكير فريضة إسلامية**، ص٨٢.
٢ الآية ١ من سورة العلق.
٣ سبق تخريجه.
٤ آية ٨٣ من سورة النساء.

فَكَانَ مِنْهَا نَقِيّة قبلَتِ المَاءَ فَأنْبَتَت الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ"[١]. وقال ابن خلدون: "العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران، وتعظم الحضارة"[٢].

وبالأساس العلمي نعرف الله تعالى ونؤمن به، قال الله عز وجل: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**}[٣]. وعن طريقهِ نحقق الغاية العظمى من رضوان الله تعالى، فقد شجع الشارع الكريم العلماء وجعل لهم مكانة عليا في جنان الخلد، قال الله تعالى: {**يَرْفَعِ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ أوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}[٤].

والعلم عمود البناء الفِكْري الذي لا يقوم إلا به، لذا لا يمكن المساواة بين العالم والجاهل، قال الله تعالى: { **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أولُوا الألبَابِ**}[٥]. وجُعل العلم هو الأساس الممتد الذي لا يمكن الاكتفاء منه، قال الله تعالى: { **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**}[٦]، فلم يأمر الشارع الكريم طلب الزيادة في شيء إلا في العلم[٧]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "**إذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاّ مِنْ ثلاثةٍ وذكر منها: أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ**"[٨]، وفي هذا دلالة على استمرار العلم وعدم انقطاعه أو فنائه حتى لو فَنِيَ الجسد ومات. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إنّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وَإنّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإنّمَا وَرّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**"[٩]، ليدل على قربهم من الأنبياء في المكانة والفضل، لذا كانوا أحق بميراث العلم منهم[١٠].

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن العلم سبب في حفظ صاحبه من اللعنة والسوء بقوله: "**ألَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أو مُتَعَلِّمٌ**"[١١]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أدْنَاكُمْ**"[١].

---

١ سبق تخريجه.
٢ **المقدمة**، ص٤٣٤.
٣ آية ٢٨ من سورة فاطر.
٤ آية ١١ من سورة المجادلة.
٥ آية ٩ من سورة الزمر.
٦ آية ١١٤ من سورة طه.
٧ الزمخشري، **الكشاف**، ص٦٦٧.
٨ سبق تخريجه.
٩ سبق تخريجه.
١٠ ابن القيم، **مفتاح السعادة**، ج١، ص٦٦. بتصرف.
١١ **الترمذي**، السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله..، رقم (٢٢٥٥). **وابن ماجه**، السنن، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم (٤١١٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ**.

ولأهمية هذا الأساس بين النبي صلى الله عليه وسلم أن انعدام العلم يؤدي إلى تفشي الجهل وانتشاره، وفساد الأنظمة المختلفة، ليصبح الضلال المنهج الذي يسير عليه الناس، وهذا الأمر لا يكون إلا برفع العلم وزواله، من خلال موت العلماء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**"[٢].

وقد أشار البخاري من خلال ترجمة باب "العلم قبل العمل" إلى ضرورة أن يسبق العمل بشقيه القولي والفعلي العلم والمعرفة به. وقد علق عليه ابن المنير بقوله: "أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل. فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه"[٣].

---

١ **الترمذي**، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٥). من حديث أبي أمامة. **وقال: حديث غريب.**

٢ سبق تخريجه.

٣ ابن حجر، **فتح الباري**، ج١/ ص ١٣٠.

المطلب الثالث: "الأخلاق عصبُ البناء الفِكْري السليم".

يرتكز البناء الفِكْري على الأساس القيمي والأخلاقي، فيبثها في كل مجالاته. ويرتبط هذا الأساس من خلال فهمه وتطبيقه بالأساس الإيماني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "..و**الحياء شعبة من الإيمان**"[١]. فالقيم الأخلاقية لا تنفصل عن أصل الإيمان كمعتقد وتصور، لذا نبه النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الارتباط من خلال هديه النبوي: "**وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**"[٢]. وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: "**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو لِيَصْمُتْ**"[٣]. وبين محمد قطب العلاقة بين هذين الأساسين بقوله: "...الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتما، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته"[٤].

وارتباط الأساس القيمي والأخلاقي بالإيمان يمنحه الرسوخ والثبات، فهو أساس لا يمكن تغييره أو تبديله وإن تغيرت العصور، ولا يمكن نقض لبنة منه، لأنه بذلك ينهار كاملا، فهو منظومة متكاملة تخدم الأهداف وتحقق الغايات، وشاملة لكل نواحي الحياة المتعلقة بالفرد والجماعة. فهو عصب البناء الفِكْري المنتشر فيه، ليضيف له معانٍ جوهرية ويرتقي به نحو الأعلى.

فالأساس القيمي يحدث في كل جزء من البناء الفِكْري، فغاية العبادة التي أوجبها الشارع الكريم مدعاة لرسوخ هذا الأساس والارتقاء به، قال الله تعالى: { **اتْلُ مَا أوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**}[٥].

---

١ سبق تخريجه.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأدب، باب إِثْمِ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ يُوبِقْهُنّ..، رقم (٥٥٨٤). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم (٦٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأدب، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ..، رقم (٥٥٨٦). وباب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَخِدْمَتِهِ إِيَّاهُ بِنَفْسِهِ..، رقم (٥٦٩٨، و٥٧٠٠). وكتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم (٦٠٢١). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ ..، رقم (٧٠، ٧١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٤ الغزالي، محمد، **خلق المسلم**، ص١٠.

٥ آية ٤٥ من سورة العنكبوت.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**"[١].

وبين الشارع الكريم أن هذا الأساس هو الحافظ للفرد والجماعة من ارتكاب رذائل الأمور وصغائرها، فإذا اتصف الإنسان بالصفات السيئة في ظاهر أمره فإن هذا الأمر يؤدي إلى وقوع الخلل في إيمانه، لذا بين النبي صلى الله عليه وسلم صفات المنافق، كما وضح في أن سوء الخلق ولو كان يسيراً يجر صاحبه لدائرة السوء والضلال، فبين سوء اتصاف الفرد ولو بصفة واحدة من تلك الصفات بقوله: "**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**"[٢].

وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الأساس مقياساً لمدى اتصاف الفرد بالإسلام والالتزام به، **كما** جعله سبباً في تفضيله وتميزه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**"[٣].

وحث الشارع الكريم على التخلق بأفضل الأخلاق واتباع القيم النبيلة في تفكيرنا وتعاملنا مع الآخرين، فنهانا عن سوء الظن والشك بالآخرين، ونهانا عن الحسد والحقد والغيبة.. الخ. إلى غير ذلك من الصفات التي متى تأصلت بالنفس البشرية نزلت بصاحبها إلى وحل الرذيلة والأمراض النفسية، وهي قيود تعطل عملية البناء الفِكْري، وتحرفه عن مساره الصحيح.

والأساس القيمي في البناء الفِكْري يقوم على قاعدة الإلتزام[٤] التي تؤدي لتحمل تبعات السلوك، لذا يجب الالتزام بالقيم والأخلاق الحميدة التي تؤدي للخير، وتمنع الفوضى والانحراف في البناء الفِكْري للفرد والجماعة. فبتمام أساس الأخلاق والقيم يكتمل البناء الفِكْري، وبانهياره وركاكته ينحرف البناء عن وجهه الصحيح، ولا بد أن ينهار بدخول جراثيم الأخلاق الفاسدة.

---

١ **البخاري**، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به..، رقم (١٧٧٩). وكتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، رقم (٥٦٢٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٣). وكتاب الجزية، باب هل يُعفى عن الذمي إذا سحر، رقم (٢٩٥٨). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٩١). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. **متفق عليه**.

٣ **أبو داود**، السنن، كتاب الأدب، باب في حُسن الخلق، رقم (٤١٦٧). من حديث عائشة رضي الله عنها. **صححه الألباني، وذكره في السلسلة الصحيحة، (ج٢، ص٤٢١)**.

٤ أنظر لتفصيل اكثر كتاب: **دستور الأخلاق في القرآن الكريم**، لـــ محمد دراز. تحقيق: د. عبد الصبور شاهين. مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية. ص٢١ .حيث وضح بشيء من التفصيل الجيد هذه القاعدة وبينها من خلال فصل كامل.

وهذا الأساس يرتبط بعمود البناء الفِكْري "العلم" ارتباطا وثيقاً، فالأخلاق والقيم تقوم على العلم بها وفهم معانيها، وإدراك كيفية تطبيقها والقيام بها. فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**"[١]، والإحصاء المقصود هنا يشمل الفهم والتطبيق[٢]، وأسماء الله تعالى شاملة الصفات الكاملة التي تحمل معاني الأخلاق وجميع جوانبها.

وتجدر الإشارة إلى أن الأساس العلمي والقيمي يرتبطان معاً ليشكلا الجانب الإنساني بكل خصائصه في البناء الفِكْري، فهما يُظهران الوجه المشرق للبناء الفِكْري، ويتوجهان ليكونا أساسين لكل الأديان والثقافات دون محاباة أو استثناء. "**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل وصائم النهار**"[٣]. لأن الأخلاق الحسنة يعود نفعها على الجميع، بينما العبادة المخصوصة كالصلاة والصيام يعود نفعها على صاحبها فقط.

فبهما يتوجه الخطاب للإنسانية جمعاء، فيدخل فيهما الجميع دون استثناء فلا عنصرية ولا تمييز، فقد ورد في الحديث "**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**"[٤]. وهي دعوة عامة تشمل كل جار حتى لو كان غير مسلم، وقد ثبت ان النبي عليه الصلاة والسلام كان يعتني بجاره اليهودي.

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط، رقم (٢٥٤٤). وكتاب الدعوات، باب إن لله مائة اسم غير واحد، رقم (٥٩٥٨). وكتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، رقم (٦٨٦٧). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من..، رقم (٤٨٤١ و٤٨٤٢). من حديث ابي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فإذا قال الرزاق وثق بالرزق..". أنظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١١، ص٢٢٥).

٣ سبق تخريجه.

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم (٥٥٨٣). **ومسلم**، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم (٤٧٦٣). من حديث ابن عمر رضي الله عنه. **متفق عليه**.

الأساس الرابع: ضوابط أمان البناء الفِكْري: "العدل، والشورى، والمحاسبة"

يقوم البناء الفِكْري على أساس "العدل" الذي أمر به الله تعالى منذ بدء الخليقة، ليكون العدل أمرا إلهياً لا يمكن للكون المادي والمعنوي أن يستمرا ويقوما بتوازن دونه، قال الله تعالى: { **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**}[١]. فالعدل الإلهي هو الميزان الثابت الذي يعود إليه الإنسان لينصفه بعيداً عن القوانين الوضعية والدعوات العدلية البشرية قال الله تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**}[٢]. فهنا يتبين أن العدل أمر إلهي وأساس الاستقرار والديمومة والازدهار قال الله تعالى: {... **وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** }[٣]، فالعدل يحافظ على البناء الفِكْري من أي اعوجاج وانحراف، وهو قوامه الذي لا يتزحزح.

ويُعد العدل قيمة للبناء الفِكْري وأساسا له في جميع مراحله، وهو ما يفتح المسارات أمامه لمزيد من التفكر والتميز بها. "جاء بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع"[٤].

وهذا الأساس يرتبط بالأساس الروحي للبناء الفِكْري، فالعدل لأي قوم لا يبنى دون الإيمان والتوحيد الخالص لله تعالى، فهو الأمر باتباع ميزان العدل، قال ابن القيم مبيناً سبب مجيء الشريعة: "...ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها، وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة"[٥].

---

١ آية ٢٥ من سورة الحديد.
٢ آية ٩٠ من سورة النحل.
٣ آية ١٥ من سورة الشورى.
٤ قطب، **في ظلال القرآن**، (ج٤، ص٢١٩٠).
٥ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**. تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة، (ص ٥).

فميزان البناء الفِكْري العدل يتجسد في التطبيقات العملية لأفكارنا، وطرحها بين الناس. {.. وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[١]. ولا يجوز الظلم بأي حالٍ حتى بسوء الظن بالآخرين[٢]. قال الله تعالى: {.. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[٣].

فإذا أقيم البناء الفِكْري على العدل نضج وازدهر بكل جوانبه، لذا كان لمن يتصف بالعدل منزلة ومكانة يوم القيامة، قال النبي صلى الله عليهم وسلم: " **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وذكر منهم: الإمام العادل..**"[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**" [٥].

وتُعد **الشورى** ميزان البناء الفِكْري اللازم لضبطه، فيخرج البناء من العمل الفردي الخاص للعمل الجماعي العام فيظهر من خلالها عمق البناء الفِكْري في تحقيق أهدافه على المستويات الثلاثة، فيرتقي من الفرد للجماعة ومن ثم يشمل الإنسانية بأكملها. وهذا ما نبه عليه الشارع الكريم في محكم التنزيل: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}[٦]. وأهمية قيامه على العمل الجماعي وليس الفردي فقط، وتحمل الدولة المسؤولية في العناية به، وتوفير الأسس والمقومات الصالحة له، ليبني الحضارة الخيرة، ويزهو بالمجتمع ليكون في مقدمة الحضارات. فالأفراد شركاء في البناء الفِكْري، وشركاء في نشر الفِكْر، وهي كما قيل: "الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا"[٧].

---

١ جزء من الآية ٥٨ من سورة النساء.

٢ والظلم محرم في كل حال فلا يحل لأحد أن يظلم أحدا ولو كان كافرا، أنظر: ابن تيمية، **الفتاوى**، (ج١٩/ ص٤٤).

٣ آية ٨ من سورة المائدة.

٤ **البخاري**، الصحيح، كِتَاب الْأَذَانِ، أَبْوَابُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ، بَاب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، رقم (٦٢٣). وكتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (١٣٣٩). وكتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، رقم (٦٠٢٥). وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش، رقم (٦٣٣٦). **ومسلم**، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٧١٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٥ سبق تخريجه.

٦ آية ١٤٣ من سورة البقرة.

٧ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، تحقيق: علي محمد البجأوي، بيروت، دار المعرفة، ودار الجيل، ١٩٨٧م، (ج٤/ ص١١٦٨).

فالشورى ضابط يحفظ توازن البناء الفِكْري من الخلل، ولقد وُجه تفكير المفكر المؤمن باتجاه الجماعة لا الفرد فقط، فأخرجه من إطار الأنانية وحب الذات، للنظر في حال الأمة ومستقبلها. لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على هذه الصفة بأحاديثه لتشكل منهجاً تفكيرياً جماعياً، "**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[١].

فهذا الأساس يُشكل مقياساً للحكم على صحة مسار البناء الفِكْري وخطواته، ولتقييم نتائجه ومدى قربها أو بعدها عن الصواب. وغالب الدراسات التي اعتنت بالشورى وبيانها وتقويمها وتوضيح كيفية تطبيقها، كانت دراسات سياسية شرعية، استندت إلى وجوب الشورى لوجوب الحفاظ على الدولة ومصالحها، فكانت الشورى هي الأداة الأكثر فاعلية لذلك. {وشأورهم في الأمر}، والتطبيق الفعلي للشورى جاء من خلال السنة النبوية، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فيما يتعلق بأمور الدولة في كل مجالاتها، **قال أبو هريرة:** "**ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله عليه الصلاة والسلام**"[٢].

كما أن الشورى قوام البناء الفِكْري، لأنها لا تصدر إلا من أصحاب العلم والمعرفة في التخصص والمجال المطلوب، فقد كان الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم[٣].

والشورى تمنع الانحراف في البناء الفِكْري، فهي عامل استقرار يمنع من الغلو واتباع الهوى. والمخالف للجماعة يدخل في نهي النبي عليه الصلاة والسلام: "**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً..**"[٤].

والبناء الفِكْري أمرٌ واجبٌ وإلزاميٌ على المجتمع والأفراد، وليس نافلة أو أمراً تحسينياً. لذا جاءت المحاسبة عليه كأساس يضمن الخير فيه، ويحميه من الانحراف والضلال، لذا وعد

---

١ سبق تخريجه.

٢ **عبد الرزاق**، المصنف، كتاب المغازي، غزوة الحديبية، رقم (٩٤٨٣).

٣ قال البخاري: وكَانَتْ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..، أنظر: **الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} ..، ذكر العبارة في ترجمته للباب.

٤ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم (٣٤٤٢ و٣٤٤٣). من حديث أبي هرية رضي الله عنه. **صحيح**.

الله تعالى أن يحاسب الإنسان عن كل ما يقوم به. **{فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى}**[1].

والمسؤولية هي مدار المحاسبة الذي لا بد منه، وركنه القويم الذي يُبنى عليه، وبانعدامه يبطل أساس المحاسبة. والذي يؤدي للحساب عن كل ما يصدر من قول أو عمل. قال الله تعالى: {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوفَى}[2]. فالحساب مرتبط بالإيمان، لأن الله تعالى هو من يُحاسب الفرد والجماعة في الدارين، وهو الذي وعدهم بالجزاء.

واعتنى الحديث النبوي في بيان ضرورة التدرج والتأني في البناء الفِكْري وغيره، بما يتناسب وأحوال الأفراد والمجتمع، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل..**"[3].

ومن خلال أساس المحاسبة الذي يُعد الضابط العام والأوسع للبناء الفِكْري، ينبثق مجموعة من الضوابط الإلزامية التي تنبثق عن البناء الفِكْري ولا تنفك عنه، وهي:

- **مبدأ النقد الذاتي:** فالمحاسبة ترسخ مبدأ النقد الذاتي بعيداً عن الهروب والتبرير، وهذا يُعد نظاماً داخلياً يضمن أمان البناء الفِكْري الفردي والجماعي، ويحيمه من التراجع والسقوط، قال الله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، إن ربي غفور رحيم}[4]. فهذا الضابط يفتح المجال أمام المفِكْر ليوجه تفكيره نحو النقد البناء، وعدم اللجوء للتبرير والتسويغ الزائف للقضايا.

---

١ آ آية ١٩٥ من سورة آل عمران.

٢ الآيات من ٣٨-٤١ من سورة النجم.

٣ عن يُوسُفُ بْنُ مَاهَكٍ قَالَ إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ، قَالَتْ وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ، قَالَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ. قَالَتْ: لِمَ قَالَ لَعَلِّي أُوَلِّفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ { بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ } وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ قَالَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ. البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب تاليف القرآن، رقم (٤٩٩٣).

٤ آية ٥٣ من سورة يوسف.

- إن البناء الفِكْري يجب أن يكون يسيراً[1] على الطبيعة الإنسانية بعامة، خاضعا للممكن عند الإنسان، وميسراً في واقع الحياة المحسوسة، أي يمكن ممارسته بسهولة ويُسر. فمن ضوابط البناء الفِكْري أن يُناسب نتاجه العصر الذي أنتج فيه، ويراعي أفهام أفراده، لذا يُعد عرض الفِكْر على الواقع ضابطاً مُلزما للمفكر، **وفي بيان ذلك أذكر قول الشاطبي رحمه الله: وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في حال مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري عي وفق المصلحة الشرعية والعقلية**[2]. فمخاطبة الناس أفراداً وجماعات تكون وفق أفهامهم وفكرهم، فقد ورد في الأثر عن علي رضي الله عنه: "**حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذّب الله ورسوله**"[3].

- **الإحسان والإتقان:** فالمسؤولية من أهم عوامل نجاح البناء الفِكْري وتنميته، وهذا يتطلب من القائمين عليه إتقان عملهم وعدم التقصير فيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه**"[4]. وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: "**إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحْسِن**"[5]. ووسع الحديث النبوي مسمى الإتقان ليربطه بالأساس الإيماني ويصبح "إحساناً" في كل شيء، فالله تعالى مطلع على أفكارنا وأعمالنا، وهو يدرك ما في أنفسنا، لذا علينا أن نعبد الله في كل حين كأننا نراه، فنُحسن النية ونتقن أعمالنا ليرضى عنا. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسانَ على كلِّ شَيءٍ، فإذا قتَلْتُمْ فَأحْسِنُوا القِتْلَة، وَإذَا ذبَحْتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبيحَتَهُ**"[6]. فإن من يدير مجالات الفِكْر المتنوعة إذا أتقن عمله وأجاد ما يقوم به، ازدهر المجمتع وارتفع مستواه.

---

١ قولي إن البناء الفِكْري يجب أن يكون يسيراً... إلخ. يُقصد به عدم إخضاع الفِكْر لأهواء العقل، وإنما يعني التناغم والانسجام الذي خلقه الله ما بين قدرات وملكات الإنسان وبين دينه الذي ارتضاه لنا.

٢ **الموافقات**، ص١٩١.

٣ البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم وكراهية أن لا يفهموا، رقم (١٢٧).

٤ رواه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الأوسط والبيهقي.

٥ أخرجه البيهقي في الشُعَب.

٦ سبق تخريجه.

والمسؤولية تستلزم ابتداءً العلمُ والاطلاع على الأمر الذي يريد أن يقوم به، فالجاهل لا يتحمل مسؤولية، وكذلك من فقد عقله. وهي أمر ملازم للفرد والجماعة متى علم بالشيء. قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "**من سن سنة حسنة ..**"[١] ، وقال عليه الصلاة والسلام: "... **وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**"[٢].

والمسؤلية تكون أمام الله تعالى، وتكون أمام المجتمع، قال الله تعالى: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[٣]، وورد في الحديث أن " **الرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ اللَّتَبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أو بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أو شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ..**"[٤].

---

١ سبق تخريجه.
٢ جزء من حديث سبق تخريجه.
٣ آية ١٠٥ من سورة التوبة.
٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدي له، رقم (٦٤٩٢). **والمسلم**، الصحيح، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، رقم (٣٤٢٠). من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه. **متفق عليه**.

الأساس الخامس: "التنمية والديمومة محرك البناء الفِكْري".

بلور البناءُ الفِكْريُّ في الحديث النبوي النسيجَ المعرفي للأمة الإسلامية، فاستفاد من ماضيها ليرسم حاضرها، ويحدد ملامح مستقبلها، فيكون البناء عنصر استقرار الحضارة وازدهارها. وهذا يستلزم منه أن يبقى متجدداً ومستمراً، لذا جاء الأساس الأخير للبناء الفِكْري وهو: التنمية والديمومة، ليكون له محركاً مرناً نحو الأمام، فيقوم على الثبات والتطور، دون جمود أو انحراف.

فالبناء الفِكْري يرتبط بأمرين، الأول: التزامه بمصدرٍ إلهي ثابتٍ، وغاياتٍ وأسسٍ لا تتبدل ولا تتغير وإن تغيرت العصور. والثاني: التزامه بمجالاتٍ واهدافٍ ووسائل مرنة، قابلة للتطور والتغير المتناسب مع العصر والواقع، مع عدم مخالفته لجوهر البناء وحقيقته، فيحمل البناء الفِكْري صفتي الثبات والتجدد معاً.

والحديث النبوي يبين أهمية ديمومة العمل ليحافظ من خلاله على البناء الفِكْري، ويحقق الغايات المناطة به. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "... **كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً**"[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا**"[٢].

والبناء الفِكْري قائم على أساسي المعرفة والقيم وهذا يمنحه طابع الاستمرارية، لأن المعرفة متراكمة لا يمكن إغفال ما وصل إليه غيرنا من قبل، وستمتد إلى الأجيال اللاحقة، لذا جاءت مجالات البناء الفِكْري غير محصورة بزمان أو مكان، بل كانت تتضمن الماضي والحاضر والمستقبل، وجاء الأمر الإلهي بالاستزادة من طلب العلم **{وقل رب زدني علما}**[٣].

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الصوم، باب هل يخص شيئا من الايام، رقم (١٨٦٠). وكتاب الرقاق، باب القصد والمدأومة على العمل، رقم (٦٠١٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل، رقم (١٣١٠). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، رقم (١٨٤٣). وكتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم (٥٤٣٩). **ومسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل، رقم (١٣٠٨). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

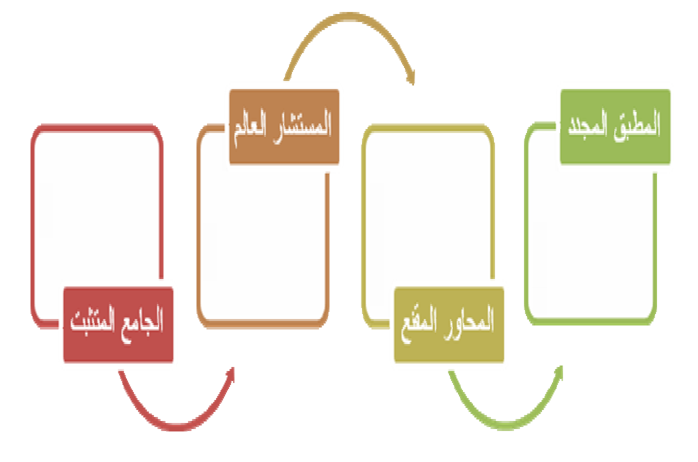
٣ آية ١١٤ من سورة طه.

المبحث الثاني: أساليب البناء الفِكْري وأدواته في الحديث النبوي.

المطلب الأول: أساليب البناء الفِكْري في الحديث النبوي

إعتنى الحديث النبوي بتوضيح أساليب بناء الفِكْر وتطويره، ويمكن إجمال الأساليب التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الأنموذج التوضيحي المجاور، حيث تقسم إلى:





أ. أسلوب الجامع المتثبت.

ب. أسلوب المستشار العالم.

ت. أسلوب المحاور المقنع.

ث. أسلوب المطبق المجدد.

ويمكن توضيحها من خلال الآتي:

الأسلوب الأول: الجامع المتثبت:

اتبع النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب التجميعي ابتداء لبناء الفِكْر، لأن البناء الفِكْري يحتاج إلى معطيات أولية كمقدمات ليقوم بعدها بالعملية الفِكْرية، وهذه المعطيات تشتمل على المعرفة السابقة والمتوفرة للفرد والجماعة. لذا حدد المنهج النبوي مصدر البناء الفِكْري بالوحي الإلهي، ومن ثم فتح المجالات أمامه لاستقاء المعلومات والقضايا اللازمة وتجميعها.

والأسلوب التجميعي في الحديث النبوي له خطوات ثلاث: البحث والاستقراء، والتثبت من المعلومات، وسؤال أهل العلم والتخصص.

الخطوة الأولى: البحث والاستقراء:

فالبحث عملية تستلزم الرجوع للمعلومة من مصادرها ومظانها المتاحة، وهذا الاستقراء يكون عن طريق حاستي السمع والبصر، فالمعرفة تُنقل إما مسموعة أو منظورة، فالقراءة هي المحور الأساسي الذي يدور عليه تناقل العلوم منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى وقتنا الحاضر، فالعلوم والمعرفة تُنقل مكتوبة ومخطوطة في السطور في الغالب، لذا انطلق الإسلام بقول الله

تعالى: **{اقرأ باسم ربك الذي خلق}**[١]، وكان الحث الدؤوب على تعلم القراءة، فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد أن حثه النبي عليه الصلاة والسلام على تعلم اللغات الاخرى، فتعلم لغة اليهود وغيرهم: "...**وكنت اقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب**"[٢]. كما وورد "**أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ، أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ : إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلَاةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَمَنْعٍ، وَهَاتِ، وَعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ**"[٣]. فالصحابة رضوان الله عليهم جعلوا من الكتابة وسيلة لتناقل المعلومات وجمعها.

كما أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يسهل الطريق أمام أصحابه للبحث عن المعلومات وتقصيها من خلال تناقل الأحاديث والاخبار سماعاً للأجيال اللاحقة بقوله: "**تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ**"[٤].

والبحث والاستقراء للموضوع والمعلومات وما يحيط بها يجعل الصورة مكتملة أمام المفكر، فيكون الحكم المستند عليها تاماً خاليا من القصور. لذا كان النبي عليه الصلاة يوجه أصحابه رضوان الله عليهم من خلال طرح الأسئلة ليستثير عقولهم نحو البحث والتفتيش فعَنْ ابْنِ عُمَر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ**"[٥]. فالصحابة رضوان الله عليهم استقرأوا وفتشوا في أسماء كل الأشجار التي يعرفونها في البادية رغبة في الوصول إلى الحل الصحيح.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه تجده يجمع الأعمال الفضلى والمقبولة عند الله تعالى، فقال: "**سَأَلْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :"الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ: الْجِهَادُ فِي**

---

١ آية ١ من سورة العلق.

٢ سبق تخريجه.

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، رقم (٦٠١٩).

٤ أبو داود، السنن، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم (٣١٧٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. **صححه الألباني**، السلسلة الصحيحة، (ج٤، ص٣٨٩).

٥ سبق تخريجه.

سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي"[١]. وختم ابن مسعود حديثه بقوله: ولو استزدته لزادني، أي ان النبي عليه الصلاة والسلام كان يُلبي رغبة البحث عند أصحابه وتلاميذه، ويُراعي الفروق بينهم في ذلك. ولا يوقف باب البحث والتفتيش عندهم، تأكيداً على قول الله تعالى: {وقل رب زدني علما}[٢].

ولفائدة الجمع والبحث كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يفوتون فرص طلب العلم وجمعه، لذا كانوا يتناوبون على حضور مجالس العلم، حتى لايفوتهم العلم والخير بسبب انشغالهم وأعمالهم، وحتى يبلغوا العلم والمعرفة. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "**كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ أَثَمَّ هُوَ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَا أَدْرِي ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ قَالَ لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ**"[٣]. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام حاثاً على تبليغ العلم للغائبين: "**لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**"[٤].

الخطوة الثانية: التثبت من المعلومات:

والتثبت خطوة في الأسلوب التجميعي واجبة على من يقوم بذلك، حتى يخرج من دائرة الظن والخطأ، فليس كل ما يتوفر من المعرفة والأخبار صحيحاً، لذا اعتنى الحديث النبوي في التثبت من الأخبار والاستناد في نقلها لما هو صحيح وثابت بقواعد التثبت الصحيحة. قال الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[٥]، وقال الله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (٤٩٨). و كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم (٢٥٨٧). وكتاب اللباس، باب إرداف المرأة خلف الرجل، رقم (٥٥٤٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى...، رقم (١٢٥). **متفق عليه**.

٢ آية ١١٤ من سورة طه.

٣ البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب التناوب بالعلم، رقم (٨٩).

٤ سبق تخريجه.

٥ أية ٦ من سورة الحجرات.

كُلُّ أولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[١]. وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**"[٢]. وصح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: "**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**"[٣].

فالتثبت والتحري هنا يعني تنقية المعلومات التي تم جمعها، ليخرج من دائرة الخرافات والأوهام والظنون والمعرفة التي لا فائدة منها، وهذا ما نبه إليه النبي عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحاديث ونهى عن تعلمها. كما بين أنه يمكن الرجوع للمصدر الأساسي للتأكد من المعلومات التي جمعها وعرفها، فقد **ورد عن ضمام بن ثعلبة أنه جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال له:"إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك، فقال عليه الصلاة والسلام: "سل عما بدا لك"، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آاللهُ أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال:" اللهم نعم"، قال: أنشدك بالله، آاللهُ أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال:" اللهم نعم"، قال: أنشدك بالله، آاللهُ أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال:" اللهم نعم"، قال: أنشدك بالله، آاللهُ أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهم نعم"، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر**"[٤].

الخطوة الثالثة: سؤال أهل العلم والتخصص:

سؤال أهل العلم والخبرة يُخرج الإنسان من الجهل للوصول إلى الحقيقة والصواب، قال الله تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[٥]. فالسؤال مفتاح العلم والمعرفة، وهو باب يفتح المجالات أمام الفِكْر، لذلك كان يجيب عليه الصلاة والسلام عن الأسئلة التي يطرحها الصحابة رضوان الله عليهم، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: هل نرى ربنا يوم القيامة. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: فهل تمارون في الشمس...**"[٦]. وفي حديث آخر سأل أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم عن

---

١ آية ٣٦ من سورة الإسراء.

٢ سبق تخريجه.

٣ **أبو داود**، السنن، كتاب الأدب، باب في قول الرجل زعموا، رقم (٤٣٢٣). من حديث أبي مسعود رضي الله عنه. **صححه الألباني**، السلسلة الصحيحة، (ج٢، ص ٥٢٢).

٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، رقم (٦٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع...، رقم (١٦). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٥ آية ٧ من سورة الأنبياء.

٦ **البخاري**، الصحيح، كتاب الأذان، أبواب صفة الصلاة، باب فضل السجود، رقم (٧٦٧). وكتاب التوحيد، باب قل أي شيء أكبر من الشهادة، رقم (٦٩٠٩، و٦٩١٠). وكتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم

الشفاعة، فقال عليه الصلاة والسلام: " **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أولُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ** .. "[١]. وورد عن حذيفة رضي الله عنه: "**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي...**"[٢].

كما وجه الشارع الكريم المسلمين لطرح الأسئلة على أهل العلم الثقات، وترك سؤال الجاهل، حتى لا تقع الفوضى ويعم الجهل بين الناس، وسؤال الجاهل يؤدي للسوء والفساد دون ريب، لذا على المجمتع الإسلامي العناية بإيجاد العلماء والمتخصصين، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[٣].

كما أن النبي عليه الصلاة والسلام وضح أن كثرة بعض الأسئلة التي لا جدوى منها ولا فائدة، تدخل في الأمور المكروهة، فقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم قال: "... **وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**"[٤].

الأسلوب الثاني: المستشار العالم.

بين النبي عليه الصلاة والسلام أن من أساليب البناء الفِكْري عدم التفرد، بل يجب اتباع أسلوب الاستشارة والشورى، وهذا ما بينه الله تعالى في مُحكم تنزيله: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا..}[٥]. فالاستشارة تقدم أحيانا على التفكر الفردي.

وهذا الأسلوب يقوم على مجموعة من الأركان ليكتمل ويكون صحيحاً، وهذه الأركان نوضحها بما يلي هي:

الركن الأول: توافر المقومات العلمية والشخصية في المستشارين، وهذه الصفات تتعلق بـــ:

(٦١١٦). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرية، رقم (٢٧٢ و٥٢٧٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٨). وكتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١١٣). **صحيح**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٦٠). وكتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم (٦٥٨٤). **ومسلم** ، كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم (٣٤٤٠ و٣٤٤١). **متفق عليه**.

٣ آية ٤٣ من سورة النحل.

٤ سبق تخريجه.

٥ آية ٤٦ من سورة سبأ.

أ. العدالة من حيث التقوى والأمانة التي تستلزم من صاحبها إبداء الرأي الصواب، والنصح السديد بنزاهة وموضوعية.

ب. العلم والتخصص ليكون أهلاً للتفكر في مجاله، وصاحب خبرة فيه، ومطلع على مناهجه ومعارفه.

أنظر استشارة النبي عليه الصلاة والسلام بعد انتهاء غزوة بدر في موضوع أسرى بدر، **قال ابن عباس: "...فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.."**[١]. فالرسول عليه الصلاة والسلام استشار هذين الصحابيين لاتصافهما بالعدالة ولكونهما من قريش فهما أكثر علما وتخصصا بشؤون قريش وأحوالهم، والله أعلم.

وورد أيضا أن النبي عليه الصلاة والسلام "**...دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ...**"[٢]. فعليٌّ بن أبي طالِب من أهل النبي عليه الصلاة والسلام، وأسامة بن زيد مولاه، وابن أسامة بن زيد حِبّ رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهوقريب منه ومن أهل بيته لأنه تربى بينهم وتحت رعاية النبي عليه الصلاة والسلام، لذا اختارهما دون غيرهما لعدالتهما ولأن الموضوع يتعلق بأهل بيته وأسرته.

---

١ **مسلم**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم (١٧٦٣). **صحيح**.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم (٢٤٨٠). وكتاب المغازي، باب حديث الإفك، رقم (٣٨٥١). **ومسلم**، الصحيح، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم (٤٩٧٩). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ**"[1].

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب القدر، باب المعصوم من عصم الله، رقم (٦١٤٩). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. **صحيح**.

الركن الثاني: الأخذ بالمشورة وعدم ترك النصيحة:

بين النبي عليه الصلاة والسلام من خلال أعماله وتطبيقه للمشورة أنه يجب الأخذ بها، حتى لو كانت مخالفة للرأي الشخصي أو الفِكْر الذاتي للفرد. لذا استشار النبي عليه الصلاة أصحابه للتثبت من قول ذي اليدين، فلما اقروا واجتمعوا على ما قال، صلى ركعتين وسجد سجود السهو..[١].

وكذلك عمل بمشورة علي بن ابي طالب في حادثة الإفك، وسارع في دعوة بريرة وسؤالها: "**يا بريرةُ، هل رأيتِ فيها شيئًا يَرِيبُك**"[٢].

وبين الشارع الكريم أن ترك الاخذ بالمشورة يؤدي إلى أضرار جماعية، وهلاك يعم المجتمعات عامة، لذا ندد بفعل قوم شعيب عندما جانبوا الصواب وأصموا الآذان عن نصح نبيهم لهم، فوقع لهم العذاب. قال الله تعالى: {فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فكيف آسى على قوم كافرين}[٣].

الركن الثالث: أن تعم المشورة كل الفئات:

تعم المشورة والنصيحة جميع الفئات الفردية والجماعية دون استثناء، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**"[٤]. وقال النووي معلقا على الحديث: "هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام"[٥]. ليظهر لنا أهمية النصيحة والشورى في بناء الفِكْر والحضارة الإسلامية. وروي عن

---

١ أنظر حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشِيِّ، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: سَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّه غَضْبَانُ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَتِ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ، فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالُوا: نَعَمْ. فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ..."،أخرجه **البخاري**، الصحيح، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره..، رقم (٤٦٢). وكتاب الجمعة، أبواب العمل في الصلاة، باب من لم يتشهد في سجدتي السهو، رقم (١١٥٨). وكتاب الأدب، باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم، رقم (٥٦١٨).

٢ سبق تخريجه.

٣ آية ٩٣ من سورة الاعراف.

٤ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم ٨٥. من حديث تميم الداري رضي الله عنه. **صحيح**.

٥ شرح النووي على صحيح مسلم، ج٢، ص٣٧.

جرير بن عبد الله أنه قال: "**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**"[١].

الأسلوب الثالث: المحاور المقنع.

اعتنى المنهج النبوي بجانب الحوار القائم على التحليل والمناقشة والإقناع، إذعانا لأمر الله تعالى لبناء الفِكْر واستمرار الدعوة بأسلوب شرعي قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[٢]. وهذا الأسلوب يتطلب الإقناع بالأدلة والبراهين، وإرضاء النفس بالصواب.

فالنبي عليه الصلاة والسلام استعمل الأسلوب الحواري القائم على الفهم السليم، والإقناع العقلي المنطقي، بعيداً عن التكلف والمبالغات أو الجدل العقيم، فتراه يصحح مسار فكر الرجل الذي جاءه شاكاً بابنه الذي ولد له، لأنه أسود اللون. فبين له النبي عليه الصلاة والسلام الصّواب من خلال التحليل العلمي للموضوع، وقياسه على ما يُدركه هذا الرجل من بيئته. **فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه: بينما نحن عند رسول الله عليه الصلاة والسلام قام رجل فقال: يا رسول الله إني ولد لي غلام اسود، فقال رسول الله ..**"[٣].

والإقناع يأتي من خلال توجيه يتعلق بالمصلحة الخاصة للفرد أو الجماعة والموازنة بينهما، كما أنه يجب أن يكون مقنِعا للعقل السليم، مراعيا الفروق بين الأفراد، فقد **روي أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فِي أَضْحَى أو فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ.**" فالنبي عليه الصلاة والسلام خاطب هنا مجموعة من النساء وحاورهن، فأمرهن بالتصدق، معللا ذلك بأنهن أكثر أهل النار. ووضح لهن الأسباب المؤدية إلى الناروهي كثرة اللعن وتكفير العشير. وعالج لهن المشكلة حتى لا تبقى الفِكْرة سلبية لديهنّ من خلال تحديد سبب المشكلة، ليقمن بالابتعاد قدر الإمكان عنها والتقليل منها من خلال تهذيب اللسان والنفس، ومن ثم القيام بنوافل كالتصدق.

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، رقم ٥٦ و٥٧. وكتاب مواقيت الصلاة، باب البيعة على إقام الصلاة، رقم ٤٩٥. وكتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة فإن..، رقم ١٣١٨. كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، رقم (٢٠٢٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٨٦ –٨٨). **متفق عليه.**

٢ آية ١٢٥ من سورة النحل.

٣ سبق تخريجه.

ثم يتابع النبي عليه الصلاة والسلام حوارهنّ بقوله: "**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِك مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِك مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**"[١]. فتراه يُبين لهن صفاتهن من خلال المدح والثناء وعدم التقليل من شأنهنّ، فبين لهن أنهن يتصفن بقلة العقل والدين ومع ذلك يستطعن إذهاب عقل الرجل الحازم. ويُجيب عن تساؤلهن واستفهامهن عن سبب اتصافهن بذلك، من خلال تذكيرهن بما ورد في القرآن الكريم، فشهادة المرأة تساوي نصف شهادة الرجل، فهذا المقصود من قلة العقل، وتوقفها عن الصلاة والصوم بسبب الحيض هو المقصود من قلة الدين.

كما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن التسمية باسم "برة" ووضح العلة في ذلك بقوله: "**لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ..**"[٢].

ومن مقتضيات هذا الأسلوب توضيح الفِكْرة وربطها بما هو قريب من أذهان المتلقين كما توضح من الأمثلة السابقة. كما أن الإقناع وتثبيت الأفكار يحتاج من خلال العاطفة التي تغذي الأفكار وتقويها، وتدعم التغيير الفِكْري ليكون متكاملا أقرب للصواب، لذا ربط النبي عليه الصلاة والسلام بين العاطفة والعقل في حواره مع الشاب الذي جاء يطلب الزنا، حتى يتمكن من تغيير فكره ومن ثم تصويب سلوكه[٣].

وهذا الأسلوب يجب أن يكون له هدف واضح يحققه بعيداً عن التعصب والهوى. وألا يتصف بالمبالغة وعدم الفائدة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الحيض، باب ترك الحائض تصوم، رقم (٢٩٦). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. **صحيح**.

٢ **مسلم**، الصحيح، كتاب الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب، وجويرة ونحوهما. رقم (٢١٤٢). **صحيح**.

٣ فقد ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: **إن فتىً شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم.. فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه.. وقالوا مه مه! فقال: إدنُه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس. قال أتحبُّه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال أتحبُّه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال أتحبُّه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال أتحبُّه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم! اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.** تخريج صححه الألباني.. .

الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، وَشِرَارُكُمُ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ"[١]. فهذا الصنف منهم لا يمكن أن يكون محاوراً مقنعا بانياً للفكر، أو مغيرا للأفكار.

المطلب الرابع: القدوة المجدد

من أساليب النبي عليه الصلاة والسلام التي اتبعها في البناء الفِكْري التجديد المستمر والتطبيق الفعال للأمور، فلم يكن الفِكْر نظرياً مجرداً، بل جعل منه محركاً فعالاً يستطيع المسلم تطبيقه. ولم يجمده بقوالب، بل جعله مرناً قابلاً للتطور والتجديد.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث: "**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأمة عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**"[٢]. وهذا التجديد للدين يكون من خلال إيجاد الأفكار وتنميتها في ضوء ضوابط الشارع ومقاصده، وهو يتعلق بالأفراد والجماعة المسلمة.

ولهذا بين الرسول عليه الصلاة والسلام أجر من يجدد في الدين ويأتي بأفكار عملية يسنها بين الناس، لتكون ذات قيمة وخير للمسلمين بأن أجره يُضاعف ويستمر إلى يوم القيامة، ما دام الناس يعملون بها بقوله "[٣].

والتجديد قد يكون بتغيير المفاهيم بما يتناسب وجوهر الإسلام، فقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام سؤاله لأصحابه رضي الله عنهم: "**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي؟** " **قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْتَصُّ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**"[٤]. فالنبي عليه الصلاة والسلام يوضح لأصحابه أن المفلس في الإسلام ليس من لا يملك المال، بل هو من لا يستطيع الحفاظ على حسناته ومنزلته في الجنة، ويضيعها بأعماله القبيحة والسيئة، وفي هذا تجديد لمفهوم الإفلاس.

---

١ **الترمذي**،السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم ٢٩١٨. **وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**

٢ **أبو داود**، السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم (٣٧٤٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صححه الألباني**، السلسلة الصحيحة، (ج٢، ص١٨٤).

٣ "مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِ مَن اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوزَارِ مَن اتَّبَعَهُ، غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْئًا" سبق تخريجه.

٤ سبق تخريجه.

والتجديد لا يعني الإنشاء، بل قد يكون إحياء أمر اندثر، أو تطبيق فعل لم يطبق في المجمتع من قبل هو أيضاً تجديد وإبداع، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يجددون ويبدعون في أفكارهم، فترى سلمان الفارسي رصي الله عنه يُشير ببناء الخندق، وهذا أمر لم تعهده العرب من قبل، فهو تجديد وإبداع فكري وإن كان معمولا به في دول أخرى.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام نموذجا حيا للفكر من خلال أفعاله وسلوكه، فقد كان خير قدوة للمسلمين، { قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا}[١]. وفي ملاءمة أفعاله وسلوكه مع أقواله والأفكار التي يتبناها، ملتزما بدعوة الله تعالى ومنهجه الذي بينه في آيات القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }[٢].

وقـــد وجه النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى إيجاد نماذج صالحة يُقتدى بها في الفِكْر والعمل الفعلي، فقال لهم: "**أوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمور فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"[٣].

وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام تطبيق الفرائض أمام المسلمين، من صلاة وحج، ليتعلموها منه مباشرة، وينقلوها لمن بعدهم عملياً. قال الرسول علي الصلاة والسلام: "**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أو لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**"[٤]. كما أنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام علنية حل المشكلات وتصويب التصرفات وتصحيح السلوكات، ليكون بذلك معلما يُقتدى به.

يجب الموافقة بين الفِكْر والقول والعمل، مثال ذلك منهج النبي عليه الصلاة والسلام في الجهاد، فقد كان يصوب أفكار أصحابه حول مفهوم الجهاد وغايته، والأجر على الشهادة. **فقد ورد في الحديث النبوي "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ،**

---

١ آية ٢١ من سورة الأحزاب.
٢ الآيتين ٢ و٣ من سورة الصف.
٣ **الترمذي**، السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في الإخذ بالسنة واجتناب..، رقم (٢٦١٩). وابو داود، السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٣٩٩٣). وابن ماجه، السنن، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين..، رقم (٤٢). من حديث العرباض بن سارية. **قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**.
٤ **البخاري**، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة..، رقم (٥٩٨). وكتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٥٥٧٦). وكتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، رقم (٦٧٣٢). من حديث مالك بن حويرث رضي الله عنه. **صحيح**.

وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[١].

فهنا يغير النبي عليه الصلاة والسلام من أفكار الصحابة حول مفهوم الجهاد، ويرسخ فيه إخلاص النية لله تعالى ليكون جهادهم مقبولاً عند الله. وفي التطبيق العملي تجد الرسول عليه الصلاة والسلام خير قائد ومجاهد في الغزوات، فكان بذلك أسوة للمسلمين في إخلاص النية والإقدام والشجاعة.

وهذا المنهج القائم على التطبيق العملي والتجديد المستمر في البناء الفِكْري، لا يكون دون ضوابط الفهم العميق، وصلاح العمل ومشروعيته، لذا نهى النبي عليه الصلاة والسلام **المسلمين بأن يكونوا إمعة**[٢]. يقلدون الآخرين دون فهم ومراعاة للضوابط الشرعية. لأن هذا التقليد يعني ضعف الذات، وانحراف الفِكْر عن مساره الصحيح. وورد عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله:"**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأصحاب يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ، حَبَّةُ خَرْدَلٍ** "[٣]. فهنا يوضح النبي عليه الصلاة والسلام طرق محاربة وتغيير الأفكار والسلوكات المنحرفة، بدءاً بالتغيير المباشر والواضح بالقوة، ومن ثم التغيير من خلال النصح والإرشاد بالقول، ومن ثم التغيير الصامت بالقلب.

وهكذا تتضح أساليب النبي عليه الصلاة والسلام في البناء الفِكْري، وهي أساليب شاملة متكاملة.

---

١ سبق تخريجه.

٢ سبق تخريجه.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من..، رقم (٧٤). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. **صحيح**.

المطلب الثاني: أدوات البناء الفِكْري في الحديث النبوي.

بين المنهج النبوي أن الأدوات هي الوسيلة التي تُوصلنا إلى الغاية، وتعمل على تحقيق الأهداف. وقد قسم المنهج النبوي أدوات الفِكْر وبنائه إلى ثلاث أدوات هي:

أ. العقل ب. الحواس ت. أدوات مساعدة.

أولاً: العقل[١].

يُعد العقل أداة الفِكْر التي منحنا الشارع الكريم إياها، ووجهنا لتنميتها وتطويرها، من خلال التفكر السليم واتباع المنهج الصائب، والحفاظ عليها من كل ضرر وسوء، وعدم ركنها للأوهام والافتراضات، لنتمكن من أداء وظيفتنا على الأرض، خاصة أن العقل هو شرط التكليف، فلا يمكن السعي لتحقيق الغاية دون أن نمتلك العقل.

ويمكن استخدام العقل من خلال إعماله والسير به في المسالك الصحيحة، وجعله يؤدي الوظيفة الموكلة إليه من غير إفراط ولا تفريط، ووظيفة العقل كأداة للبناء الفِكْري تظهر في مجموعة العمليات التي يقوم بها وفق تسلسل ونظام، ووضحها الشارع الكريم من خلال الوحي الكريم بشقيه، ويمكن توضيحها من خلال الأنموذج الآتي[٢]، الذي يُظهر عناية الشارع الكريم بالعقل ووظائفه، فقد وردت مشتقات العقل في تسع وأربعين آية على صيغة أفعال، وهذا ينبه لتوجيه الشارع إلى وظائف العقل المتعددة التي تبدأ بالوظائف العامة، وتنتهي بالوظائف العقلية العليا. فقد ورد بمعنى القوة العاقلة، وهي تمثل القاعدة العامة التي ينطلق منها الإنسان نحو الوظائف الأخرى ويؤثر بها.

---

١ العقل: في اللغة: قال ابن فارس: "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس، يدل على حبسه في الشيء، أما ما يقارب الحبسة، ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل". أنظر: **معجم مقاييس اللغة**، مادة ع ق ل.

قال الجرجاني: إنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، فهو جوهر روحاني خلقه الله متعلقاً بالبدن. **التعريفات**، ص١٥١.

وقال المحاسبي: إنه غريزة جعلها الله في الممتحنين من عباده لا يوصف بجسم ولا لون، ولا يُعرف بانفعال. الحارث، **العقل وفهم القرآن**، ص٢٠٤.

والمعنى المُراد من العقل في هذه الدراسة هو: العمليات التي يقوم بها من: الإدراك والاستيعاب والحفظ والرشد والوعي والتذكر، وهو الذي يميز الإنسان عن الحيوان ليميز بين الخير والشر، ويستطيع تحمل المسئولية والتكليف، ويدرك الإنسان حقائق الأمور ويبحث عن أسبابها باستخدام الحواس المُعينة للعقل. العثمان، عبد الكريم، **الدراسات النفسية عند المسلمين**، مصر، مكتبة وهبة، ص ٥٤.

٢ أنظر: الصوفي، حمدان عبد الله، بحث "الوظائف العقلية المستفادة من آيات العقلان في القرآن الكريم". مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٩، العدد الأول، يناير، ٢٠١١م، ص ٦٠.



ومن خلال الأنموذج نرى ترتيب الوظائف تصاعديا بحسب درجة العمق والتعقيد، فالوظائف تبدأ انطلاقتها من **القوة العاقلة** كأساس لها، وممهد لوظيفة **الفهم** الذي يعني إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي تمهيد للوظيفة الثانية وهي **التمييز** أو المقارنة بين المواقف والأشياء بعد معرفة ما يختص بكل واحدة. وهذا يمهد لوظيفة **التدبر**: وهي النظر العقلي في عواقب الأمور ونهاياتها وما تؤول إليه من أحوال. وهذا يؤدي إلى الوظيفة التالية وهي **الاعتبار**: التي تعني تجاوز المواقف واخذ العبر والدروس المستفادة منها لينتقل للوظيفة التالية وهي: **الامتثال** أي التطبيق، التي تعني تطبيق الأمر على وجهه الصحيح، وتعديته إلى مواقف جديدة ومماثلة لها في حقيقتها. لينتقل للوظيفة التالية وهي: **التقويم**، التي تُمكن الإنسان من إصدار الحكم الصائب على المواقف والظواهر، وتصحيحها بناءً على معايير محددة، لتصل به إلى الوظيفة العُليا وهي: **الاستدلال**، التي من خلالها يُدرك الإنسان نهايات الأمور ودلالاتها ونتائجها وما تؤول إليه من أوضاع وأحوال[١]. وقد نبه المنهج النبوي لأهمية استعمال العقل وإعماله من خلال منح الأجر لمن يجتهد حتى لو اخطأ في تفكيره واجتهاده، فقد ورد أن رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**"[٢]. وبين المنهج النبوي أن الخير لا يكون إلا بالفهم والتفقه وهذا يحتاج إلى العقل الواعي المتدبر، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ..**"[٣]. وكان عليه الصلاة والسلام يشجع الصحابة على التفكر وإعمال عقولهم من خلال طرح الأسئلة عليهم، روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: "**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ، فَقَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً، مَثَلُهَا كَمَثَلِ المُسْلِمِ»،**

---

١ أنظر المصدر السابق، فقد حاول الباحث الوصول إلى التأصيل الإسلامي لوظائف العقل من خلال استقراء المصدر القرآني. أنظر: النتائج ص ٦٠ – ٦٢. ولزيادة الاطلاع أنصح بقراءة البحث.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (٧٣٢٥). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو اخطأ، رقم (١٧١٦). من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ سبق تخريجه.

فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ القَوْمِ، فَسَكَتُّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»"[١].

فهذا هو مجال أداة العقل في البناء الفكري التي يُعمل بها، ولا يمكن له تجاوزها ليكون مصدراً مستقلاً للتشريع أو المعرفة كما يدعي البعض، كما أن هذه الأداة لا يمكن لها العمل إلا من خلال وصول البيانات والمقدمات لها عن طريق الحواس، لذا كانت الحواس هي الأداة الثانية للبناء الفِكْري.

ثانياً: الحواس.

تُعد الحواس التي وهبها الله تعالى للإنسان المصدر الأول لتلقي المعرفة والعلوم، قال الله تعالى: { وَاللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٢]. ومن المعروف أن الله تعالى منح الإنسان العين لتكون أداة إبصارٍ ورؤية له، والأذن لتكون أداة سمع الكلام وتناقله[٣] وإدراك القضايا والمعطيات المحيطة وقد منّ الله تعالى على الإنسان بمنحه هاتين الحاستين واللتين تُعدان الأكثر استعمالاً وأهمية من باقي الحواس، قال الله تعالى: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُون}[٤]. وقال الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}[٥].

فالشارع الكريم من خلال مصدره الأساسي "الوحي الإلهي" دعا الإنسان لاستعمال حواسه من خلال إعماله لها بكل المجالات التي هيأها له، حتى يُقدم القضايا للعقل الذي يبدأ بالقيام بوظائفه للوصول إلى النتائج، دعا الإنسان لاستعمال تلك الحواس وعدم تعطيلها، سواء كان التعطيل حقيقياً بعدم المحافظة على أعضاء الجسد، أو التعطيل المعنوي لعمل الحواس، لذا نبه الشارع الكريم الأفراد على تجنب السوء من استعمال الحواس، فقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ:**

---

١ سبق تخريجه.
٢ آية ٧٨ من سورة النحل.
٣ الملكأوي، منهجية التكامل المعرفي، ص٢١٩.
٤ آية ٩ من سورة السجدة.
٥ آية ٧٨ من سورة المؤمنون.
وأنظر أيضا قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} آية ٢٦ من سورة الأحقاف. و قوله جل في عُلاه: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون} آية ٧٨ من سورة النحل.

النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ: الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أو يُكَذِّبُهُ"[١]. وحذر من أن لا يوظفوا الحواس بوظيفتها الحقيقة وهي إدراك الحق بعد سماعه ورؤيته، فيصبح الفرد وكأنه فاقد للحاسة نفسها وإن وجدت فعلاً فيه، قال الله تعالى: {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}[٢]. وقال عز وجل: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[٣]. قال الله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُوا}[٤]. وقال الله تعالى مقللاً من شأن هذا الصنف من الناس {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون}. فربط عدم التعقل والوصول لنتائج مغايرة للحقيقة بتعطيل استخدام الحواس وتوظيفها بالأسلوب المناسب.

وبين الشارع أن محيط الفرد هو ما تأخذ منه الحواس معطياتها ومعلوماتها، لذا حث الإنسان على تحري وتقديم ما هو صحيح من المعطيات والقضايا للحواس، لأنها عبارة عن أداة تنقل ما تشاهد وتسمع للعقل الذي يقوم بدوره بالتعقل والتفكر للوصول إلى النتائج المناسبة لما قُدم له من معطيات. لذا على الناس عامة والمفكر خاصة أن يتحرى الحق والصحيح فيما يأخذ من معلومات عن طريق حواسه، قال الله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ}[٥]. ولتأثير الحواس المباشر بما تستمده من معلومات على العقل والفِكْر نهى الشارع الكريم عن سماع ورؤية ما هو غير صحيح ولا يتصف بالصواب، قال الله تعالى: { ... أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}[٦].

ثالثاً: الأدوات المساعدة:

إن المتتبع لمصدر الوحي الإلهي منذ نزوله يمكنه أن يقف على مجموعة من الأدوات التي تساند الأدوات الرئيسة وترتبط بها، ويمكن بيان هذه الأدوات على النحو الآتي:

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب القدر، باب المعصوم من عَصَمَ الله، رقم (٦١٥٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا، رقم (٤٨٠٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه**.
"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ: النَّظَر ، وَزِنَا اللِّسَانِ: الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ: تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ: يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَو يُكَذِّبُهُ" متفق عليه

٢ آية ٢١ من سورة الأنفال.

٣ آية ٧ من سورة لقمان.

٤ آية ١٩٨ من سورة الأعراف.

٥ آية ٨٣ من سورة المائدة.

٦ آية ١٤٠ من سورة النساء.

أولاً: القراءة: بدأ المصدر الإلهي بالأداة الأولى التي تُسهل على المفكر المسلم الوصول للمعرفة، فقد بدأ الوحي بقول الله تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم}. وقد حث الشارع الكريم طول فترة نزول الوحي على استخدام القراءة كأداة للفكر والتعلم، والوصول إلى المعرفة.

وللقراءة صورتان: **الأولى** تقتضي قراءة السطور فالإنسان يحتاج إلى تعلم اللغات، فلا يمكن أن يقوم بالقراءة دون أن يتمكن من فهم وحل غامضها وتطبيقها. فاللغة أداة في التفكير وتحصيل العلم والمعرفة، تُمكن الإنسان من تناول جميع المفاهيم في تفكيره بطريقة سهلة، لذا اعتنى الشارع الكريم أن يكون مبدأ العلم تعلم اللغة المناسبة للتعبير عن الأشياء وإخراجها من حيز المجهول إلى المعلوم، بالكيفية التي يقتضيها الوقت، قال الله تعالى **{**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين...**}**[١]. فالله تعالى علم آدم أسماء الأشياء، وهذا يعني تعليمه اللغة المناسبة للتعبير عن تلك الأشياء، فلا يمكن أن يكون عبر عنها وشرحها إلا باستخدام اللغة والله أعلم. وكذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يملك لغة قوية ومُعبرة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**.."[٢]. وكان يأمر البعض من أصحابه بتعلم القراءة واتقان اللغات، **قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أتعلم له كتاب يهود قال إني والله ما آمن يهود على كتاب قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم**"[٣].

والقراءة الثانية: تكون من خلال قراءة المشهد التصويري ودراسته وتقليده، وهذه من صور القراءة التي يكثر التعامل بها ولها أثر واسع في اكتساب المعرفة وتوجيه الفِكْر، قال الله تعالى: **{فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه}**[٤]، فهنا يكتسب قابيل معرفة من خلال قراءته لمشهد تصويري حدث أمامه، تعلم من خلاله كيفية دفن الموتى، ولأن الصورة والمشاهد التصويرية تستخدم أكثر من الكتب وتناقل المعرفة باللغة المعهودة، اعتنى الشارع الكريم بما يُعرف بـــ "القدوة" لنشر المعرفة والأفكار الصحيحة، وتصحيح مسارات

---

١ آية ٣١ من سورة البقرة.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٢٧٧٠). وكتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، رقم (٦٥٢٣). وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم..، رقم (٦٧٥٨). **ومسلم**، الصحيح، كاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **متفق عليه.**

٣ سبق تخريجه.

٤ آية ٣١ من سورة المائدة.

البناءين الفِكْري والسلوكي.. الخ. قال الله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[١]. وقال جل في علاه: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...}[٢].

ثانياً: السياحة في الأرض: بين الشارع الكريم من خلال القرآن الكريم أن السياحة والسير والتنقل في الأرض أداة تساعد المفكر على الوصول للمعرفة، وفهم وإدراك المعطيات والقضايا الفِكْرية. فالسير في الأرض سبب في التعرف على ما هو جديد حتى لو كان من آثار الماضي، وسبب في إدراك سنن الله وقوانينه في الأرض.. الخ. قال الله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٣].

علاقة الأدوات بالمصدر:

بعد توضيح مصدر البناء الفِكْري "الوحي الإلهي" والمجالات التي هيأها للمفكر والتفكر بها، وبيان الأدوات الرئيسة في ذلك البناء "العقل، والحواس" وما يساندها من أدوات فرعية "القراءة، والسفر"، لا بد من توضيح العلاقة التي تربط المصدر بالأدوات، التي بدورها تحقق الموازنة والاستيعاب الشامل للمبحث، ويمكن بيان العلاقة من خلال الآتي:

أولا: التضامن والتكامل:

فالمصدر في البناء الفِكْري جعله الشارع الكريم يحوي مجموعة المجالات التي ينبع منها قضايا ومعطيات متنوعة، والأدوات هي الحواس التي خلقها الله تعالى للتفكر وإدراك محتوى ما هو موجود في المصدر، وهذا يستدعي وجود تناسب بين المصدر والأدوات، فلا يمكن أن تستقيم الأدوات دون وجود المصدر، ولا يمكن أن تُفعل وتستخدم إلا في محتوى ومضامين المصدر، ولا يمكن فهم المصدر وإخراج ما فيه من معانٍ إلا باستخدام الأدوات.

الثانية: التوافق والتلازم:

استمدت الأدوات وعرفت من خلال المصدر، وقد رسم المصدر لها مسارها المنهجي والضوابط التي يجب ألا تخرج عنها، وإلا فقدت قيمتها وفعلها. لذا لا تجد تضاد أو تضارب فيما بينها، ولا يمكن أن يقع الاختلاف بينها وبين المصدر التي أخذت منه.

---

١ آية ٢١ من سورة الأحزاب.
٢ آية ٤ من سورة الممتحنة.
٣ آية ٢٠ من سورة العنكبوت.

الفصل الرابع: عوائق البناء الفِكْري وآلية علاجها في ضوء الحديث النبوي

المبحث الأول: عوائق البناء الفِكْري وأسباب انحرافه.

المبحث الثاني: آلية علاج عوائق البناء الفِكْري وأسباب انحرافه في ضوء الحديث النبوي.

تمهيد.

يُقصد بالعوائق[١] هنا: العقبات التي تمنع القائم على البناء الفِكْري من إتمامه وفق المنهج السليم، فتشغله، أو تعرقل عمله، أو تحرفه عن مساره الصحيح.

وتُقسم العوائق التي تقف في طريق عملية البناء الفِكْري إلى عدة أقسام تعود إلى:

- ذات الفرد: كالضعف العقلي والعلمي، والخوف من الأذى، والهزيمة النفسية.
- أو سياسة الدولة الثقافية والعلمية والأحوال الاقتصادية.

ويمكن بيان أبرز المعوقات وأهمها، ومن ثم علاجها في ضوء الحديث النبوي من خلال المطلبين الآتيين:

المبحث الأول: عوائق البناء الفِكْري وأسباب انحرافه[٢].

إنّ انتشار الجهل وقلة العلم وضعفه في المجتمعات خاصة فيما يتعلق بالثقافة الإسلامية وعلومها، يُعد عائقاً أمام القائمين على الفِكْر وبنائه، ويمنعهم من الاستمرار بالبناء الصحيح. وتفشي الجهل وتدني المعرفة بالثقافة الإسلامية جاء نتيجة لمجموعة من الأنظمة السياسية ومخططاتها التي استهدفت تذويب الهوية المستقلة للفكر الإسلامي وبنائه ضمن الأفكار والذوات الأخرى، قال أنور الجندي: "ومن أخطر ما تكشف في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، تلك المخططات الاستعمارية الصهيونية السرية الرامية إلى تدمير المجتمعات الإنسانية، وخاصة المجتمع العربي عن طريق طرح عديد من النظريات والمذاهب الوثنية والمادية المتصلة بالنفس الإنسانية، والأخلاق والعقائد والتاريخ واللغة، ومقارنات الأديان والتربية. وقد قصدت هذه المخططات إلى محاولة تغريب العرب والمسلمين، وتفريغ الفِكْر الإسلامي العربي من مقوماته

---

١ العوائق: مفرد عائق، وعَاقهُ عن الشيءِ : مَنَعَهُ وَصَرَفَهُ عَن القِيَام بِهِ ، شَغَلَهُ عَنْهُ . وعوائقُ الدهر : شواغلُهُ وأحداثه. أنظر:
http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D٨%B٩%D٨%B١%D٨%A٨%D٩%٨A&word=%D٨%B٩%D٩%٨٨%D٨%A٧%D٨%A٦%D٩%٨٢.

٢ يقصد بالانحراف هو العدول من أمر سوي إلى آخر، فإذا كان انحرافا في الفكر فهو العدول عن فكرة سوية يقينية أو شبه يقينية إلى فكرة أخرى. أنظر: العمري، محمد نبيل، بحث "**الشبه الواردة على أصول الاعتقاد في القرآن الكريم وأسبابها**". مجلة دراسات، المجلد ٢٦، ١٩٩٩م.. وقد ذكر أسباب الانحراف الفكري، وهي: ١.فساد معطيات الحس لنقص في أداة الحس ذاتها. ٢. قصور العقل عن استيعاب القضايا التي تفوق قدرته. ٣. فساد المادة التي يبني عليها العقل أحكامه. ٤. فساد صورة الفكر وشكله. (ص٥١٠ –٥١١).

وقيمه وذاتيته في بوتقة الفِكْر العالمي الوثني المادي، والعمل على إسقاط الفِكْر الإسلامي والقيم الإسلامية، وإخراج المسلمين والعرب من قيمهم ومقدراتهم وتذويبهم في الأممية العالمية"[١].

ويمكن بيان صور هذه العوائق وأسبابها من خلال النقاط الآتية:

١. تهميش اللغة العربية وهي أداة فهم مصدر البناء الفِكْري.

يعتمد المنهج النبوي على اللغة العربية في بنائه الفِكْري، فهي لغة المصدر الأساسي في البناء الفِكْري القرآن الكريم والسنة النبوية، قال الله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[٢]. وهي أداة الفهم والإدراك لهما، قال الله تعالى: { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}[٣]. وهي وسيلة التواصل والتفاهم بين الشعوب الإسلامية، ونشر الفِكْر الإسلامي وعلومه بين الأمم التي ارتضاها الشارع الكريم[٤]. قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الله لما أنزل كتابَه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السَّابقين إلى هذا الدين متكلّمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدِّين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدِّين، وأقرب إلى إقامةِ شعائر الدين"[٥]. لذا هي لغة البناء الفِكْري وأداته في المنهج النبوي، ويجب إتقانها وعدم التهاون بها خاصة عند التعامل مع الوحي الإلهي، قال الأصمعي: "إنَّ أخوفَ ما أخاف على طالبِ العلم إذا لم يعرف النحوَ أن يدخلَ في جملة قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: "من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعدَه من النَّار"، لأنَّه لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه، كذبت عليه"[٦]. وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام أنه بُعث بجوامع الكلم، فقد رُوى عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: "**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**"[٧]. وجوامع الكلم هي: ملكة أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف لا تعقيد فيه يعثر الفِكْر في طلبه، ولا التواء يحار الذهن في

---

١ كتاب **قضايا العصر ومشكلات الفِكْر تحت ضوء الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.، ص١٤٥.
٢ الآيتان ١ و٢ من سورة يوسف عليه السلام.
٣ الآيات من ١٩٢ إلى ١٩٥ من سورة الشعراء.
٤ اللغة عموما لها ثلاث وظائف هي: أنَّ اللغة هي الركنُ الأول في عمليةِ التفكير. وهي وعاءُ المعرفة. وهي الوسيلةُ الأولى للتواصل والتفاهم والتخاطب، وبثِّ المشاعر والأحاسيس.
أنظر: الهادي، صادق بن محمد، مقالة بعنوان "**أهمية اللغة العربية وميزاتها**"، تاريخ نشرها ٢٠١١/١١/١٩م. رابط الموضوع:
http://www.alukah.net/publications_competitions/٠/٣٦٠٩٧/#ixzz٣HzWfrEui .
٥ **مجموع الفتاوى**، (ج٨، ص٣٤٣).
٦ المزي، **تهذيب الكمال**، (ج ١٨، ص ٣٨٨).
٧ سبق تخريجه.

فهمه[1]. فهذه ميزة للنبي عليه الصلاة والسلام تُبين لنا أهمية فهم اللغة العربية لإدراك مقصوده عليه الصلاة والسلام من أحاديثه، وفهم مراده ومعاني ألفاظه.

فقوة البناء في المنهج النبوي تقوم على قوة اللغة العربية والحفاظ عليها، وتُعَدُّ ركاكة اللغة وضعفها سبباً يُعرقل سير البناء الصحيح، فالمُلاحظ في المجتمعات العربية والإسلامية انتشار استخدام اللهجة العامية على نطاق واسع لتحل محل الفصحى، التي أدت إلى هجر الفُصحى والابتعاد عن جوهر اللغة العربية الحقيقي.

ويبدو أن الإعلام العربي دعم فكرة هجر الفُصحى ودعم نشر اللهجات العامية واللغات الأخرى، فنرى من خلال الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة عرض العلوم والأفكار ونشرها من خلال اللهجات المختلفة واللغات الأخرى، مما أدى إلى إقصاء اللغة العربية في مجالات العلوم والمعرفة.

كما أن المُدقق في البناء الثقافي للمسلمين من خلال الإعلام يجد الهجمة الشرسة التي قامت على تحقير اللغة والسخرية منها، والاستهزاء بالناطقين بها، ورفع شأن اللغات الأخرى، وتصوير تعلم اللغات الأخرى والتعامل بها جزءا من تقدم الفرد والمجتمع.

وبعد نشر تلك الصورة وترجيح كفة اللهجات العامية واللغات غير العربية، بدأ ظهور الصورة الأكثر إعاقة للبناء الفِكْري بل والحضاري، وهي نشر ما عُرف بـــ"لغة الشات"[2] وهي لغة للتعارف عبر مواقع التواصل الاجتماعي[3]، وهي تقوم على نطق الأحرف بالعربية وكتابتها بحروف وأرقام اللغة الإنجليزية[4]. وقد انتشرت بشكل كبيرٍ بين الشباب لتصبح الأسلوب الأكثر تقدماً وسهولة في الحديث ونقل المعارف فيما بينهم. وبهذه الصورة تبدأ خطوة ثانية نحو محو الحروف العربية خطاً وكتابة، مع التلفظ بها بركاكة ولين. ويُعد هذا انسلاخاً من الذات وتضييعاً لهويتها وثقافتها. خاصة أنه من خلال هذا الأسلوب المستحدث نُضيع اللغة العربية، ولا نتعلم لغة أخرى.

---

١ المناوي، **فيض القدير**، (ج١، ص٩١٧). فيض القدير (١/ ٧١٩)، قال: أعطيت جوامع الكلم: أي ملكة أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه ولا التواء يحار الذهن في فهمه فما من لفظة يسبق فهمها إلى الذهن إلا ومعناها أسبق إليه، وقيل أراد القرآن، وقيل أراد أن الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الأمور المتقدمة جمعت له في الأمر الواحد والأمرين.

٢ Chatting: أي المراسلة.

٣ مثل: الفيس بوك (Facebook)، تويتر (Twitter)، المسنجر (Messenger)، الواتس آب (WhatsApp).

٤ من النماذج على هذه اللغة: سلام =" salam". صباح الخير = "٩abaٙ٧ al٥er".

تُعدّ اللغة العربية هي الوعاء الفِكْري الذي احتُفظ فيه بالعقيدة والأحكام والفِكْر الإسلامي، ومحاولة تحريف اللغة العربية وإقصائها ما هو إلا منطلق لإبعاد الأفراد عن جوهر عقيدتهم الصحيحة، وحَرفِ فكرهم عن مساره، وبث الأفكار المنحرفة التي لا تتوافق مع أصوله وضوابطه، ومن مظاهر إقصاء اللغة العربية عناية الدول وتشجيعها على تعلم اللغات الأجنبية، يقول **أ.ل شاتيله** في تقديمه لأعمال الإرساليات التبشيرية: "لا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية"[١]. وهذا يُفسر سبب إقصاء اللغة العربية عالمياً من خلال عدم استعمالها في المؤتمرات العلمية والفِكْرية، وتهميشها تماماً في الكتابات الفِكْرية، كما يُلاحظ أن بعض من تصدى للفكر وبنائه في العصور المتأخرة يسطر فكره باللغات الأجنبية، ومن ثم يقوم هو أو غيره بترجمتها للعربية. وفي هذا تهميش من علماء المسلمين ومفكريهم أنفسهم للغة العربية ودورها البارز في الفِكْر وبنائه. كما أن اعتبار اللغات الأجنبية لغات عالمية تستخدم كلغة للتدريس في الجامعات والمدارس من شأنه أن يهدم قيمة اللغة العربية في النفوس رويداً رويداً. ومن خلال النظر في المجتمعات المحلية نجد أن هناك مشكلة في تعاطي اللغة وتناقلها، فلا بد من توعية تلك المجتمعات وتقويتها لغوياً، وتوفير المصادر المناسبة والملائمة للمستويات المختلفة.

وفي النهاية يظهر أثر إقصاء اللغة العربية وتهميشها في أنه يؤدي للتمادي في فهم النصوص القرآنية والنبوية، وإخراجها عن معانيها الحقيقية. وعدم القدرة على فهم ثمار البناء الفِكْري ونتائجه المتراكمة عبر التاريخ، وعدم القدرة على نشره بمعانيه المقصودة.

٢. إقصاء الثقافة الإسلامية وتهميش علومها.

الثقافة الإسلامية هي: "الثقافة التي محورها الإسلام: مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به والمنبثقة عنه"[٢]، وتُعدُّ بكل أبعادها وجوانبها نتاجاً للبناء الفِكْري وثماره العلمية والعملية التي يجب تفعيلها ونشرها بين الناس أفراداً وجماعات.

ويُعد تقييد المعرفة وعدم نشرها عائقا أمام بناة الفِكْر والقائمين عليه، فالثقافة الإسلامية محصورة اليوم بين دفات الكتب وصفحاتها، لا مكان لها في التطبيق العملي حتى بين أبنائها

---

١ **الغارة على العالم الإسلامي**، نقله إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، ط١، منشورات العصر الحديث، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص٨.

٢ القرضاوي، يوسف، **ثقافة الداعية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص٩٠.

أنفسهم، لأنه تم تهميش هذه الثقافة وتشويهها، والاقتصار على الشاذ منها ونشره، باعتباره العام الغالب في الإسلام[١]. وهذا نوع من الخديعة الفِكْرية التي خدمتها وسائل الإعلام والسياسات التعليمية.

فالإعلام العربي يهمل العلوم الإسلامية تأصيلاً وتطبيقاً، وينشر المعارف الأخرى بكل توسع وشمول. ويربط الفِكْر الإسلامي بالجانب التعبدي فقط، ولا يُفعّله في جوانب الحياة المتنوعة، بل رسم صورة التعبد والمغالاة في ذلك وترك جوانب التنمية الحياتية الأخرى. وفي هذا توجيه خطير لعقول المسلمين وأفكارهم، وتعطيل وظيفة البناء الفِكْري التي تقوم على إعمال القدرات العقلية في أي مجالٍ علمي أو عملي للوصول لنتائج فعّالة ومفيدة للفرد والجماعة.

وكذلك ظهر إقصاء الفِكْر والعلوم الإسلامية في المناهج التدريسية التي تقدم للطلاب في غالب مراحل حياتهم الأكاديمية، فيُلاحظ حرمان طلاب الجامعات في غالب التخصصات العلمية والإنسانية من تعلم علوم هي فروض عين في حقهم، ويتخرجون دون أن يتعلموا أساسيات الثقافة الإسلامية[٢]. بل يزداد الأمر سوءا بنشر الطعون والشبهات النظرية على نتاج الفِكْر الإسلامي، وتفخيمها وتسليط الضوء عليها، لتشكيك المسلمين بأصول علومهم، فترى البعض يقف حائراً بين صواب العلوم والشبهات عليها، والبعض يذعن لتلك الصيحات التي تطعن بالعلوم الإسلامية خاصة المتعلقة بمصدر الفِكْر "الوحي الإلهي"[٣]، مما يؤدي إلى توجه المسلمين نحو الثقافات الغربية وانبهارهم بما فيها للبحث عن هوية فكرية جديدة، الأمر الذي أدى إلى الاتباع والتقليد الأعمى، وعدم الالتزام بأصول البناء الفِكْري الإسلامي، والاصطباغ بمضامين الثقافات الأخرى دون تمييز وضبط[٤].: قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً،**

---

١ مثلا التصور المعاصر للثقافة الإسلامية أنها ثقافة إرهابية تقوم على القتل والدم. أو أنها عبادات حركية تعني ترك الدنيا والاقتصار على عبادة الله فقط.

٢جمال عبد الهادي وآخرون، **تطوير أم تضليل في مناهج التربية الإسلامية**، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢م، ص٤٦.

٣ وجهت طعون كثيرة للقران الكريم من حيث تفسيره وصحة معناه. كما وُجهت الطعون للسنة النبوية على نطاق واسع، وفيما يتعلق بثبوت نسبتها للنبي عليه الصلاة والسلام، ومخالفتها للعلوم والواقع.. الخ.

٤ وقد ظهر أفراد يحملون الفِكْر الغربي ويتغنون بما فيه لانبهارهم بثقافتهم، بل إن منهم من وجه الطعون للثقافة الإسلامية الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقلل من شأن العمل بها. من أمثال الدعوة لتحرير المرأة دون قيود وحدود، وممن حمل هذا الفِكْر ونشره بين المسلمين:

- رفاعة الطهطأوي: فهذا فرد انبهر بالحضارة الغربية وأفكارها، خاصة ما يتعلق بالاختلاط ، لذا دعا للاختلاط وكتب في ذلك كتابه "المرشد الامين للبنات والبنين"، وكتاب "تلخيص الإبريز في تاريخ باريز". أنظر للمزيد من المعلومات: طعيمة، صابر، أخطار الغزو الفِكْري على العالم الإسلامي، عالم الكتاب، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٦٠.
- قاسم أمين، وهو الداعية الأكبر لتحرر المرأة وهذا ما ظهر في كتابه "تحرير المرأة"، حيث دعا من خلاله إلى نبذ القيم الإسلامية المتعلقة بالحجاب، وحث على التعري والاختلاط. وعضد فكره في كتابه الثاني "المرأة

تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا". وقال عليه الصلاة والسلام: "**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ، فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**"[١].

ويُعد هذا مسعى لأعداء المسلمين لتسهيل نشر أفكارهم وثقافاتهم المنحرفة بين المسلمين، من خلال إيجاد أفراد يحملون فكرهم وينقلونه لمجتمعاتهم دون فهم ونقد، قال زويمر[٢] وهو أحد رؤساء التبشير في البحرين: "تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها"[٣]. وبهذا يتم تزيين الفِكْر الغربي في عقول المسلمين وتزييف حقيقته، فيظهرون الجانب التكنولوجي والحضاري لثقافاتهم، ويعتمون على حقيقة حضاراتهم وسلبيتها، لذا ترى حب المسلمين لثقافة غيرهم وولاء عقولهم لها لما فيها من أفكار، وتعامي الكثير عن انحرافهم وسلبياتهم.

والفِكْر المعاصر يقوم على رفع شعار وحدة الفِكْر الإنساني، وعالمية الثقافة إلى غير ذلك من المصطلحات البراقة التي ظهرت في مجتمعاتنا، وهي في حقيقة أمرها تهدف إلى تذويب الفِكْر وبنائه الإسلامي، وصهر أصوله لحساب الأقوياء المسيطرين، وأصحاب النفوذ السياسي المسيطرين على العالم اليوم.

٣. تجميد الفِكْر وبنائه من خلال المناهج التي فُرِّغت من الفائدة الفعلية والحقيقية.

يُعد التفاعل الإيجابي والتطبيق العلمي للنتاج الفِكْري من شروط البناء الصحيح، وقد تبين من خلال المنهج النبوي ربط الأفكار بالسلوك الإنساني وواقعه، فقوة البناء الفِكْري وصواب نتاجه وثماره تؤدي للسلوك الصحيح، وضعف البناء الفِكْري الذاتي للفرد والجماعة يُهئ عقول أصحابها لاستقبال كل ما هو جديد أو منحرف دون النظر والنقد، لخلوها وفراغها وغياب المنهج القويم عنها، فيبدأ الفرد أو الجماعة بتعبئة النقص فيها، من خلال اكتساب الصفات والسلوكات التي تخالف المبادئ التي رُبِّيَ المسلم عليها.

الجديدة" والذي سخر من خلاله من استعباد الإسلام للمرأة، ومن الأحاديث النبوية الواردة في منع الاختلاط، كما دعا إلى تقييد الطلاق والتعدد.

١ سبق تخريجهما.

٢ttp://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%B٥%D٩%٨٥%D٩%٨٨%D٩%٨A%D٩%٨٤_%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٨%B١%D٩%٨A%D٩%٨٦%D٩%٨٨%D٨%B٣_%D٨%B٢%D٩%٨٨%D٩%٨A%D٩%٨٥%D٨%B١

٣ **الغارة على العالم الإسلامي**، ص ٣٠.

لذا كان من العوائق الثقافية التي ظهرت لتحرف البناء الفِكْري عن مساره الحقيقي وتُعيق عمله، وتجمده في قوالب التنظير والسطور فقط، فصلُ الشرائع الدينية عن المجالات الدنيوية، واعتبار الدين بكل أفكاره كلاما تجريديا لا يصلح للتطبيق العملي، بل هو سبب في تخلف من يتمسك به أو يمارس شعائره، فبدأت الأفكار المنحرفة تدخل في البناء الفِكْري للمسلمين، ليظن بعض الناس أن قوة الدولة والتقدم الحضاري يكمنان في القوة المادية من تكنولوجيا وآليات عسكرية والإنتاج الضخم للمواد...الخ. وهذا ما نبه النبي عليه الصلاة والسلام إليه بقوله: "**إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُكَلِّمُكَ، فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أو يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الْخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ، وَالْيَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ أو كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[١]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: " **فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**"[٢].

وغُيّب عن عقولهم أن القوة والسيادة لا تكون إلا بعلو الفِكْر والسلوك معاً، فالتمسك بالأخلاق المستمدة من القيم الدينية، وتطبيق الأفكار الفعّالة والقائمة على أصول ثابتة هو السبب الحقيقي للتقدم والقوة. وتأكيدا على هذا المعنى فلننظر إلى واقع الدول الغربية بعد الحرب العالمية الأولى، ولنتصفح مظاهر تدهورها وانحلالها وهي في قمة مجدها الصناعي، فهي دول لا ينقصها الجانب المادي أبدا، ولكنها فصلت في أفكارها الدين عن كل ما حوله، فانطلقت دون معايير وضوابط، لذا سرى الفساد في دولها[٣]. وكذلك الحال في قوم ثمود السابقين فقد بنوا أفضل حضارة، واعتمدوا على القوة المادية، وسلخوا الفِكْر عن الدين والقيم الحميدة، فكان جزاؤهم

---

١ **البخاري**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، رقم (١٣٧٨). وكتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله، رقم (٢٦٤٣). وكتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس..، رقم (٥٩٧٤). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم (١٧٤٩- ١٧٥١). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٢ **سبق تخريجه**.

٣ محمد محمد حسين، **حصوننا مهددة من داخلها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٩٨٣م، (ص ١٩- ٢٠).

عذاباً من الله تعالى: {**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**} [١]. وقال الله تعالى: {**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**} [٢]. وقال تعالى: {**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاء اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [٣]. فالقرآن الكريم يُصور لنا سنة الله في البناء الصحيح وهي قيامه على الجانبين الديني والمادي معاً، وعدم الاقتصار على جانبٍ دون آخر، لأن في ذلك هلاكا دنيوي وعذابا أخروي.

ومن هذا السبب تتمثل لنا مجموعة من الأسباب التي نص عليها الوحي الإلهي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين أنها أسباب مؤثرة في أسس البناء الفِكْري وتؤدي لإعاقته وانحرافه، هي: التقول على الله بغير علم وتفكر. والبدعة والابتداع بمفهومه المخالف للتجديد. واتباع المتشابه من النصوص التي نُهي عن اتباعها. واتباع المظنون من العلم والمعرفة.

٤. ضعف سياسة الدولة.

لكل دولة معارفها المتراكمة ومجالاتها المتنوعة التي تبني عليها حضارتها، والبناء الفِكْري هو عمود الحضارات والأمم، ومحركها نحو التقدم. لذا كان للدول والمجتمعات الدور البارز في تنمية البناء الفِكْري أو تثبيطه، وتوجيه مساره نحو أهدافها وتطلعاتها في جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية [٤].

فلكل دولة سياساتٍ تتعلق بجوانبها المختلفة وشؤونها، وهذه السياسات هي التي توجه حركة الدولة وتطورها، وهي بمجموعها تقوم على البناء الفِكْري وتؤثر فيه تأثيراً كبيراً، قال الشيخ محمد عبده: "إن التغالب في هذه الأوقات أصبح معظمه، إن لم أقل جميعه تغالب الأفكار والآراء، فالأمة ذات البسطة في الأفكار، والمهارة في المعارف هي الأقوى سلطاناً، والأقوم سياسة، وهي الغالبة على ما سواها من الأمم" [٥]. فقوة الدولة سياسياً وازدهار علاقاتها بالدول

---

١ الآيات من ١٢٨ إلى ١٣٠ من سورة الشعراء.
٢ آية ٥٢ من سورة هود.
٣ آية ٦٩ من سورة الاعراف.
٤ قال ابو زهرة: ""...وليس لنزعة الدولة ولونها السياسي إلا بمقدار التنمية أو التعويق، أو التوجيه، والأصل ثابت يسير ببطء أو بسرعة حسب ما تقدمه الدولة من معونة أو تثبيط، وهو في سرعته وبطئه واصل إلى الغاية". أنظر: أبو زهرة، محمد، **أبو حنيفة: حياته وعصره – آراؤه وفقهه**، دار الفِكْر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٧٢.
٥ تاريخ الامم، ج٢، ص٤٤. نقلاً عن: البهي، محمد، الفِكْر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٢، ١٩٩١م، ص١٠٨.

الأخرى يُقوي الفِكْر وبناؤه لها ويوجهه للأفضل بما يخدمها ويُطورها. أما ضعفها السياسي وضعف علاقاتها التبادلية بين الدول، يجعلها مستقبلة ومستوردة للأفكار والقرارات وليس صانعة لها، فيؤثر سلباً على البناء الفِكْري ويؤدي إلى تدهوره وتراجعه، ويؤدي إلى ضعفها السياسي المرتبط بضعف بنائها الفِكْري، وعدم قيامه على الأسس والمقومات الصحيحة.

ويجب على الدولة أن تبذل المزيد من الجهد في إنشاء مؤسسات تتولى عملية البناء الفِكْري، وتصويب مساره في المجتمع. وإطلاق الحرية الفِكْرية لأصحاب الفِكْر وعدم تقييدها والحَجر عليها. فمتى أدت الدولة هذه الوظيفة تجدها أوجدت السبب لتقدمها وقوتها. ومتى أهملته أو قامت بعرقلته تجدها ضعيفة ومتخلفة لا قيمة لها في مصاف الحضارات.

وسياسة الدولة القائمة على الضعف تُعنى بإضعاف البناء الفِكْري الداخلي لها، لأنها تبقى متوجسة وخائفة من أن يُصحح مسار البناء الفِكْري ويتطور فتنتهي صلاحيتها وحكم القائمين عليها. لذا تجدها تعرقل مسار البناء الفِكْري من حيث إهماله، وعدم دعمه وتشجيعه وتوفير الموارد المالية لتطويره. فالدولة هي المسؤولة عن دعم البناء الفِكْري من حيث المادة وتوفير الأجواء الحرة له والملائمة للقائمين عليه، وتطبيق نتائجه على أرض الواقع.

٥. إشغال العقول بالأفكار السطحية والفاسدة.

من عوائق البناء الفِكْري إشغال الأفراد والجماعات من خلال وسائل الإعلام والتكنولوجيا، والذي تم استغلال أنواعه لشغل العقول بالملهيات وإلهاء الغالبية عن التفكير في النهوض والتقدم، فقد ورد في نصوص البروتوكولات هذا الهدف بشكل واضح، ففي البروتوكول الثالث عشر: "ولكي نبعد الجماهير عن أن تكتشف بأنفسها أي خط عمل جديد سنلهيها أيضا بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا"[١]. وذُكر في البروتكول الرابع عشر: "وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً مريضاً قذراً يغثي النفوس، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب"[٢].

هذا الأمر صرف نظر القائمين على الفِكْر وبنائه عن غاياته المحددة، وأهدافه المنبثقة عن أصوله الثابتة. ويغري الكثير ممن يُطلقُ عليهم أصحاب الفِكْر بالتمرد على وظيفته التي وُجد من أجلها، فكان سبباً في فساد الحاضر والمستقبل للمجتمع، وأدى إلى تقليد الثقافات

---

١ نويهض، عجاج، **بروتوكولات حكماء صهيون**، دار اليازري العلمية، عمان، الطبعة العربية، ٢٠١٤م. ص (ج١، ص٢٥٨ –٢٦٠)..
٢ نويهض، **بروتوكولات حكماء صهيون**، (ج١، ص٢٦٠ –٢٦٣).

الأخرى والتشبه بها وتطبيقها، دون نقدها ووزنها بالميزان الفِكْري الصحيح. وهذا ما نهى عنه المنهج النبوي ونبه لأضراره، قال عليه الصلاة والسلام: "**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ، فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**"[1].

[1] سبق تخريجه.

المبحث الثاني: آلية علاج عوائق البناء الفِكْري وأسباب انحرافه في ضوء الحديث النبوي[1]

اعتنى المنهج النبوي بوضع علاج ما يعترض البناء الفِكْري من عوائق تسبب توقفه أو انحرافه، وهذا العلاج يكون من خلال الإجراءات الوقائية التي تتضافر مع عناصر البناء يداً بيد، ومن ثم وضع آلية للعلاج الإجرائي لإنقاذ البناء وتنميته والاستمرار به.

المطلب الأول: الإجراءات الوقائية في الحديث النبوي.

أولاً: أسس علاج عوائق البناء الفِكْري:

هناك أسس ثابتة يجب أن لا تتغير عند علاج عوائق البناء الفِكْري مهما تغير العصر، ويمكن إجمال هذه الأسس بما يلي:

- الاعتراف وعدم التهرب من حقيقة المشكلة.

يجب الاعتراف بأن الفِكْر الموجود في الواقع في كل مجالاته قاصر عن تلبية احتياجات الأفراد والمجتمعات الحضارية، ومواجهة التحديات العصرية، قال محمد الغزالي: "لا بد من محو هذه الفوضى الفِكْرية، وإعادة الرشد إلى حياتنا الثقافية، وتمكين أولي الألباب من عرض الإسلام"[2]. فالمسلمون بحاجة إلى فكر إسلامي قادر على استيعاب المتغيرات الحضارية، وفهم الثقافات الأخرى بكل ما تحتويه من رؤى وتصورات، لتقدم أفكاراً تنهض بالأمة وتبني الحضارة على أسس قويمة، وهذا الفِكْر المنشود لا يمكن أن يأتي أو يُنشأ إلا بوجود البناء الفِكْري المستنبط من المنهج النبوي الشريف بكل مقوماته وعناصره.

وهذا الاعتراف يمنح القائمين على البناء الفِكْري الأبعاد الواقعية لتصور الوضع الحقيقي، والدرجة التي يقف عليها المجتمع الإسلامي، ليخرج من حد التنظير البعيد عن الواقع، والخيال الذي لا طائل منه. فـ "من المآسي التي تحير العقل وتجرح القلب، أن تظل الأقطار الإسلامية وحدها في فوضى تعليمية، وغموض والتباس، بل في تناقض ومصارعة بين العقائد

---

١ من المهم ذكر بحث بعنوان "الانحراف الفِكْري: مفهومه – أسبابه – علاجه" لـ طه عابدين طه، فقد ذكر فيه علاج الانحراف الفِكْري ووضع له خطوات هي: ١. ابراز أهمية لزوم الكتاب والسنة وعدم التقدم عليهما. ٢. نشر الفقه السليم للإسلام وإبراز مقاصد التشريع. ٣. الإعداد الخاص للدعاة والعلماء للقيام بواجبهم. ٤. تعليم الحقوق. ٥. تعليم التوسط في الأمور التي هي منهج السليم. ٦. إبراز يسر هذا الدين، وتعليمه كمنهج في التدين الحق. ٧. تعليم الشمولية في آخذ الإسلام، مع الموازنة بين كافة الحقوق والواجبات. ٨. تعليم الأخلاق الإسلامية والتخلق بها مع الناس. ٩. التعامل الشرعي مع المنحرفين فكرياً.

٢ أنظر **كتابه علل وأدوية**، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١، (ص ٢٠٢).

والحقائق التي تؤمن بها، والغايات والأهداف التي خلقت لأجلها، والرسالة والدعوة التي تحتضنها، وبين نظام التربية الذي تطبقه والنظريات التي تستوردها، والأساتذة الذين لا يؤمنون بها، وعلى الأقل لا ينشطون في تدعيمها وتنميتها، ولا تفكر في التطبيق بين العقيدة التي تتمسك بها، وبين التعليم الذي تنفق عليه أكبر جزء من إيمانياتها ووسائلها"[١].

– تجديد النية والإخلاص لتحقيق الغايات الربانية.

تجديد النية وإخلاصها لله تعالى بالتبرؤ من كل ما هو دون الله، وأن يقصد المسلم بسلوكه القولي والفعلي وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته ونيل رضاه، ليكون تحقيق غاية رضى الله تعالى هو الباعث على التغيير والعمل، فالبواعث التي تقود الفرد إلى العمل وإجادته كثيرة وهي التي تساعده على تحمل أعباء العمل وبذل الجهد فيه[٢]. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[٣]. فضعف الإخلاص عند كثير من بناة الفِكْر والقائمين عليه يؤدي لتراجع قوة الدولة وضعفها، والإخلاص أمرٌ لازمٌ للفكر وبنائه كما أنه ألزم ما يكون لميادين العلم والثقافة، لذا لا يصح أن يُسخر لعوامل الشر والهدم[٤]، لأنه مسؤول عنه يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: "**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**"[٥]. **وقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**"[٦]. فالإخلاص يُشعرالمسلمين أفرادا وجماعات بالمسؤولية وضرورة التغيير وإعادة البناء، فيصبح أهلاً للسير على المنهج النبوي في الفِكْر وبنائه، والقيام بواجباته دون تذمر أو تقصير.

– الموضوعية والشمول في تطبيق البناء الفِكْري.

يجب تطبيق البناء الفِكْري دون محاباة أو استغلال لمصلحة ما، ويجب تطبيق نتاجه في جميع المجالات، فلا يصلح أن يُطبق نتاج البناء الفِكْري في الجانب الاجتماعي مثلاً، وترك تطبيقه أو إعماله في الجانب الاقتصادي، لأن ذلك يؤدي إلى عدم اتزان كيان الأمة بل الإنسانية،

---

١ الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **الصراع بين الفِكْرة الإسلامية والفِكْرة الغربية**، دار القلم، الكويت، ط٤، ١٩٨٣م، (ص ١٧٧).
٢ الغزالي، **خلق المسلم**، (ص٦٩).
٣ سبق تخريجه.
٤ الغزالي، **خلق المسلم**، (ص٧٧).
٥ سبق تخريجه.
٦ مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقار..، رقم (٤٦٥٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **صحيح**.

ويؤدي إلى التدهور والضعف بشكل سريع. كما يجب أن يتوجه النقد وتقديم النصح إلى أي أثر من آثار البناء الفِكْري الموجود في المجتمعات الإسلامية دون مجاملة لها. لأن التطبيق العملي يُظهر أحياناً صلاح النتاج في مجتمع دون الآخر، أو يُظهر الخلل وإعادة تقييمه وتصحيحه.

إنَّ البناء الذي تشيع فيه المحاباة ولا يتصف بالموضوعية، تَعبَث فيه المصالح الشخصيَّة بالمصالح الكبرى والعُليَا للمجتمع، فيصبح فيه تجاهُل أقدارِ المفكرين وإهمالهم، وتقديم الجاهل عليهم مما يُولِّد اضطرابًا في البناء، ويُوجِد ضعفًا وعجزًا يدبُّ في أسسهِ وعناصره، مما يُعيق الفِكْر وبناءه ويمنع تقدُّمه ونموه. قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر رضي الله عنه: "... **إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**"[١]. لذا بين المنهج النبوي أن الهلاك والفساد هو حالُ الأمة التي تتصف بالمحاباة وتقديم المصالح الشخصية على غيرها، قال عليه الصلاة والسلام: "**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**"[٢].

ثانياً: الخطوات الوقائية في المنهج النبوي لتجنب عوائق البناء الفِكْري.

وضح المنهج النبوي من خلال التطبيق العملي إجراءات تحافظ على البناء الفِكْري من التوقف أو الانحراف. ويمكن إجمال هذه الإجراءات بما يلي:

أولاً: الحصانة[٣] الذاتية:

وهذه الحصانة يجب أن يُضبط الفرد عليها ويُبنى، وهي نتاج للقوة العقدية الصحيحة، والوضوح العلمي، والثبات المنهجي. فمن خلال هذا التحصين يتمكن الفرد من الحفاظ على أسس بنائه الفِكْري من أي انحرافٍ أو تراجع. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ**

---

١ سبق تخريجه.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٢٤٠). وكتاب المغازي، باب مقام النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٩٩٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي...، رقم (٣٢٠٢ و٣٢٠٣). من حديث عائشة رضي الله عنها. **متفق عليه**.

٣ الحصانة من الفعل "حصن" واصل الإحصان المنع. والمرأة تكون محصنة بالإسلام وبالعفاف والحرية وبالتزويج، يقال: تحصن العدو إذا دخل في الحصن واحتمى به. أنظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (ج١، ص٣٩٧).

الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ..."[١]. ويُقصد القوة بكل أنواعها (العقلية، والجسدية، والروحية)، ليتمكن الفرد من اتباع البناء الفِكْري وتطويره وتنميته، ليرفع من قيمتهِ ومنزلة جماعته التي ينتمي إليها، فتتبوأ الأمة المكانة الريادية بين الأمم الأخرى. فهذه الحصانة تبدأ من الفرد ثم تتسعُ لتشمل الأسرة ومن ثم الأمة بأسرها، ومن ثم تؤثر على الإنسانية.

وهذه الحصانة بناها المنهج النبوي من خلال الدعوة إلى التفكر والاستمرار به، والحث على العلم والتعلم، وفتح المجالات المتنوعة والصالحة لاختلاف العقول، وربط الأفعال والأفكار بالغايات والأهداف العظمى والإيجابية.

ثانيا: التوعية الفِكْرية العلمية الشاملة.

والتوعية الفِكْرية قسمان:

أ. نشر المنهج النبوي الوعي الديني والثقافة الإسلامية، وربط أفكارالأفراد بالأهداف الإيجابية التي تنهض بالفرد والأمة لتعمير الأرض وتحقيق غاية البناء الفِكْري التي ارتضاها الله تعالى لهم، من خلال استخدام وسائل الإعلام التي أصبحت نديما للأفراد، وأداة النشر الأولى في المجتمعات بكل ألوانه من مسموع ومقروء ومشاهد، فهي الأسلوب الأمثل في هذه العصور للتاثير على الأفراد، لذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على قول الشعر، لأنه الوسيلة الإعلامية المناسبة في وقتهم.

ب. اعتنى المنهج النبوي بتوعية الأفراد بالأفكار الأخرى وأبنيتها المختلفة من خلال الوقوف عليها وتوضيحها، وتحليل أسباب قوتها وضعفها، ونقدها والاستفادة من تجاربهم. فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: "**أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ:** "**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ سورة التوبة آية ٣١، قَالَ:** "**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**"[٢]. فالنبي عليه الصلاة والسلام بيّن لعدي رضي اله عنه حالة من أحوال الديانات وفسر له سببان من أسباب انحرافهم.

---

١ سبق تخريجه.
٢ **الترمذي**، السنن، كتاب تفسير القران، باب ومن سورة النساء، رقم (٣٠٣٩). **وَقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ، وَغُطَيْفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ.**

كما يجب تبصير الناس بالمنهج الصحيح للتعامل مع التيارات الفِكْرية الأخرى، وكيفية الاستفادة من ثقافاتهم وضوابط ذلك، وتحصين الفِكْر[١] الإسلامي وحمايته، وحراسة جميع جوانب بنائه وعناصره، فيجب إيقاف التلقي الأعمى للثقافات الأخرى ومعارفها.

كما عمل من خلال خطوتي التوعية السابقتين على إيجاد البدائل الإبداعية والتجديدية غير المقلدة، والقائمة على المنهج النبوي في بناء الفِكْر للمستجدات العصرية، واعتنى كذلك بتصحيح المصطلحات، وتحرير القيم من أي مفهوم وافد وغربلتها. فعندما أراد أن يتخذ خاتماً كما هو حال الروم، اتخذ ما يناسب أصول الإسلام فجعله من فضة لأنه لا يحلُّ للرجل أن يحتلي الذهب، وأضاف عليه طابعاً إسلامياً ليميزه عن غيره فقد ورد عن أنس رضي الله عنه ".. **فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**"[٢].

ج. بناء مراكز علمية ودينية لنشر الفِكْر وبنائه الصحيح، **والاستعانة بكل الوسائل والأساليب المتجددة لتجسيد الفِكْر الإسلامي وبنائه.** فقد قام النبي عليه الصلاة والسلام عند هجرته للمدينة المنورة ببناء المسجد، ليكون منطلقاً لنشر الفِكْر وبنائه، لذا شارك النبي عليه الصلاة والسلام في تصميم هذا المسجد وبنائه، وقام الخلفاء بعده بتوسعته وإصلاحه ليبقى مركز الدعوة وبناء الفِكْر، فعن عَبْدَ اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما قال: "**أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ، وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ، وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّبِنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَبًا، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ** "[٣]. فبناء المساجد والمراكز وإعمارها بالأئمة المتصفين بالصلاح والعلم، وما يمتلكون من أساليب الدعوة المناسبة للأفراد وكيفية التعامل معهم، وإدراكهم لعناصر الفِكْر وبنائه، ويتم نشر الفِكْر من خلال الخطب والدروس العلمية التي تُلقى فيها، فهو قلعة التحصين لحماية البناء الفِكْري من أي دخيل

---

١ عرفت الحصانة الفِكْرية بأنها: "التمسك بعقيدة التوحيد الخالص، وتنظيم أولويات التفكير، وضبط تبادل المعلومات بين المسلم وغيره". أنظر: الشريفين، محمد عيسى، بحث "**الحصانة الفِكْرية في ضوء الحديث النبوي**". المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٥، العدد ١، ٢٠٠٩م، (ص ١٩٠ –١٩١).

٢ **سبق تخريجه.**

٣ **البخاري**، الصحيح، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد، رقم (٤٣٠)، **صحيح**.

منحرف، وسببٌ في حل الشبهات والإشكالات الفِكْرية[١]. كما يجب على الدولة بناء المعاهد والمراكز العلمية المختصة بالفِكْر وبنائه، حيث يُتابع فيها العمل والقرارات المناسبة للعصر والمجتمع، وعلى الدولة من خلال اللجان العُليا وضع تقييم الأسس القائمة على النهوض الفِكْري، دون أن يكون القرار السياسي عائقاً أمامهم، وعليهم توجيه تلك المراكز والمعاهد لتقوم على أساس علمي وديني، فتوجه البناء الفِكْري بما يتناسب مع العامة والخاصة دون تمييز ومُحاباة، ويتصل بالأمور العلمية والعملية معاً، وأن يتناول كل ما يشترك به الناس، وما يمتاز به المجمتع من خصائص عن باقي المجتمعات.

المطلب الثاني: خطوات العلاج الإجرائي لعوائق البناء الفِكْري:

أولا: التخطيط الجماعي لعلاج العوائق:

يُقصد بالتخطيط: التدبير المسبق لعمل مستقبلي، والتنظيم المستند على الأساليب المختصة لتحقيق الأهداف والغايات في ضوء الواقع، وهو يسبق أية خطوة من خطوات البناء الفِكْري، لأنه يُمثل العملية الفِكْرية التي ترسم مُسبقاً الطريق الذي سوف يسلكه المسؤولون عند اتخاذهم للقرارات المختلفة، وتنفيذهم لها بمساعدة عناصر البناء الفِكْري الأخرى، وتقويم العمل به ونتائجه وفق الضوابط المتفق عليها، وهذا يتطلب:

أ. أن يكون التخطيط من المؤهلين بالكفاءات العلمية والخبرات والتخصص.

وتعني أن يكون لدى الفرد والجماعة الخلفية النظرية والعملية لما سيقومون به من تخطيط للبناء الفِكْري، فيكون ذو خبرة بغاياته، وأسسه ومقوماته، ومصدره ومجالاته، وأدواته وأساليبه، بحيث يتمكن من تحقيق الأهداف التي يسعى إليها. والخبرة لازمة من أجل تجاوز العقبات التي تعترض طريق المخطط، وتحقق تنمية البناء وتطويره.

والخبرة والتخصصية لا تكونان إلا بإسناد الأمر إلى أهله، فيؤدي كل فرد مهامهُ التي تتناسب مع تخصصه ومجال عمله، فيُؤدّى التخطيط على أكمل وجه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة** "، **قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال:** "**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**". **وقال أيضا عليه**

---

١ الزايدي، عبد الله بن عبد العزيز، بحث "**حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفِكْري**"، مجلة البحوث العلمية، العدد ٧٧، الإصدار ١٤٢٦- ١٤٢٧ هـ، ص٣٢٣.

الصلاة والسلام: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[١]. قال الطيبي في شرح الحديث: "إن الراعي ليس مطلوباً لذاته وإنما أُقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي أن لا يتصرّف إلا بما أذن الشارع فيه"[٢]. وقال النووي: "قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمَن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل مَن كان تحت نظره شيء، فهو مُطالَب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته"[٣]. فأي مسؤول في المكان الخطأ سيؤدي إلى حدوث خلل في عملية البناء الفِكْري.

ب. أن يكون التخطيط جماعيا بعيداً عن التفردات الشخصية أو الحزبية.

وهنا تكمن أهمية الشورى في التخطيط للحفاظ على الفِكْر وبنائه من الانحراف وعلاج أسباب ذلك. فالشورى تجعل التخطيط متزناً خالياً من العاطفة التي تعرقل سيره، وردة الفعل التي تجعله متقلباً ومزاجياً، كما أنه يوسع دائرة النظر للأمور والعوائق، فلا تكون الحلول وقتية أو ذاتية، بل علمية شاملة تنظر للمستقبل بعيداً عن الآنية والتعجل. كما أن التخطيط الجماعي يحقق الانسجام بين غايات البناء الفِكْري وأساليبه، وبين المصالح الجماعية في كل مجال، فيحقق مصلحة الجماعة ويحافظ عليهم من أي خلل أوانحراف.

ج. أن ينضبط بالعقيدة، فلا يخالف أصول الإسلام ومبادئه، وأن يسير على المنهج النبوي التطبيقي.

جُعلت العقيدة حكماً على كل تصرف وسلوك يصدر عنه، قال عبد الله عزام رحمه الله: "العقيدة هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب، والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحسّاس. وباختصار فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط، ولذا فقد عني القرآن الكريم ببناء العقيدة"[٤].

ثانياً: الرقابة الدولية والجماعية، والتوجيه المستمرين لمنع التسيب أو الانحراف.

١سبق تخريجهما.
٢ ابن حجر، فتح الباري، (ج١٣، ص١٤١).
٣ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، (ج١٢، ص٤١٧).
٤ عبد الله عزام، **العقيدة وأثرها في بناء الجيل**، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٠م، (ص٩).

اعتنى المنهج النبوي بوضع برنامج علاجي لعوائق الفِكْر وبنائه، من خلال التصدي المتدرج لذلك، ومن خلال الرقابة الدولية والجماعية للأفكار وأبنيتها، ونتاجها على الأفراد، ويمكن بيان الخطوات الرقابية التي يجب على الدولة والجماعات القيام بها بما يلي:

أ. الحث على التناصح بين الأفراد، فالتناصح القائم على الأخوة وحب الخير للآخرين هي الخطوة الأولى للتخلص من العوائق الفِكْرية، حيث يقوم به كل فرد ضمن بيته وبيئته، وفي كل حين، وبقدر استطاعته، فيساعد غيره على تصحيح مسارهِ. لذا كان المسلمون يبايعون على التناصح مع الفروض المكتوبة، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "**بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**"[١].

كما أن للنصيحة مراتب يجب على الناصح التمكن منها ليكون نصحه في مكانه، فقد ورد "**أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِنَبِيِّهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ**"[٢].

وقد بين هذا الحديث مراتب النصيحة ولمن تكون، وبين ابن حجر المقصود منها لذا أمكن تقسيم مراتبها كالآتي:

*المرتبة الأولى: النُصح لله تعالى وهذا يستلزم البناء العقدي الصحيح للناصح، ويُقصد بها: "وَصْفهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْل، وَالْخُضُوع لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالرَّغْبَة فِي مَحَابِّهِ بِفِعْلِ طَاعَته وَالرَّهْبَة مِنْ مَسَاخِطِهِ بِتَرْكِ مَعْصِيَته، وَالْجِهَاد فِي رَدّ الْعَاصِينَ إِلَيْهِ.."[٣].

*المرتبة الثانية: النُصح لكتاب الله تعالى، وهذا يستلزم البناء العلمي الصحيح للناصح، ويُقصد بها: "...تَعَلُّمه، وَتَعْلِيمهُ، وَإِقَامَة حُرُوفه فِي التِّلَاوَة، وَتَحْرِيرهَا فِي الْكِتَابَة، وَتَفَهُّم مَعَانِيه، وَحِفْظ حُدُوده، وَالْعَمَل بِمَا فِيهِ، وَذَبّ تَحْرِيف الْمُبْطِلِينَ عَنْهُ"[٤].

*المرتبة الثالثة: النُصح للرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا يتطلب من الناصح أن يتصف بالبنائين السابقين –العقدي، والعلمي– ويُضاف لهما البناء المنهجي القويم المستنبط من

---

١ سبق تخريجه.
٢ سبق تخريجه.
٣ ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١، ص٨٩).
٤ ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١، ص٨٩).

سيرته عليه الصلاة والسلام، ويُقصد بها: "تَعْظِيمه، وَنَصْره حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِحْيَاء سُنَّته بِتَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمهَا، وَالِاقْتِدَاء بِهِ فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله، وَمَحَبَّته وَمَحَبَّة أَتْبَاعه"[١].

*المرتبة الرابعة: النُصح لأئمة المسلمين: ويراد بهم قادة الأمة من أولياء الأمور والمسؤولين، وكبار العلماء والمفكرين. وهذه المرتبة تحتاج كل الأبنية – العقدية، والعلمية، والمنهجية – بالإضافة للقدرة على التواصل مع هذه الفئات، وامتلاك المهارات الخاصة للحديث معهم ونصحهم. ويُقصد بها: "إِعَانَتهمْ عَلَى مَا حَمَلُوا الْقِيَام بِهِ، وَتَنْبِيههمْ عِنْد الْغَفْلَة، وَسَدّ خُلَّتهمْ عِنْد الْهَفْوَة، وَجَمْع الْكَلِمَة عَلَيْهِمْ، وَرَدّ الْقُلُوب النَّافِرَة إِلَيْهِمْ، وَمِنْ أَعْظَم نَصِيحَتهمْ دَفْعهمْ عَنْ الظُّلْم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن. وَمِنْ جُمْلَة أَئِمَّة الْمُسْلِمِينَ أَئِمَّة الِاجْتِهَاد، وَتَقَع النَّصِيحَة لَهُمْ بِبَثّ عُلُومهمْ، وَنَشْر مَنَاقِبهمْ، وَتَحْسِين الظَّنّ بِهِمْ"[٢].

*المرتبة الخامسة: النُصح لأفراد المجتمع، وهذه تحتاج من الناصح بالإضافة لكل ما سبق الحنكة في التعامل وحُسن التصرف لإصلاح الناس ومساعدتهم، ويُقصد بها: "الشَّفَقَة عَلَيْهِمْ، وَالسَّعْي فِيمَا يَعُود نَفْعه عَلَيْهِمْ، وَتَعْلِيمهمْ مَا يَنْفَعهُمْ، وَكَفّ وُجُوه الْأَذَى عَنْهُمْ، وَأَنْ يُحِبّ لَهُمْ مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَه لَهُمْ مَا يَكْرَه لِنَفْسِهِ"[٣]. فهذه المرتبة تتضمن معاني الاخوة والمحبة بين الناس، فعن الرسول عليه الصلاة والسلام قال:"**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[٤].

ب. نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجماعي الذي يُعدّ سياجاً حامياً للأمة من أي فكر منحرفٍ، أو عائق يقف أمام بنائه، وهو نظام يوجه لكل فئات المجتمع من الفرد أو الجماعة المؤهلة لذلك[٥]، وقد مدح الشارع الكريم الأمة الإسلامية لتميزها بالأمر بالمعروف، وأن هذا

---

١ ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١، ص٨٩).
٢ ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١، ص٨٩).
٣ ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١، ص ٨٩).
٤ **البخاري**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب..، رقم (١٢). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان..، رقم (٦٧ و٦٨). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. **متفق عليه**.
٥ قال الغزالي: "فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في إتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى

سبب خيريتها وفضلها، قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}[١]. كما أنه نظامٌ أمني يتصدى للعوائق من خلال بيانها وردها أو تصويبها، وتصحيح الأفعال المبنية عليها.

وهذا النظام يقوم على الفِكْر الصحيح والعلم الصائب، فلا يصح القيام به إلا بعد فهم المنهج النبوي فيه، وإدراك شروطه وضوابطه. وكيفية تطبيقه عملياً، ولهذا تجد النبي صلى الله عليه وسلم جعله صورة من صور الصدقات الطيبة التي يُندب أن يقوم بها الفرد، فقال عليه الصلاة والسلام: "**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**"[٢]. **وقال عليه الصلاة والسلام أيضا:** "**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**"[٣].

كما أن هذا النظام الأمني في المنهج النبوي يقوم على مستوياتٍ ثلاثة، تتناسب وحال الفرد أو الجماعة القائمة عليه، فقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"[٤]. فلا يَصح رفع المستوى إن كان الفرد يفتقد شروطها وإمكانياتها المتعلقة بها. ومن الشروط التي يجب أن تتوافر في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يُطبق الأفكار التي يُصححها للآخرين، وأن يلتزم عملياً بما يأمرُ به أو ينهى عنه وألا يُخالفه، ليتفق فِكره وأقواله وسلوكه، لهذا شدد الشارع في عقوبة من يخالف من يأمر بشيء أو ينهى عنه: "**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: أي**

الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها..". إحياء علوم الدين، (ج٢، ص١٤٣).

١ آية ١١٠ من سورة آل عمران.

٢ **البخاري**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد..، رقم (١٣٥٩). وكتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، رقم (٥٥٩٠). **ومسلم**، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على..، رقم (١٦٨٢). من حديث عبد الله بن قيس رضي الله عنه. **متفق عليه**.

٣ **مسلم**، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها..، رقم (١١٨٧). من حديث أبي ذر رضي الله عنه. **صحيح**.

٤ سبق تخريجه.

فلان ما شأنك؟ ألم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه"[١].

ج. سن العقوبات التعزيرية المناسبة للخلل الذي يقع، وتفعيل العقوبات والحدود المناسبة للسلوك المبني على الأفكار المنحرفة ربط المنهج النبوي النظام العقوبي المتعلق بالانحراف الفِكْري وعوائق بنائه بين الدنيا والآخرة، فوضح أن العقوبات والآثام التي تلحق بمن ينحرف فكرياً قد تلحق المجمع بأسره، لذا جاء النهي النبوي عن الغلو في الدين لأنه سيؤدي للهلاك وهذه سنة الله من قبل، فالمنهج النبوي مثلاً نهى عن الحلف بغير الله لما في ذلك من انحراف فكري يؤثر على العقيدة فقال عليه الصلاة والسلام: **"مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ"**[٢].

كما أن بناء العقوبات للانحرافات الفِكْرية وعوائق بنائه تكون من ولي الأمر أو من يقوم مقامه، فقد ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن فعّل عقوبة من ارتد عن الإسلام بمحاربته، كما حرص على مقاومة أي انحرافٍ في الفِكْر يؤثر على البناء الأساسي حتى لو لم يصل إلى حد الردة، لذا قاتل من تخلف عن أداء فريضة الزكاة وعقوبة من ارتكب هذا الانحراف[٣].

كما يجب حماية مصدر البناء الفِكْري الأصلي "الوحي الإلهي" من أي شبهة وطعن يدخل عليهما، من خلال سن العقوبات التي تناسب الأفكار المنحرفة التي تتجه لهما، فقد ورد أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه عاقب صبيغ بن عسل الذي كان مصدراً لإثارة الشبه حول القرآن الكريم، وكان يسأل عن المتشابه منه، فضربه وشدد عليه[٤]. وهدد النبي عليه الصلاة والسلام من يكذب عليه متعمداً بالعقوبة الأخروية، نهياً له عن مسّ هذا المصدر والتقول عليه[٥].

---

١ سبق تخريجه.

٢ **الترمذي**، السنن، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير ..، رقم (١٤٥٣). **وأبو داود**، السنن، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم (٢٨٣٢). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي حديث حسن.

٣ الزايدي، بحث "حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفِكْري"، ص٣٠٧.

٤ الزايدي، بحث "حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفِكْري"، ص٣٠٨.

٥ حديث: "من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار". سبق تخريجه.

نتائج الدراسة والتوصيات

تنتهي هذه الدراسة وقد يشعر القارئ أنه لا يزال في بدايات الموضوع، ذلك أن موضوع الدراسة لم يُسبق له أن دُرِسَ بدراسات مستقلة ومتخصصة، فهو في حاجة إلى جهود أكبر، بل إلى مراكز ومتخصصين في شتى الحقول الفكرية ليكتمل بأحسن الصور. ومع ذلك؛ يجدر بنا أن نذكر أبرز النتائج التي ظهرت من خلال الدراسة، وتنامت في فصوله، ويمكن إجمال نتائج الدراسة من خلال الآتي:

١. لم يُعرف البناء الفكري بتعريف علمي في كتب الفكر والعلم المعتمدة، لذا عرفته بأنه: منظومة متكاملة تقوم على تفعيل العمليات العقلية من خلال مصادر المعرفة المتراكمة للوصول إلى ما هو جديد، بواسطة الأدوات المناسبة، وفق أسس وشروطٍ محددة.

٢. تكمن أهمية الفكر بأنه المحرك الأساسي للاقوال والأفعال، لذا يُعد جوهر السلوك الإنساني بكل مظاهره. فالفكر عمود أساسي لدى كل إنسان، به تثبت أمور كثيرة وتنتظم منها العقيدة والأخلاق..الخ، وبه يكون الإنسان مُنتجاً فاعلا في الحياة في شتى المجالات.

٣. للبناء الفكري في الحديث النبوي غايات متكاملة، تبدأ بالغاية الأساسية وهي عبادة الله تعالى وتوحيده، ثم الغاية التكميلية وهي إعمار الأرض، ومن ثم الغاية العظمى وهي نيل رضى الله تعالى.

٤. تنبثق من غايات البناء الفكري في الحديث النبوي أهداف تتناسب مع مستوياتٍ ثلاثة هي: المستوى الفردي، والجماعي، والإنساني.

٥. أهداف المستوى الفردي في البناء الفكري كما بينها الحديث النبوي هي: بيان هوية الإنسان وحقيقته، وبناء الفرد من خلال تلبية احتياجاته الأساسية.

٦. أهداف المستوى الجماعي في البناء الفكري كما بينها الحديث النبوي هي: بناء التنظيمات الجماعية والمؤسسات العامة والخاصة وتنميتها. وتنظيم الدولة من جميع جوانبها (العسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية..). ووضع الحماية للأفراد من خلال التصدي للأفكار المنحرفة، وتحديد العلاقات وتنظيمها وتصويبها.

٧. أهداف المستوى الإنساني في البناء الفكري من خلال الحديث النبوي تعتمد على: وجوب المعرفة والعلم للتعامل مع الكون، والتفاعل الإيجابي، والأخلاق.

٨. يجب توافر شروط أساسية في المفكر تبدأ من الاستعداد الذاتي، ثم التأهيل الأخلاقي، ثم التأهيل الشخصي الشامل.

٩. الاستعداد الذاتي يعتمد على توافر الصفات الآتية في المفكر: المراقبة الذاتية، و التعلم المستمر، والالتزام والمواظبة، والثقة بالنفس، وامتلاك القدرات العقلية.

١٠. يشترط في المفكر أن يكون ملتزما فكريا وذلك باتصافه بالصدق والأمانة، وكذلك أن يتصف بالالتزام العملي من خلال صفات: الاستقامة، والإنصاف، والقوة والشجاعة، والبصيرة.

١١. كما يشترط في المفكر التاهيل الشخصي الشامل ويشمل: التوسع الثقافي والانتقاء المعرفي، والتميز، والموازنة، والتخصصية، واكتساب المهارات لصياغة الأفكار ونشرها.

١٢. يقوم البناء الفكري في الحديث النبوي على مصدر واحد هو "الوحي الإلهي" المتمثل بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية.

١٣. يتميز هذا المصدر بالصدق والثبوت في حقيقته، وانه شامل لأصول المعرفة ومستقلا بذاته.

١٤. من خلال مصدر البناء الفكري يتبين ان المجالات مفتوحة لإعمال الفكر وتطويره، وهذه المجالات تبدأ بالماضي، والحاضر والمستقبل بكل أبعادها.

١٥. نبه البناء الفكري في الحديث النبوي على الفروق المنهجية الواجب التزامها أثناء البحث في العلوم المتنوعة والتخصصات المختلفة.

١٦. منهج الربط والتعليل أو المنهج السنني يقوم على استقراء الماضي، تحليل مضمونه وفهمه، إدراك العلل منه والسنن الإلهية فيه، قياس الحاضر على نتائج الماضي، ربط الأسباب بالمسببات لبناء المستقبل.

١٧. المنهج العلمي التجريبي في البناء الفكري يقوم على مجموعة من الخطواتِ المنهجية فيبدأ باستقراءٍ، ومن ثم التحليل والاستنباط، ومن ثم وضع النتيجة النظرية التي تقوم التجربة والتعليل.

١٨. نبّهَ الشارع الكريم إلى وجوب قيام هذه المناهج على المنطقية في الفهم والتعليل، لذا نقىَ فكر الباحث من المعوقات التي تؤدي إلى الانحراف عن المسار الصحيح من: الخرافات والأساطير، والجمود على التقليد، والجهل، والظن والهوى.

١٨. يشترط الحديث النبوي في النتاج الفكرية التي يُحصلها البناء الفكري شروطا هي: الفاعلية والنفعية، والوضوح، والتجديد، والواقعية والعملية.

١٩. يقوم البناء الفكري في الحديث النبوي على مجموعة أسس هي:

- الأساس الأول: الإيمان روح البناء الفِكْري السليم.
- الأساس الثاني: العلم عمود البناء الفِكْري السليم.
- الأساس الثالث: الأخلاق عصبُ البناء الفِكْري السليم.
- الأساس الرابع: ضوابط أمان البناء الفِكْري: العدل، والشورى، والمحاسبة.
- الأساس الخامس: التنمية والديمومة محرك البناء الفِكْري.

٢٠. اتبع النبي عليه الصلاة والسلام مجموعة أساليب للبناء الفكري، هي:

- أسلوب الجامع المتثبت.
- أسلوب المستشار العالم.
- أسلوب المحاور المقنع.
- أسلوب المطبق المجدد

٢١. أدوات البناء الفكري في الحديث النبوي هي: العقل، والحواس، وادوات مساعدة كالقراءة، والسياحة في الأرض.

٢٢. تعترض البناء الفكري مجموعة من العوائق المؤثرة فيه، والتي تؤدي إلى إنحراف عمله، وهذه المعوقات كثيرة تتمثل في: تهميش اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، وتجميد الفكر من خلال المناهج التي فرغت من الفائدة العلمية والعملية، وضعف سياسة الدولة، وإشغال العقول بكل فكر سطحي وفاسد.

٢٣. وضع المنهج النبوي آلية لعلاج العوائق وتثبيت البناء ومنع انحرافه، تتمثل في إجراءات وقائية وأخرى عملية. وتقوم هذه الآلية على ثلاثة أسس هي: الاعتراف بالمشكلة

وعدم التهرب من حقيقتها. وتجديد النية والإخلاص لتحقيق الغايات الربانية. والموضوعية والشمول في تطبيق البناء الفكري.

٢٤. الخطوات الوقائية لحماية البناء الفكري في المنهج النبوي هي: الحصانة الذاتية، والتوعية الفكرية العلمية الشاملة، وبناء المراكز العلمية والدينية لنشر الفكر وبنائه الصحيح.

٢٥. خطوات العلاج الإجرائي لمعوقات البناء الفكري هي: التخطيط الجماعي لعلاج العوائق. والرقابة الدولية والتوجيه الجماعي المستمرين لمنعه من الانحراف.

٢٦. تميز البناء الفكري في الحديث النبوي بميزات عدة بينا بعضها في الدراسة، وهي: الشمولية، والأصالة والمرونة.

٢٧. التوعية خطوة ضرورية، وهي ايقاظ للفكر من السبات الطويل الذي أصاب الأمة الإسلامية في أبنائها، وهذه التوعية يجب أن تكون مستمرة حتى يجد الإنسان أمامه دافعاً يدفعه نحو الاهتمام بفكره وتنميته. وفي المنهج النبوي في تربية الفكر وبنائه قدوة حسنة.

٢٨. يُعد منهج النبي صلى الله عليه وسلم في البناء الفكري منهجاً كاملاً فريداً وغنياً بالأساليب والأدوات الباعثة على يقظة الفكر، والمؤسسة له ابتداء من البذرة وحتى الثمرة.

التوصيات.

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نقترح بناء فكريا من خلال المنهج النبوي يعتبر الثوابت ولا يتنكر للمتغيرات، بل يستوعبها ليكون بناء جديدا في كل وقت. ووجدنا أن النبي عليه الصلاة والسلام أسس الرسالة الإسلامية على جملة البناء الفكري بأسسه وعناصره.. وبعد إنهاء الدراسة خرجت الباحثة لمجموعة من التوصيات هي:

١. مواصلة البحث في البناء الفكري من خلال القرآن الكريم والسنة، وإنجاز بحوث متخصصة تفريعية تُعنى بجزئيات البناء الفكري، وتعميق البحث والدراسة في ذلك.

٢. إنشاء مؤسسة علمية فكرية تجمع المؤسسات الأخرى، لإقامة بناء فكري يجمع بين اصالة الإسلام والواقع الذي يقوم عليه.

٣. إلزام الجامعات على طرح مادة فكرية تبني في الطالب منهجا واضحا ودينياً.

والدراسة في مجملها لا تخرج عن كونها عملا تأصيليا أوليا، تسعى للتدليل على أن للبناء الفكري أصولا وجذورا في الحديث النبوي، وليس المنهج النبوي مجرد تنظير شكلي، أو تصرفات ظاهرية. وهذا ما سعت الباحثة لبيانه وإثباته والله المستعان.

الباحثة

قائمة المصادر والمراجع:

- الألباني، محمد ناصر الدين،(ت ١٩١٤م)، **السلسلة الصحيحة،** ٣مجلدات، الرياض، مكتبة المعارف.

- ا.ل شاتيله، (١٣٥٠هـ)، **الغارة على العالم الإسلامي،** ط١، نقله إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، القاهرة، منشورات العصر الحديث.

- عثمان، أكرم مصباح، ١٧ **قاعدة نفسية في سورة يوسف،** بيروت، دار ابن حزم.

- باباعمي، محمد بن موسى. (٢٠٠٧م)، **أصول البرمجة الزمنية في الفِكْر الإسلامي "دراسة مقارنة بالفِكْر الغربي"**، دمشق، صفحات للدراسات والنشر.

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، (ت ٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.** ط١، ٣مجلدات، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

- بدوي، عبد الرحمن. (١٩٧٧م)، **مناهج البحث العلمي،** ط٣، الكويت، وكالة المطبوعات.

- البهي، محمد، (١٩٩١م)، **الفِكْر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،** ط١٢، القاهرة، مكتبة وهبة.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي،** ط٢، عدد المجلدات ٣، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت ٧٢٦هـ)، **درء تعارض العقل والنقل.** مجلدين، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.

- الجراري، عباس، (١٩٧٩)، **الفِكْر الاسلامي والاختيار الصعب.** الدار البيضاء، منشورات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي.

- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (ت ٣٦٦هـ)، **معجم التعريفات**. تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، (ت ٨٣٣هـ)، **النهاية في غريب الأثر**. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- جمال عبد الهادي وآخرون، (١٩٩٢م)، **تطوير أم تضليل في مناهج التربية الإسلامية**، المنصورة، دار الوفاء.
- الجندي، أنور، (١٩٨١م)، **قضايا العصر ومشكلات الفِكْر تحت ضوء الإسلام**، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت ٣٩٢هـ)، **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ)، **تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ١٤٠٦م)، **مقدمة ابن خلدون**، اعتنى به هيثم جمعة هلال، ط١، مؤسسة المعارف، لبنان، ٢٠٠٧م.
- خليل، عماد الدين، (١٤٠٣هـ)، **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**. طبعة قطر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (ت ٢٠٢هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

- دراز، محمد، **دستور الأخلاق في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد الصبور شاهين. الناشر: مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية.

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، (ت ٤٠٥ هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**. دار القلم، دمشق.

- ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، (ت ٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحكم**، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- أبو زهرة، محمد، (١٩٩٧م)، **أبو حنيفة: حياته وعصره – آراؤه وفقهه**، القاهرة، دار الفِكْر العربي.

- زيغريد هونكه، (١٩٧٩م)، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ط٣، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري.

- الزنيدي. عبد الرحمن بن زيد، (٢٠٠٢م)، **حقيقة الفِكْر الإسلامي**، ط٢، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع.

- شابرا، محمد عمر. **الرؤية الإسلامية للتنمية في ضوء مقاصد الشريعة.**

- الشيباني، أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ٢٠مجلد، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

- صليبا، جميل، (١٩٨٢م)، **المعجم الفلسفي**. بيروت، الشركة العالمية للكتاب.

- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (ت ٢١١هـ)، **المصنف**، ط٣، ١٢ مجلد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،ط٢، ١٢ مجلد، المجلس العلمي، الهند، ١٤٠٣هـ.

- طعيمة، صابر، (١٩٨٤م)، **أخطار الغزو الفِكْري على العالم الإسلامي**، ط١، بيروت، عالم الكتاب.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٧٣م)، **مقاصد الشريعة الإسلامية**. تونس، الشركة التونسية للتوزيع.

- العثمان، عبد الكريم، **الدراسات النفسية عند المسلمين**، مصر، مكتبة وهبة.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت ٦٣٨هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، ودار الجيل، ١٩٨٧م.

- عزام، عبد الله، (١٩٩٠م)، **العقيدة وأثرها في بناء الجيل**،بيروت، دار ابن حزم.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران، (١٤١٢هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي.

- عمر، محمد زيان، (٢٠٠٢م)، **البحث العلمي: مناهجه وتقنياته**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**. دار المعرفة، بيروت.

- الغزالي، محمد، **علل وأدوية**، ط١، القاهرة، دار الكتب الإسلامية.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفِكْر، ١٩٩٧م.

- الفارسي، علال، (١٩٧٩م)، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**. الرباط، مطبعة السلام.

- الفقي، إبراهيم. (٢٠١١م)، **أسرار الشخصية الناجحة**، اكتشف قوة الذهن والزمن. دار سما للنشر والتوزيع.

- الفقي، ابراهيم، (٢٠٠٩م)، **قوة الفِكْر**، ط١، دار الراية.

- الفوزان، صالح بن فوزان، (١٤٣٥هـ)، **شرح رسالة العبودية**، ط١، اعتنى به وأعده للنشر: فهد بن إبراهيم الفعيم، دار ابن الجوزي، السعودية.

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت ٨١٦هـ)، **القاموس المحيط**. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

- الفيومي، أحمد بن محمد المقري، (ت ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية، بيروت.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، **غريب الحديث**، ط١، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، (١٣٩٧هـ).

- القرضاوي، يوسف، (١٩٧٩م)، **ثقافة الداعية**، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.

- قطب، محمد، **(٢٠٠٣م)**، **قبسات من الرسول**، ط١٥، دار الشروق.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ت ٧٥١هـ)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، ط٢، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤م.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**. تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة.

- الكيلاني، ماجد عرسان. **أهداف التربية الإسلامية**. ط١، دار القلم.

- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٠٩هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

- مالك بن أنس، (ت ٩٣هـ)، **الموطأ**، ط١، تحقيق: محمد الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، ٢٠٠٤م.

- المحاسبي، الحارث بن أسد، (ت ٢٤٣هـ)، **العقل وفهم القرآن**، ط١، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، ١٩٧١هـ.

- محمد، محمد حسين، (١٩٨٣م)، **حصوننا مهددة من داخلها**، ط٣، **بيروت**، مؤسسة الرسالة.

- مصطفى، ابراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**. تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

- الملا، أحمد علي، (١٤٠١عـ)، **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية**. ط٢، دمشق، دار الفِكْر.

- الملكاوي، فتحي حسن، (٢٠١١م)، **منهجية التكامل المعرفي**، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، (ت ١٠٣١هـ)، **فيض القدير**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

- المنجد، صلاح الدين، (١٩٧٦م)، **الإسلام والعقل في ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي**، ط ٢، بيروت، دار الكتاب الجديد.

- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، (ت ٧١١هـ)،، **لسان العرب**. ط١، دار صادر، بيروت.

- الندوي، أبو الحسن على الحسني، (١٩٨٣م)، **الصراع بين الفِكْرة الإسلامية والفِكْرة الغربية**، ط٣، الكويت، دار القلم.

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣هـ)، **المجتبى من السنن (السنن الصغرى)**، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.

- نصر، عارف محمد، (١٩٨١م)، **نظريات التنمية السياسية المعاصرة**"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار القارئ العربي.
- نويهض، عجاج، (٢٠١٤م)، **بروتكولات حكماء صهيون**، عمان، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، (ت ٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، (ت ٧٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

الأبحاث العلمية:

- بشائر مولود توفيق، بحث بعنوان "أثر أنموذج ثيلين في اكتساب المفاهيم التاريخية لطالبات الصف"، **مجلة البحوث التربوية النفسية**، العدد٣٢.
- الزايدي، عبد الله بن عبد العزيز، بحث "حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفِكْري"، **مجلة البحوث العلمية**، العدد ٧٧، الإصدار ١٤٢٦- ١٤٢٧ هـ.
- الشريفين، محمد عيسى، بحث "الحصانة الفِكْرية في ضوء الحديث النبوي". **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، المجلد ٥، العدد ١، ٢٠٠٩م.
- الصوفي، حمدان عبد الله، بحث "الوظائف العقلية المستفادة من آيات العقلان في القرآن الكريم". **مجلة الجامعة الإسلامية**، المجلد ١٩، العدد الأول، يناير، ٢٠١١م.
- العمري، محمد نبيل، بحث "الشبه الواردة على أصول الاعتقاد في القرآن الكريم وأسبابها". **مجلة دراسات**، المجلد ٢٦، ١٩٩٩م.

المقالات والمواقع الالكترونية:

- سويدان، أحمد سالم، يوتيوب بعنوان "لبنات في البناء الفِكْري".

http://www.youtube.com/watch?v=vKpSY٣٠٨lQ٨.

- أويس، نور الدين شريف، مقالة بعنوان" العلاقة بين اللغة والفِكْر من منظور القدامى والمحدثين"،

http://www.globalarabnetwork.com/culture-ge/culture-studies/٨٨٠١-٢٠١٢-١٠-٢٥-٢٢١٠٠٦.

- الطباع، سلطان. **مقالة بعنوان:** "**تحرير البناء الفِكْري للشخصية**".

http://www.alukah.net/culture/٠/٥٤٤٥/

- عبد الله، هند. مقالة بعنوان: "**رحلتي ما بين التجميع إلى البناء**".

http://feker.net/ar/٢٠١٢/٠٥/١٣/١١٢٣٨/

- العزاب، غادة. مقالة بعنوان: **منهجيتي في البناء الفِكْري**.

http://mofakkera.blogspot.com/٢٠١٢/١٠/blog-post.html

- العلواني، طه جابر، الموقع الرسمي لفضيلة الدكتور طه جابر العلواني:

http://www.alwani.net/%D٩٪٨٥٪D٩٪٨٣٪D٨٪AA%D٨٪A٨٪D٨٪A٩_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٨٪AA/%D٩٪٨٥٪D٩٪٨١٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٧٪D٩٪٨A%D٩٪٨٥_%D٩٪٨٢٪D٨٪B١٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪A٩/item/٣٢٦-٢٠١٣-٠٧-٠٩-١١-٣٠-٥٣.html.

- أبو غالي، عبد الله. مقالة بعنوان: **بناء الفِكْر ـــــ بناء الحضارة**.

http://feker.net/ar/٢٠١٢/٠٤/٢٨/١١٢٠٢/

- الملكاوي، فتحي، محاضرة بعنوان "**البناء الفِكْري: مفهومه، وعناصره، ومستوياته.** يوتيوب.

http://www.youtube.com/watch?v=٦EKShwB٠nZc.

- الهادي، صادق بن محمد، مقالة بعنوان "**أهمية اللغة العربية وميزاتها**"، تاريخ نشرها ٢٠١١/١١/١٩م. رابط الموضوع:

http://www.alukah.net/publications_competitions/٠/٣٦٠٩٧/#ixzz٣HzWfrEui.

المواقع الإلكترونية الأخرى:

- **http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=٤٨٠&issue=٤٥٦**

- **http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪A٣٪D٨٪B٥٪D٩٪٨٤_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪ D٨٪AD%D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪A٩.**

- **ttp://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪B٥٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٩٪٨٤_%D ٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪D٨٪B٣_%D٨٪B٢٪D٩٪٨٨ %D٩٪٨A%D٩٪٨٥٪D٨٪B١**

- **http://laelhad.wordpress.com/٢٠١٢/٠٨/٠٧/%D٨٪A٥٪D٨٪B٩٪D٨٪AF%D٨٪ A٧٪D٩٪٨٥-%D٩٪٨٦٪D٨٪B٨٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٩- %D٨٪AF%D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٩٪٨٦- %D٨٪A٨٪D٨٪AE%D٨٪B١٪D٨٪AA%D٩٪٨٧٪D٨٪A٧- %D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٣٪D٩٪٨A%D٩٪٨٥٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪A١- %D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦/**

- http://sakhana.com/index.php?option=com_content&view=article&catid=٣٨&id=٨٨.

- http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٨٪A٨٪D٩٪٨A&word=%D٨٪AE%D٨٪B٥٪D٨٪A٧٪D٨٪A٦٪D٨٪B٥

- http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٨٪A٨٪D٩٪٨A&word=%D٩٪٨٧٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٩ .

- http://www.minhaji.net/lessoncontent/٢٧٢٦/%D٨٪AB%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪A٧-%D٩٪٨٦٪D٨٪B٨٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪AA-%D٩٪٨٦٪D٨٪B٤٪D٩٪٨٨٪D٨٪A١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٨٪A٩.html

THE INTELLECTUAL CONSTRUCTING IN PROPHETIC HADITH: A FUNDAMENTALIST STUDY

By

Manal Abuqamar

Supervisor

Dr. Basem Al -Jawabra

ABSTRACT

This study came to bring out the care of prophetic methodology in Islamic thought, the reforming of the individual and community affairs, and upgrading the mind and thought to the highest levels. All of that through clarifying the construction of the Islamic thought and concluding it from the Hadith.

Hadith has clarified that the construction of thought is based on a set of elements combine together to achieve the desired goals and objectives. These elements are: the foundations and components, the conditions, tools, and methods.

This study has raised the obstacles that obstruct the intellectual construction, and I tried to clarify the mechanism of the treatment and confronting them depending on the Prophetic method.

This study is an attempt to put a theory in the intellectual building through the Hadith, and based on individual endeavor. This structural work is based on the work and diligence of the nation, so this study is an intellectual breakthrough in Islamic science.